قطوف

من الأدب النبوى

(دراسة موضوعية فى السنة المطهرة)

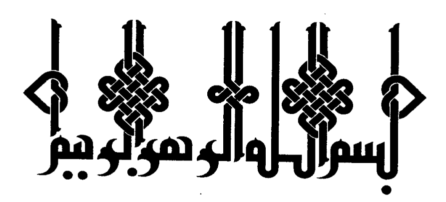
تأليف

الدكتور/ عبد الرحمن عبد الحميد البر

أستاذ الحديث وعلومه فى كلية

أصول الدين - جامعة الأزهر

دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر المنصورة


بسم الله الرحمن الرحيم

قطوف
من الأدب النبوى

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م

دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر المنصورة

٣٨ ش الثورة (السكة الجديدة) ت ، ف: ٣٤٣١١٥ ص. ب:١٦٧



مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، واهتدى بهداه.

اللهم اجعل عملنا كله صالحاً خالصاً متقبَّلاً، ولا تجعل للشيطان فيه حظاً ولا نصيباً، ووفِّقنا لما تحب وترضى، وارزقنا خير الآخرة والأولى. وبعد؛

فإن السنة النبوية المباركة كانت ـ ولا تزال ـ معيناً لا ينضب، وينبوعاً متجدد التدفق بالأدب الرفيع، والخلق الكريم القويم، وإن الدراسة الموضوعية للحديث النبوى الكريم كفيلة بأن توقفنا على كثير من جوانب العظمة فى هذا الدين القيم، وعلى الأصول الثرية والمنابع الثَّرَّة التى اغترف منها سلف هذه الأمة رضوان الله عليهم، فبنوا حضارة راشدة عاقلة على أساس كريم سليم.

لقد سعى النبىُّ ﷺ إلى خلق إنسان العقيدة خلقاً حضارياً جديداً، أثار دهشة الناس وإعجابهم، بما سنَّ من آداب، ووضع من توجيهات، ارتفعت بالإنسان عن الحيوانية، وارتقت به فى مدارج الملائكية، وسَمَت به عن الإخلاد إلى الأرض، وخلصته من عقد الحقد والحسد والبغضاء، وغرست فيه موجبات الأخوة وطرائق السلوك الرشيد والعلم النافع.

وإذا كانت تربية ملكة الذوق الجمالى والحس الإنسانى الرفيع، مما تسعى أمم الأرض جميعا لتأسيسها؛ فإن الإسلام القويم قد سبق الأمم جميعاً فى تنمية هذه المشاعر الطيبة وتأكيد هذا الحس، بما يجعل المسلم يعيش سعيداً فى نفسه، ومُسْعِداً لغيره.

وقد كتب العلماء قديماً وحديثاً فى هذا الموضوع فأفاضوا وأحسنوا وأجادوا، جزاهم الله خيراً، وقد هَفَتْ نفسى للمشاركة فى هذا الموضوع، وأحسست برغبة مُلحَّة للكتابة فى موضوع الأدب النبوى، وبخاصة بعد أن عُهد إلىَّ بتدريس مادة «الحديث الموضوعى» لطلاب كلية أصول الدين، فكتبت هذا الجزء الذى أرجو أن يوفق الله لغيره فى مستقبل الأيام.

وكتبت فى هذا الجزء موضوعين اثنين هما: آداب النية، وآداب المجالسة.

أما الأول فلأنه أساس كل عملٍ فقد رأيت أن أبدأ به.

وأما الثانى فلأن معظم أوقات الناس فى مجالس مختلفة ومتنوعة، فى حلق العلم، أو الذكر، وفى البيوت، وفى محلات العمل، وفى غيرها، ومن ثم وقر فى نفسى أن أبدأ به.

وقدمت لذلك بمدخلٍ تناولت فيه معنى الأدب النبوى ومعنى الحديث الموضوعى. ثم ختمت الكتاب بفهارس موضوعية تسهِّل على الباحث الحصول على بغيته من الكتاب.

ومن ثم جاء هذا الجزء من الكتاب فى مقدمة، ومدخل، وبابين، وعدة فهارس على النحو التالى:

المقدمة: بينت فيها سبب اتجاهى للكتابة فى هذا الموضوع، وخطة الكتاب، ومنهج البحث.

ـ **المدخل:** تناولت فيه أمرين:

الأول: تعريف الأدب، والمقصود بالأدب النبوى، وفضيلة الأدب، وأهميته.

الثانى: معنى الحديث الموضوعى، وفوائد دراسته، وأشكال التصنيف فيه، ومدى الحاجة إليه.

ـ **الباب الأول:** آداب النية والإخلاص، فى أربعة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: أهمية النية والإخلاص وثمراتهما من خلال السنة النبوية المطهرة.

الفصل الثانى: حقيقة النية وتصحيحها، بينت فيه معنى النية والأسباب المعينة على اكتسابها وتصحيحها.

الفصل الثالث: أقسام الأعمال المتعلقة بالنية، وهى ثلاث: المعاصى، والطاعات والمباحات، بينت فيه كيف يمكن تصحيح النية فى كل منها.

الفصل الرابع: تساؤلات، ذكرت فيه بعض التساؤلات الخاصة بهذا الموضوع، وحاولت الإجابة عليها بما يسَّر الله، وختمتها ببيان علامات صحة النية وإخلاصها.

الخاتمة: فى نيات ينبغى استصحابها باستمرار، ومنها نية ابتغاء الآخرة، ونية الجهاد

فى سبيل الله، ونية قيام الليل.

ثم دعوت القارىء الكريم لمراجعة نفسه، والتحقق من صدق نيته من خلال عرضها على عدة أسئلة فى الموضوع.

ـ **الباب الثانى**: آداب المجالسة، ويقع فى ثلاثة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول: آداب اختيار المجلس، بينت فيه الأماكن التى نهى النبى ﷺ عن الجلوس فيها، والأماكن التى دعا إلى الجلوس فيها.

الفصل الثانى: آداب اختيار الجليس، بينت فيه من دعا النبىُّ ﷺ إلى صحبتهم ومجالستهم، ومن نهى عن مصاحبتهم ومجالستهم.

الفصل الثالث: آداب الجلسة، بينت فيه الآداب التى تنبغى مراعاتها فى هيئة الجلسة، ووقتها، وابتدائها، واختتامها، وطريقة الكلام فيها، ونحو ذلك.

الخاتمة: نقلت فيها خاتمة كتاب «آداب الألفة» للإمام الغزالى رحمه الله.

ثم دعوت القارىء الكريم لمراجعة نفسه ومدى تحققه بهذه الآداب، من خلال طرح مجموعة من الأسئلة فى الموضوع.

ـ **الفهارس**، وهى أربعة على النحو التالى:

١ـ فهرست أطراف الأحاديث المرفوعة.

٢ـ فهرست الأعلام المترجم لهم فى الكتاب.

٣ـ فهرست المصادر والمراجع.

٤ـ فهرست الموضوعات.

أما منهجى فى البحث فى هذا الكتاب، فيمكن تلخيصه فيما يلى:

١ـ قمت بجمع الأحاديث المرفوعة الواردة فى كل باب، متحريًّا منها ما هو قابل للحجة فى باب الفضائل والآداب، متجنباً الموضوع والشديد الضعف، وما يخالف أصلاً من الأصول المقررة، أو نصا من النصوص الثابتة.

٢ـ قمت بوضع عناصر لكل موضوع ـ بحسب اجتهادى ـ على حسب النصوص التى جمعتُها.

٣ـ تناولت بعض الآيات القرآنية المتصلة بالموضوع، باعتبار السنة شارحة للقرآن، لكنى لم أجعل مدار البحث عليها، بل على الحديث.

٤ـ تناولت أقوال العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم فى الموضوع، باعتبارهم أفهم الناس للنصوص، وأعلمهم بها، وأكثرهم تطبيقاً لما فيها، وأشدهم حرصاً على ذلك، وقد حرصت على توثيق تلك الأقوال بعزوها إلى مصادرها.

٥ـ قمت بعمل ترجمة موجزة جداً لكل من نقلت له قولاً من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، مشيراً إلى بعض مصادر الترجمة لمن شاء التوسُّع.

وقد بلغت الأحاديث المرفوعة فى الكتاب مائتين وخمسة وثمانين حديثاً، أما الأخبار والآثار والأقوال المنسوبة إلى الصحابة والتابعين ومن بعدهم فكثيرة فى كل فصول الكتاب.

وإنى ـ وإن اجتهدت قدر الإمكان ـ لمعترف بعجزى وضعفى وتقصيرى، ولذا فإنى أسأل كل أخ فاضل رأى فى الكتاب خللاً أن يرشدنى إليه ويدلنى عليه ويوجهنى لتصحيحه، وله منى عظيم التقدير والشكر، ومن الله جميل الثواب والأجر.

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله فى موازين حسناتى، وأن يرزقنى شفاعة صاحب الأدب الكريم ﷺ إنه على كل شىء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف

أبو محمد

عبد الرحمن عبد الحميد البر

المدخل

أولا: تعريف الأدب والمقصود بالأدب النبوى

الأَدَب: قال ابن فارس: «الهمزة، والدال، والباء: أصلٌ واحدٌ تتفرع مسائله، وترجع إليه.

فالأدب: أن تجمع الناس إلى طعامك، وهى المأدَبة والمأدُبة، والآدِب: الداعى. قال طَرَفة:

نحن فى المشتاة ندعو الجَفَلى   لا ترى الآدِب فينا يفتقر

والمآدب: جمع المأدبة»(١).

وقال الجوهرى: «الأَدَب: مصدر أَدَب القوم، يأدِبُهم - بالكسر - إذا دعاهم إلى طعامه»(٢).

وقال ابن منظور: «الأَدَب: الذى يتأدَّب به الأديب من الناس، سمِّى أدباً؛ لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب: الدعاء، ومنه قيل للصنيع يُدْعَى إليه الناس: مَدْعاة ومأدُبة»(٣).

والأُدْبة والمأدَبَة والمأدُبة: كل طعام صُنِع لدعوةٍ أو عرس، وفى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «ليس من مُؤْدِبٍ إلا وهو يحب أن يؤتى أَدْبُه، وإن أَدْبَ الله القرآن»(٤). وفى رواية: «إن هذا القرآن مأدبةُ الله، فمن دخل فيه فهو آمن»(٥).

قال أبو عبيد: مأدُبَة ومأدَبة، فمن قال: مأدُبة - بالضم - فإنه أراد الصنيع يصنعه الإنسان يدعو إليه الناس، يقال منه: أَدَبْت على القوم آدِب أَدْباً.

ومن قال: مأدَبته، فإنه يذهب إلى الأدب، يجعله مفعلة من ذلك، فيكون معنى المأدبة: المدعاة(٦).

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١/ ٧٤. وانظر: الصحاح ١/ ٨٦.   (٢) الصحاح ١/ ٨٦.

(٣) لسان العرب ١/ ٢٠٦، وتاج العروس ١/ ١٤٤، وانظر: فتح البارى ١٠/ ٤٠٠.

(٤، ٥) أخرجهما الدارمى فى كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن ٢/ ٢٢٥(٣٣٢١، ٣٣٢٢). وانظر: كشف الأستار ١/ ٩٢ (١٥٨) قال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٢٨: «رجاله موثقون»

(٦) معجم مقاييس اللغة ١/ ٧٥، لسان العرب ١/ ٢٠٧، تاج العروس ١/ ١٤٤. وانظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر ١/ ٣٠.

وعلى هذا فمعنى الأدب: الدعاء.

ومن معانيه أيضا: التعليم.

قال الجوهرى: «الأدب: أدب النفس، والدرس، تقول منه: أدُب الرجل - بالضم - فهو أديب، وأدَّبتُه فتأدّب، وابن فلان قد استأدب فى معنى تأدب»[١].

وقد استعمله الزجاج فى الله عز وجل فقال: «والحق فى هذا ما أدب الله تعالى به نبيه ﷺ»[٢].

وقال الفيومى: «أدَبته أدباً من باب ضرب: علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق».

قال: «ومنه قيل: أدَّبْتُه تأديباً: إذا عاقبتُه على إساءته؛ لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب»[٣].

وقال غيره: «أدبه كضربه، وأدَّبه: راض أخلاقه، وعاقبه على إساءته؛ لدعائه إياه إلى حقيقة الأدب»[٤].

ويُقال للبعير إذا رِيِّض وذلّل: أديبُ مؤدَّب[٥].

١- ومن ذلك حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: «أوصانى رسول الله ﷺ بعشر كلمات، قال: لا تشرك بالله شيئاً» إلى قوله «وأنفق على عيالك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخِفْهم فى الله»[٦].

ومن معانى الأدب كذلك: الظُّرف وحسن التناول[٧].

ومن معانيه كذلك: العجب[٨]. قال ابن فارس: «ويقال: إن الإدْب: العجب، فإن كان كذلك فلتجمُّع الناس حوله»[٩] يعنى كما يتجمعون حول المأدُبة.

---

(١) الصحاح ١/٨٦، لسان العرب ١/٢٠٦، تاج العروس ١/١٤٤.
(٢) لسان العرب ١/٢٠٦، تاج العروس ١/١٤٤.
(٣) المصباح المنير ص١٢، وانظر: تاج العروس ١/١٤٤.
(٤) تاج العروس ١/١٤٤.
(٥) لسان العرب ١/٢٠٦.
(٦) أخرجه أحمد ٥/٢٣٨.
(٧) نقله الزبيدى فى تاج العروس ١/١٤٤ عن ابن السيد البطليوسى.
(٨) الصحاح ١/٨٦، لسان العرب ١/٢٠٧، تاج العروس ١/١٤٤.
(٩) معجم مقاييس اللغة ١/٧٥.

ومن معانيه كذلك: السيرة والطريقة.

٢ ـ ففى حديث عمر رضى الله عنه قال: «. . . وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قومٌ تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذون من أدب نساء الأنصار»(١).

قال ابن حجر: «قوله «من أدب نساء الأنصار» أى من سيرتهن وطريقتهن»(٢).

تلك كانت أصول اشتقاق الكلمة.

أما معانى هذه الكلمة فى الاستعمال فمتعددة.

قال الأستاذ أحمد حسن الزيات: «عرف الجاهليون ـ ولا ريب ـ هذه الكلمة، واستعملوها ـ على التعاقب ـ فى معان ثلاثة، على ما استقرأه الأستاذ نلينو:

استعملوها أولاً فى معنى الطريقة المحمودة والعادة الحسنة.

ثم استعملوها فى الأخلاق الكريمة والشمائل الموروثة.

ثم توسَّعوا فأطلقوها على تهذيب النفس وتعليم المرء ما أثر من المحامد والمعارف»(٣).

ودعوى التطور الدلالى للكلمة ـ فيما أرى ـ غيرُ مسلمة، فإن استعمال الكلمة فى المعانى الثلاثة كان موجوداً بعد الإسلام، ولم يقل أحد من كبار علماء العربية والمصنفين فى معاجمهم بذلك، بل إن الأستاذ الزيات نفسه عاد ليؤكد أن هذه المعانى ظلت مستعملة حتى القرن الهجرى الثانى، فيقول بعد استعراض الآراء فى أصل الكلمة:

«ومهما يكن من القول فى أصل هذه الكلمة، فإنها دلَّت فى الجاهلية وصدر الإسلام على المعانى الثلاثة التى ذكرتها، ثم ظلت فى القرنين الأول والثانى من الهجرة مقصورة على هذه المعانى، أى العادات العامة وحسن التصرف، ثم جملة الأخلاق الكريمة الحاصلة من تربية النفس، ثم جملة المعارف التى تميز الخواص» ثم ذكر أن لفظ الأدب تطور فتولَّد من معانيه الأصلية معان أُخر اقتضتها الحال، فتولد من المعنى الأول: إطلاق الأدب على السنة النبوية، ثم عبروا بالأدب عن المنهج الواجب سلوكه فى تلقى

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: المظالم، باب: الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة فى السطوح وغيرها ٥/ ١١٤ـ ١١٦ (٢٤٦٨)، وفى كتاب: النكاح، باب: موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ٩/ ٢٧٨ـ ٢٧٩ (٥١٩١).

(٢) فتح البارى ٩/ ٢٨١.

(٣) أصول الأدب ص٧ـ٨.

علم من العلوم، أو مزاولة عمل من الأعمال، فأرادوا مثلاً بآداب الدرس: طريقة التعليم والتعلم، وبآداب البحث: قوانين المناظرة التى يجب اتباعها فى الرد والقبول. وربما رادف ألأدب الواجب، فيقال: آداب الرجل مع زوجته، أو أولاده.

ثم أطلق «الأدب» على الأناقة فى اللباس والطعام، واللباقة فى الحديث والكلام، فكان الأديب والظريف بمعنى واحد[1].

ومن المعانى لهذا المصطلح ما نقله الزبيدى من تقريرات شيوخه قالوا: «الأدبُ: مَلَكة تعصم من قامت به عما يشينه»[2].

وقال أبو زيد الأنصارى: «الأدب يقع على كل رياضةٍ محمودةٍ، يتخرج بها الإنسان فى فضيلةٍ من الفضائل»[3].

وقيل الأدب: استعمال ما يُحْمَد قولاً وفعلاً، أو الأخذ أو الوقوف مع المستحسنات، وقيل: هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك. وقيل: هو حسن الأخلاق وفعل المكارم[4].

وقال ابن عطاء رحمه الله: الأدب: «الوقوف مع المستحسنات». فقيل: وما معناه؟ قال: «أن تعامل الله تعالى بالأدب سرّاً وإعلاناً، فإذا كنت كذلك كنت أديباً، وإن كنت أعجميا»[5].

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: «قد أكثَر الناسُ فى الأدب، ونحن نقول: هو معرفة النفس»[6]. وفى رواية: «معرفة النفس ورعوناتها، وتجنُّب تلك الرعونات»[7].

وقيل للحسن البصرى رحمه الله: قد أكثر الناس فى علم الآداب، فما أنفعها عاجلاً وأفضلها آجلا؟ قال: «التفقه فى الدين؛ فإنه يصرف إليه قلوب المتعلمين، والزهد فى الدنيا؛ فإنه يقرِّبُك من رب العالمين، والمعرفة بما لله تعالى عليك، يحويها كمال الإيمان»[8].

وقال الحكيم الترمذى رحمه الله تعالى: «اعلم أن الأدب أن تنزل كلَّ شىء وضعه

---

(١) السابق ٩ـ ١٠. (٢) تاج العروس ١/ ١٤٤.
(٣) المصباح المنير ص١٢، وتاج العروس ١/ ١٤٤.
(٤) انظر: فتح البارى ١٠/ ٤٠٠، تحفة الأحوذى ٧/ ٣٦٢، تاج العروس ١/ ١٤٤.
(٥) لباب الآداب ص٢٢٧. (٦) السابق ص٢٣١.
(٧) مدارج السالكين ٢/ ٣٧٧. (٨) لباب الآداب ص ٢٣٠.

الله فى جسدك فى موضعه، فلا تزيله عن مكانه، كما أنك إذا دخلتَ على رجلٍ منزله، فرأيت كلَّ شيء ـ مما يوضع فى المنازل مما يُمْتَهَن، ويُؤكل، ويُشرَب، ويُبْسَط، ويُفرَش، ويُوضع ـ وُضع فى مكانه، فيقال للذى يلى ذلك أديب.

وإذا رأيتَ الأمتعةَ وهذه الأشياء التى وصفنا مطروحةً فى غير مواضعها؛ أوحشك ذلك، وسبق إلى قلبك سوءُ أدب من تولى حفظ ذلك المنزل وسكنه.

وكذا جسدك إنما هو بيت من بيوت الله، قلبُك آنيةٌ من أوانيه، وقد وَضَع فى جسدك أصنافاً من خِلَعه: منها الغضب، والرأفة، والرحمة، والشهوةُ والرغبةُ، والرهبة.

فالأدب: أن تنزل كل شيء وضعه الله فى جسدك من هذه الأشياء موضعه، كما وضعه، فإذا هاج منك ذلك الشيء فلستَ بملوم عليه، إنما تُلاَمُ وتُحْمَد على الاستعمال بهذا الهيجان؛ فإنه لم يضع فيك الغضب لتستعمله حيث ما تهوى، ولكن إذا رأيت معصية استعملتَ الغضب الذى وضعه فيك له، ومن أجله، على المقدار الذى حدّه لك، وهو: أن لا تغضب غضباً تقع به فى المعصية، فإذا فعلتَ هذا فقد تركت الغضب فى موضعه كما وضعه، فإذا غضبتَ غضبتَ له

وكذلك كل شهوة وضعها فيك من الأكل، والشرب، والجماع، واللباس، والركوب، والمشى، والنظر، والاستماع، والشم، والبطش، والسعى، والكلام، وغير ذلك، فإنما وضعها فيك لتستعملها له، ومن أجله، وعلى الحد الذى حدَّه لك، فإذا كنت كذلك فأنت أديب، وهذا أدبُ الدين»[1].

وجمع ابن القيم هذه التعريفات والاستعمالات للأدب، فقال: «والأدب: هو الدين كله»[2].

أما استعمال كلمة الأدب وإطلاقها على علوم العربية فأمر مُوَلَّدٌ حدث فى الإسلام[3]. وكان يطلق أولاً على الفصاحة وحسن النظم، وباعتباره علماً فإنه أطلق على العلوم التى تعين على ذلك، وهى علوم اللغة العربية «فلما أنشئت المدرسة النظَّامية ببغداد وجُعل لدراسة الأدب فيها موضع عَنَوْا بها ثمانية علوم، وهى النحو، واللغة، والتصريف، والعروض، والقوافى، وصنعة الشعر، وأخبار العرب، وأنسابهم.

---

(١) جواب كتاب من الريّ صـ١٧٤ـ ١٧٥.　　(٢) مدارج السالكين ٢/ ٣٨٤.

(٣) تاج العروس ١/ ١٤٤.

ثم جاء الزمخشرى (ت٥٣٨هـ) فعرَّف علوم الأدب: بأنها علومٌ يُحترز بها عن الخلل فى كلام العرب لفظاً وكتابةً، وجعلها اثنى عشر علماً بإضافة المعانى والبيان والإملاء والإنشاء، إلى ما تقدم»[١].

قال ابن القيم: «وعلم الأدب: هو علم إصلاح اللسان والخطاب، وإصابة مواقعه، وتحسين ألفاظه، وصيانته عن الخطأ والخلل. وهو شعبة من الأدب العام»[٢].

ثم ضاق تعريفه فى العصر الحديث، فصار يعرَّف بأنه «علم صناعى تعرف به أساليب الكلام البليغ فى كل حال من أحواله. وموضوعه: الكلام المنظوم والمنثور، من حيث فصاحته وبلاغته»[٣].

وذكر الأستاذ الزيات أنه صار له معنيان:

عام: يدل على جميع ما صُنِّف فى أى لغة من الأبحاث العلمية والفنون الأدبية، فيشمل كل ما أنتجته خواطر العلماء، وقرائح الكُتَّاب والشعراء.

وخاص: يراد به التعبير عن مكنون الضمائر ومشبوب العواطف وسوانح الخواطر، بأسلوب إنشائى أنيق، مع الإلمام بالقواعد التى تعين على ذلك»[٤].

ولعلَّ تسمية هذا اللون من التعبير «الأدب» حدثت باعتبار اللغة هى وعاء المعانى، وأداة التعبير عن الأشياء، ووسيلة التعبير عن حقيقة الخُلُق والأدب النفسى، بأسلوب حسنٍ مقبول، ولهذا قال علماء اللغة: سمى الأديب كذلك؛ لأنه يُؤدب الناس ـ أى يدعوهم ـ إلى المحامد، وينهاهم عن القبائح.

قال عبد الملك بن مروان: «ما الناس إلى شىء من الأدب أحوجَ منهم إلى إقامة ألسنتهم التى بها يتعاودون الكلام، ويتعاطَوْن البيان، ويتهادَون الحكمة، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها، ويجمعون ما تفرق منها؛ فإن الكلام قاضٍ يحكم بين الخصوم، وضياءٌ يجلو الظُّلَم، حاجة الناس إلى موادِّه حاجتُهم إلى مواد الأغذية»[٥].

على كل حالٍ يتضح من استعمالات الكلمة وتعريفاتها المختلفة التى سبقت أن الأدب يشمل الدينَ والدنيا، وأن منه ما هو أدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ بحسن العبادة لله وحده لا شريك له، وإقامة شعائر دينه على وفق ما جاء به رسول الله ﷺ،

---

(١) أصول الأدب صـ١١. (٢) مدارج السالكين ٢/ ٣٧٦.
(٣) جواهر الأدب فى أدبيات إنشاء لغة العرب: للسيد أحمد الهاشمى ١/ ١٤.
(٤) أصول الأدب ص١٢. (٥) لباب الآداب ص٢٢٨ـ ٢٢٩.

والتسليم لأمر الله ورسوله، ومنه ما هو أدب مع الخلق بحسن معاملتهم وحسن مخاطبتهم، ومنه ما هو أدبٌ مع النفس بتهذيبها وتعليمها وترويضها على المثل العليا والأخلاق الكريمة الفاضلة.

قال أبو نصر الطوُسىُّ السرَّاج رحمه الله:

«الأدب سند للفقراء، وزيْنُ للأغنياء، والناس فى الأدب متفاوتون، وهم على ثلاث طبقات: أهل الدنيا، وأهل الدين، وأهل الخصوصية من أهل الدين.

فأما أهل الدنيا: فإن أكثر آدابهم فى الفصاحة، والبلاغة، وحفظ العلوم، وأسْمَار الملوك، وأشعار العرب، ومعرفة الصنائع.

وأما أهل الدين: فإن أكثر آدابهم فى رياضة النفوس، وتأديب الجوارح، وطهارة الأسرار، وحفظ الحدود، وترك الشهوات، واجتناب الشبهات، وتجريد الطاعات، والمسارعة إلى الخيرات.

وأما أهل الخصوصية: فإن أكثر آدابهم فى طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعقود بعد العهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادى والطوارق، واستواء السر مع الإعلان، وحسن الأدب فى موقف الطلب وأوقات الحضور، والقُربة والدُنُوّ والصلة ومقامات القُرْب»[1].

المقصود بالأدب النبوى: بعد هذا الاستعراض ـ المبسوط شيئاً ما ـ لمصطلح الأدب، يمكننا أن نقول: إن المقصود بالأدب النبوى يختلف باختلاف غرض الباحث أو الكاتب.

فعلماء العربية والباحثون فى الأدب والبلاغة يعنون **بالأدب النبوى**: البلاغة والفصاحة وحسن البيان التى أوتيها النبى ﷺ، وهو ـ لا ريب ـ قد حاز من ذلك أعلى الدرجات، وأوتى جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً، وما قال عبارة قط وغيرها من كلام الناس أحسن منها، فهو أفصح من نطق بالضاد وأبلغ العرب قاطبة ﷺ.

وعلماء السيرة والباحثون فى الشمائل النبوية والخلال المصطفوية يعنون **بالأدب النبوى**: ما طبع الله عليه نبيه ﷺ من كريم الخصال، وما أدَّبه به من رفيع الآداب،

(١) لباب الآداب ص٢٣١، ومدارج السالكين ٢/ ٣٧٧. وكلاهما نقل عن «اللمع» لأبى نصر الطوسى ص١٤٢ـ ١٤٣.

حتى كان المثل الأكبر والأعظم للإنسانية فى كل أبواب الخير، لا يدانيه فى ذلك أحدٌ، ولا يُحفَظ عن غيره ـ حتى من الأنبياء والمرسلين ـ ما حفظ عنه من مكارم وشمائل وفضائل، ﷺ.

والمربُّون وعلماء الاجتماع وغيرهم يعنون **بالأدب النبوى**: الآداب التى جاءت بها السنة المطهرة، وأدَّب بها النبى ﷺ أصحابه وأمته، والتوجيهات التى صدرت منه ﷺ قولاً وفعلاً، فصنع بها أمةً كانت زينة الدنيا وبهجتها، وألَّف بها جيلاً لا تزال الدنيا تنظر إليه بإعجاب وإكبارٍ وإجلال، لما كان عليه من سموٍّ خُلُقى، وذوقى، وأدبٍ رفيع سامق.

وهذا المعنى الأخير هو المقصود فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى؛ بياناً لعظمة السنة، وإسهاماً فى كشف كنوزها الرائعة، والتماساً لبركة الصحبة المعنوية لأعظم من مشى على الأرض، وأفضل من ظهر فى الوجود ﷺ

فضيلة الأدب وأهميته:

التأديب والتهذيب من أفضل الأعمال وأجلِّها؛ لماله من عظيم الأثر فى إصلاح الحياة وحسن التعامل. ولهذا أمر به النبىُّ ﷺ، واعتبره أفضل عطاءٍ يعطيه الإنسان ولده، وأعظم ميراث يورثه إياه.

٣ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم»**(١).

٤ـ وعن عمرو بن سعيد بن العاص رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«ما نحل والدٌ ولداً من نَحْلٍ أفضلَ من أدبٍ حسن»**(٢).

٥ـ وعن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأَنْ يؤدِّب الرجلُ ولده خير له من أن يتصدق بصاع»**(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه فى كتاب: الأدب، باب: بر الوالدين والإحسان إلى البنات ٢/ ١٢١١ (٣٦٧١)، وفى الزوائد: «فى إسناده الحارث بن النعمان، وإن ذكره ابن حبان فى الثقات فقد ليَّنه أبو حاتم».

(٢) أخرجه الترمذى ـ وقال غريب ـ فى كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى أدب الولد ٤/ ٢٣٨ (١٩٥٢) وأحمد ٣/ ٤١٢، و٤/ ٧٧، ٧٨. قال الترمذى: هذا عندى حديث مرسل.

(٣) أخرجه الترمذى فى الموضع السابق ٤/ ٢٣٧ (١٩٥١) وضعفه من أجل ناصح بن العلاء الكوفى وأخرجه أحمد ٥/ ٩٦، ١٠٢ وذكر عبد الله بن أحمد أن أباه لم يخرج فى مسنده عن العلاء بن ناصح غير هذا الحديث؛ لأنه ضعيف.

قلت: الأحاديث المذكورة يشهد بعضها لبعض، ويقوى بعضها بعضاً إن شاء الله.

فمن أهم واجبات الآباء نحو الأبناء: توريثهم الأدب الحسن، وتعويدهم عليه، وتوجيههم للعمل به.

عن نمير بن أوس رحمه الله قال: «كانوا يقولون: الصلاح من الله، والأدب من الآباء»[١].

وكثر حديث السلف الصالح عن فضيلة الأدب، وأهميته فى الحياة، وهاك بعض ما أُثِر عنهم فى ذلك.

قيل لعبد الله بن المبارك رحمه الله ما خير ما أُعطى الرجل؟ قال: «غريزة عقل» قيل: فإن لم يكن؟ قال: «أدبٌ حسن». قيل: فإن لم يكن؟ قال: «أخ صالح يستشيره» قيل: فإن لم يكن؟ قال: «صمتٌ طويل». قيل: فإن لم يكن؟ قال: «موتٌ عاجل»[٢].

واجتمع جماعة مثل الفضل بن موسى ومخلد بن الحسين، فقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير. فقالوا: العلم والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه»[٣].

وقال ابن المبارك أيضا: «نحن إلى قليلٍ من الأدب أحوج منا إلى الكثير من العلم»[٤].

وقال يوسف بن الحسين الرازى رحمه الله: «بالأدب تتفهم العلم، وبالعلم يصح لك العمل، وبالعمل تنال الحكمة، وبالحكمة تفهم الزهد، وبالزهد تترك الدنيا وترغب فى الآخرة، وبذلك تنال رضا الله عز وجل»[٥].

وكان يُقال: «ثلاثة ليس معهن غربة: مجانبةُ الرِّيَب وكفُّ الأذى، وحسنُ الأدب».

وكان يقال: «من قعد به حَسَبُه نهض به أدبه».

وكان يقال: «أربعة يسود بها العبد: العلم، والأدب، والفقة، والأمانة».

وكان يقال: «الأدب خير ميراث، وحسنُ الخُلُق خير قرين.».

---

(١) الأدب المفرد للبخارى ص٤١ (٩٢)

(٢) روضة العقلاء ص١٧، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٧.

(٤) لباب الآداب ص٢٣١.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٠

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: «من تأدَّب بأدب الله صار من أهل محبة الله».

وقال سفيان الثورى رحمه الله: «من لم يتأدب للوقت فوقته مقت».

وقالوا: «من كثر أدبه شَرُف وإن كان وضيعا، وساد وإن كان غريبا، وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيرا».

وقال الحكيم: «الأدب يحرز الحظ، ويؤنس الوحشة، وينفى الفاقة، ويُعَرِّف النكرة، ويُثمر المكسبة، ويُكمِد العدو، ويَكْسب الصديق».

وقال بعض السلف: «ناهيك من شرف الأدب أن أهله متبوعون، والناسُ تحت راياتهم، فيعطف ربك عليهم قلوباً لا تعطفها الأرحام، وتجتمع بهم كلمة لا تأتلف بالغلبة، وتبذل دونهم مهجُ النفوس.

وقال بعض الحكماء: «أحسن الحلية الأدب، ولا حسب لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا أدب له، ومن تأدَّب من غير أهل الحسب ألحقه الأدب بهم».

وسمع بعض الحكماء رجلاً يقول: أنا غريب. فقال: الغريب من لا أدب له[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: «أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلةُ أدبه عنوانُ شقاوته وبواره، فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجُلب حرمانها بمثل قلة الأدب. فانظر إلى الأدب مع الوالدين كيف نجَّى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة[2]، والإخلال به مع الأم - تأويلاً وإقبالاً على الصلاة - كيف امتحن صاحبُه بهدم صومعته، وضرب الناس له، ورميه بالفاحشة[3].

وتأمَّلْ أحوال كل شقىٍّ ومغترٍّ ومدبرٍ، كيف تجد قلة الأدب هى التى ساقته إلى الحرمان.

وانظر إلى أدب الصديق رضى الله عنه مع النبى ﷺ فى الصلاة أن يتقدم بين

---

(١) هذه النقول من كتاب: «لباب الآداب»: فصل فى الأدب صـ٢٢٧: ٢٣٤

(٢) انظر القصة فى الحديث الحادى عشر فى باب النية الآتى بعد.

(٣) يشير إلى قصة العابد جريج الذى نادته أمه وهو يصلى، فقال فى نفسه: أمى وصلاتى، فرأى أن يؤثر صلاته، فلما لم يجبها ثلاث مرات دعت الله ألا يموت جريج حتى ينظر فى وجوه الموسات، فاتهمته امرأة بالزنا - إلى آخر القصة التى رواها أبو هريرة رضى الله عنه وأخرجها البخارى فى كتاب: العمل فى الصلاة، باب إذا دعت الأم ولدها فى الصلاة ٣/ ٧٨ (١٢٠٦) تعليقا، وفى كتاب المظالم، باب: إذا هدم حائطا فليبن مثله ٥/ ١٢٦ (٢٤٨٢) وفى كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿**واذكر فى الكتاب مريم**...﴾ ٦/ ٤٧٦ (٣٤٣٦) ومسلم فى كتاب: البر والصلة، باب: تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها ٤/ ١٩٧٦ - ١٩٧٨ (٢٥٥٠/ ٧ - ٨)، وأحمد ٢/ ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٨٥، ٤٣٣، ٤٣٤ والبخارى فى الأدب المفرد صـ٢٣ - ٢٤ (٣٣).

يديه، فقال: «ما كان ينبغى لابن أبى قحافة أن يتقدم بين يدى رسول الله ﷺ»، كيف أورثه مقامه والإمامة بعده، فكان ذلك التأخر إلى خلفه... بكل خطوة إلى وراء مراحل إلى قُدَّام، تنقطع فيها أعناق المَطِىّ، والله أعلم[1].

لكل هذه الأهمية كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يسعون لاكتساب الأدب، ويحثون على اكتسابه، لا فرق فى ذلك بين قادة الناس وعامتهم، أو بين عالمهم وعاميِّهم.

هذا عبد الله بن وهب رحمه الله يقول: «ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه»[2].

والوليد بن مَزْيد البيروتى يقول لابنه عباس ـ وكلاهما من المحدِّثين ـ: «يا بنىَّ، عجزت الملوك أن تؤدب نفسها وأولادها أدب الأوزاعى فى نفسه، ما سمعتُ منه كلمة قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيتُه ضاحكاً قط حتى يقهقه، ولقد كان إذا أخذ فى ذكر المعاد أقول فى نفسى: أتُرى فى المجلس قلبٌ لم يبك؟»[3].

وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده ـ وكان رجلاً من بنى زُهرة ـ:

«علِّمْهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، وروِّهم الشعر يشجُعوا وينجدوا، وجالِسْ بهم أشراف الناس وأهل العلم منهم؛ فإنهم أحسن الناس رِعَةً (يعنى ورعا)، وأحسنهم أدباً... وجنِّبْهم السفلة والخدم، فإنهم أسوأ الناس رِعَة، وأسوؤهم أدباً... واعلم أن الأدب أولى بالغلام من النَّسب»[4].

وقاال مالك رحمه الله: «كانت أمى تعمِّمُنى وتقول لى: اذهب إلى ربيعة، فتعلَّم من أدبه قبل علمه»[5].

ومن أفضل طرق اكتساب الأدب وترسيخه فى النفوس: مطالعة النصوص الشرعية الشريفة فى ألوان الآداب المختلفة. ولذلك صنف العلماء قديماً وحديثاً فى ذلك، وهذا الكتاب أرجو أن يكون له مكانه بين جهود العلماء الكثيرة فى هذا المضمار، وأسأله سبحانه أن يوفقنى لإتمامه، وأن يتقبله منى، وأن لا يؤاخذنى على زللى وخطئى. إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٩١ ٣٩٢. (٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ١١٣ وجامع بيان العلم: ١/ ٥٠٩(٨١٧).

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ١١٠. (٤) لباب الآداب ص٢٣٠.

(٥) ترتيب المدارك ١/ وينظر فى هذا الموضوع الرسالة القيمة التى كتبها محمد بن حسن بن عقيل موسى بعنوان «سلوك الأدب جمال الحياة» نشر دار الأندلس الخضراء بجدة.

ثانياً: معنى الحديث الموضوعى وفوائد دراسته

«الحديث الموضوعى» اصطلاح جديد شاع على ألسنة العلماء حديثاً، وأُطلق اسماً على مادة تُدَرَّس فى كليات أصول الدين بأقسامها المختلفة، وصار عنواناً للونٍ من ألوان دراسة الحديث الشريف.

ومع ذلك فلم أجد أحداً - فيما أعلم - من الباحثين والمدرِّسين تعرَّض لتعريف «الحديث الموضوعى» تعريفاً علميا، أو لبيان فوائد الدراسة الموضوعية للسنة المطهرة، ولذا رأيت أن أبدأ هذه الدراسة الموضوعية للأدب النبوى بتعريف للحديث الموضوعى، وذكر لبعض أهم فوائد الدراسة الموضوعية للسنة المطهرة، فأقول مستعيناً بالله:

«الحديث الموضوعى» مركَّبٌ وصفى، يلزم تعريف جزأيه قبل تعريفه.

فالحديث فى اللغة: له معنيان:

المعنى الأول: الجديد، نقيض القديم، يقال: حدُث الشىء، بضم الدال إذا ذُكر مع «قَدُم» على الازدواج[1].

٦ - ومن ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: «كنا نسلِّم فى الصلاة، ونأمر بحاجتنا، فقدمتُ على رسول الله ﷺ، وهو يصلى، فسلَّمتُ عليه، فلم يردَّ علىّ السلامَ، فأخذنى ما قَدُم وما حَدُث[2]، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «إن الله يُحدث من أمره ما يشاء، وإن الله عز وجلّ قد أحدث من أمره أن لا تكلَّموا فى الصلاة» فردَّ السلام»[3].

والحدوث: كون شىء لم يكن، وأحدثه الله، فهو مُحْدَثٌ وحديث، وكذلك استحدثه. يقال: استحدثت خبراً، أى وجدت خبراً جديدا.

ومنه قيل لكلام النبى ﷺ «حديث» باعتباره جديداً فى مقابلة كلام الله القديم وهو القرآن الكريم.

والمعنى الثانى: الخبر، أو القصة، أو مطلق الكلام، ويأتى على القليل والكثير[4].

(١) انظر: الصحاح ١/٢٧٨، والقاموس المحيط ١/١٦٤، وتاج العروس ١/٦١١.
(٢) قال ابن الأثير فى النهاية ١/٣٥١: «يعنى همومه وأفكاره القديمة والحديثة».
(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: رد السلام فى الصلاة١/٢٤٣(٩٢٤)، والطيالسى صـ٣٣(٢٤٥).
(٤) انظر: القاموس المحيط ١/١٦٤، وتاج العروس ١/٦١٢، وكشاف اصطلاحات الفنون ٢/١٣.

من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**﴾ (طه ٩، النازعات ١٥) وقوله ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ**﴾ (الذاريات ٢٤)، وقوله عز وجل ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ**﴾ (البروج ١٧)، يعنى أخبارهم وقصصهم

ومن ذلك وصف القرآن بأنه حديث، أى كلام، فى آيات كثيرة، منها قوله تعالى ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ**﴾ (الزمر ٢٣).

٧ ـ **ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله** رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: «**إن أصدق الحديث كتابُ الله**»[١].

وجمع حديث: أحاديث، كما فى قوله تعالى ﴿**فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ**﴾ (المؤمنون ٤٤)، وهو جمع شاذ على غير قياس. وقيل: يجمع على «حُدْثان» بكسر الحاء وضمها، والضم قليل، وقيل: يجمع على «أَحْدِثة»، على وزن أَفْعِلَة، ككتيب وأَكْتِبة[٢].

وفى اصطلاح المحدثين: ما أضيف إلى النبى ﷺ من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، أو صفة خِلْقية وخُلُقية.

ويضيف بعض العلماء إلى ذلك: أقوال الصحابة وأفعالهم، ويزيد آخرون: أقوال التابعين وأفعالهم[٣].

وقد اختص الحديث بأقواله ﷺ فى وقت مبكِّر، وذلك فى حياته وعلى لسانه ﷺ.

٨ ـ يشهد لذلك **ما رواه أبو هريرة** رضى الله عنه؛ أنه سأل النبى ﷺ: يا رسول الله، مَنْ أسعد الناس بشفعاتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحدٌ أولَ منك؛ لما رأيتُ من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، أو نفسه**»[٤].

---

(١) أخرجه النسائى فى كتاب: صلاة العيدين، باب: كيف الخطبة ٣/ ١٨٨. وعند مسلم فى كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة ٢/ ٥٩٢ (٨٦٧/ ٤٣) بلفظ: «فإن خير الحديث كتاب الله».

(٢) انظر: القاموس المحيط ١/ ١٦٤، وتاج العروس ١/ ٦١٢، ومختار الصحاح صـ١٢٥

(٣) ممن قال بذلك: الطيبى انظر: تدريب الراوى ١/ ٤٢، والموافقات للشاطبى ٤/ ٧، وانظر فى التعريف: نزهة النظر ص١٨، وكشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٣.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: الحرص على الحديث ١/ ١٩٣ (٩٩)، وفى كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار ١١/ ٤١٨ (٦٥٧٠)، وأحمد ٢/ ٣٧٣.

وباعتبار الحديث علماً فإنه ينقسم قسمين: علم الرواية، وعلم الدراية.

أما علم الحديث رواية: فهو علم يشتمل على أقوال النبى ﷺ، وأفعاله، وتقريراته وصفاته، وروايتها، وتحرير ألفاظها.

وأما علم الحديث دراية: فهو علم يُعرف منه حقيقة الرواية، وشروطها، وأنواعُها، وأحكامُها، وحالُ الرواة، وشروطُهم، وأصناف المرويات وما يتعلق بها.

أو هو القواعد المعرِّفة بحال الراوى والمروى، أو بحال السند والمتن[1].

وأما «الموضوعى» فهو نسبة إلى «الموضوع» مأخوذ من «الوضع»، وهو ضد الرفع، وهو لفظ يدل على الخفض للشىء والحطِّ له، يقال: وضع الشىء من يده وضعا: إذ ألقاه، قال تعالى ﴿ **فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ** ﴾ (النور ٦٠) أى يُلقين ويطرحن ثيابهن عن أجسادهن.

ووضع عنه الدين أو الدم يضعه وضعاً: أسقطه عنه، وفى الحديث «ينزل عيسى بن مريم فيضع الجزية» أى يسقطها ويحمل الناس على دين الإسلام، فلا يبقى ذمِّى تؤخذ منه الجزية.

ووضع الشىء وضعاً: اختلقه، ومنه الحديث الموضوع.

وتواضع القوم على الشىء: اتفقوا عليه.

والتواضع: التذلل، وتواضع الرجل: ذلّ.

ووُضع الرجل فى تجارته ضَعَةً وضِعةً ووضيعةً فهو موضوع فيها، وأُوضِع ووَضِع وضَعاً: أى غبُن وخسر فيها.

ووضعت المرأة وضعا: أى ولدت وألقت جنينها.

والوضع: أهون سير الدواب والإبل، وقيل: هو ضرب من سير الإبل دون الشد.

والوضائع: قوم كان كسرى ينقلهم من أرضهم، فيسكنهم أرضاً أخرى، يستقرون فيها.

والوضيع: الدنىء من الناس، عكس الشريف أو الرفيع[2].

---

(١) تدريب الراوى ١/ ٤٢.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦/ ١٧ ـ ١٨، والصحاح ٣/ ١٢٩٩ ـ ١٣٠١، ولسان العرب ٨/ ٣٩٦ ـ ٣٩٨، وتاج العروس ٥/ ٥٤٣ ـ ٥٤٥.

وعلى ذلك فالكلمة فى اللغة تعنى مطلق جعل الشىء فى مكان، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت فى المكان.

والموضوع فى اصطلاح المحدثين: هو الكذب المختلق المصنوع[1]، المنسوب كذباً إلى النبىّ ﷺ، وهو باطلٌ لا أصل له.

وهذا المعنى ليس مقصوداً هنا بالطبع.

وإنما المقصود هنا - والله أعلم - الأمور التى تعددت أساليبها وأماكنها ولها جهة واحدة يمكن أن تجتمع فيها، سواء عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة[2].

وعلى ذلك يمكن تعريف الحديث الموضوعى بأنه: علم يبحث فى القضايا التى تناولتها نصوص الأحاديث، المتحدة فى المعنى، أو فى الغاية، أو فيهما معاً، وذلك بجمعها من مصادرها المتعددة، ووضعها فى مكان واحد، والنظر فيها على هيئةٍ مخصوصةٍ، بشروط مخصوصةٍ، لبيان معانيها، واستخراج عناصرها، والربط بينها برباطٍ جامع.

فمثلاً قضية الجهاد: نقوم بجمع الأحاديث الواردة فى الجهاد، ونخرِّجها من مصادر السنة المختلفة، ونأخذ منها ما يصلح للحجة فى بابه.

ثم ننظر فيها، لنستخرج العناصر، ونرتبها ترتيباً علميّا منطقياً متسلسلاً، بحيث يكون الانتقال من عنصرٍ إلى عنصر أمراً طبيعيّا ومنطقياً، حسب قواعد التأليف والبحث العلمى.

فنبدأ ببيان المقصود بالجهاد، وغاية الجهاد فى الإسلام، ثم صور الجهاد وأنواعه، ثم أحكام الجهاد وفضائله ومراتبه، ثم آثاره المادية والمعنوية على الفرد والأمة، ثم وسائل بث الروح الجهادية فى الأمة... إلى آخر ما يمكن استخراجه من عناصر من خلال نصوص الأحاديث التى جُمعت.

أما الرابطة الجامعة بين الأحاديث فهى إما أن تكون فى الغاية فقط، وإما أن تكون فى المعنى والغاية معاً، وعلى هذا يمكن تقسيم الحديث الموضوعى إلى نوعين:

الأول: الحديث الموضوعى العام: وهو الذى بين أطراف موضوعه وحدة فى الغاية فقط، لا فى أصل المعنى.

---

(١) انظر: تدريب الراوى ١/ ٢٧٤.

(٢) انظر تعريف التفسير الموضوعى للدكتور عبد الستار سعيد فى كتابه «المدخل إلى التفسير الموضوعى» ص١٩ - ٢٠.

بمعنى أن هذا الموضوع يكون له أصل فى الأحاديث، ولكن تحته قضايا كثيرة متعددة، لا يربط بينها إلا وحدة الغاية، وهى وحدة محققة حتى وإن كانت بعيدة.

من ذلك مثلاً قضية الأدب، موضوع هذه الدراسة، فهى تشمل الأحاديث التى تتناول الأدب النبوى، فى قضايا متعددة، يجمع بينها أنها من جملة الأدب. انظر مثلاً فى كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخارى تجد فيه ما يقرب من ستمائة وخمسين باباً من أبواب الأدب فى مختلف الأمور، ففيه أبواب متعددة فى أدب بر الوالدين، وأدب صلة الأرحام، وأدب رعاية الأولاد، وأدب حسن الجوار، وأدب كفالة الأيتام، وأدب العفو، وأدب معاملة العبيد والخدم، وأدب الصدقة والمعروف، وأدب اللعب والمزاح، وأدب حسن العشرة، وحسن الخُلُق، وأدب زيارة الإخوان، وأدب رحمة الصغار، وأدب الصبر، وأدب الصداقة، وأدب الكلام، وأدب عيادة المرضى، وأدب التواضع، وأدب الحياء، وأدب الاستغفار والدعاء والاستعاذة، وأدب الضيافة، وأدب التسمِّى، وأدب كتمان السر، وأدب الأخوة، وما يحق للمسلم على المسلم، وأدب الاستئذان، وأدب المجالسة، وأدب الذكر، وأدب الختان، إلى غير ذلك من الآداب الكريمة.

ومن ذلك كتب «الترغيب والترهيب من الحديث الشريف»، و «رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين» و «الزهد» وغير ذلك من الكتب التى تحوى أحاديث فى موضوعات مختلفة، تربطها غاية واحدة.

الثانى: الحديث الموضوعى الخاص: وهو الذى يقوم على وحدة المعنى والغاية بين أطرافه وأفراده، فتكون الرابطة بينهما خاصة وقريبة.

من ذلك كل موضوع خاص من الموضوعات التى تناولها كتاب «الأدب المفرد» على النحو السابق، وكذلك موضوع «آداب النية والإخلاص» وموضوع «آداب المجالسة» الواردان فى هذا الكتاب.

ومن ذلك كتب الإمام الحافظ أبو بكر بن أبى الدنيا الكثيرة ككتاب: «الصمت» و «الشكر» و «التوكل على الله» و «التواضع والخمول»، وغيرها من كتبه وكتب غيره من مشاهير العلماء.

ومن ذلك موضوع «اليهود فى السنة النبوية المطهرة» وموضوع «منهج السنة فى العلاقة بين الحاكم والمحكوم» ونحو ذلك.

أشكال التصنيف فى الحديث الموضوعى:

من الواضح أن التصنيف الموضوعى كان أسبق فى الظهور فى الحياة العلمية من غيره من أشكال التصنيف، وإن لم يكن بصورته الكاملة المقصودة هنا.

ذلك أن التصنيف على الأبواب هو فى الحقيقة تصنيف موضوعى، إذ يجمع المصنف أحاديث كل باب على حدة، وكل مجموعة من الأبواب فى كتابٍ واحدٍ، سواء كان فى ذلك يقتصر على الحديث المرفوع فقط، أم يضم إليه الموقوف والمقطوع، وسواء كان يقتصر على ما صح فقط، أم يجمع ما صح وما لم يصح.

وقد كان هذا التصنيف على الأبواب أسبق فى الظهور من أشكال التصنيف الأخرى؛ لأنه كان فى خدمة الفقه، ونتيجةً من نتائج الدعوة إلى التفقه، وذلك فى النصف الأول من القرن الهجرى الثانى

وأقدم ما وصلنا من تلك الفترة «الموطأ» لإمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله، الذى صنّفه على مسائل الفقه، وجمع فيه بين المرفوع والموقوف والمقطوع، وآراء علماء المدينة، ورأى المصنف نفسه

ومن أقدمها أيضا كتاب «الزهد» لعبد الله بن المبارك، وغيره من الكتب التى صُنِّفت فى تلك الفترة.

ثم تلا ذلك قيام بعض العلماء بتصنيف المصنفات الكبيرة على أبواب الفقه، جامعين بين المرفوعات والموقوفات والمقاطيع، مثلما فعل عبد الرزاق بن همام الصنعانى فى «المصنف»، وأبو بكر بن أبى شيبة فى «المصنف فى الأحاديث والآثار»، وسعيد بن منصور فى «السنن» وغيرهم.

ثم تلا ذلك التأليف فى المرفوع فقط دون غيره إلا فى النادر، فخرجت الكتب الستة المشهورة للأئمة: البخارى، ومسلم، وأبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وغيرها من الكتب الكثيرة التى حفل بها القرن الهجرى الثالث ثم الرابع.

وفى هذه الفترة ظهرت أيضا كتب الحديث الموضوعى الخاص، فألف أبو داود فى القدر، والترمذى فى الشمائل المحمدية، والنسائى فى عمل اليوم والليلة، وغيرهم كابن أبى الدنيا فى موضوعات مختلفة.

وتوالى التصنيف الموضوعى بعد ذلك وتعدد، وبعد انتهاء عصر الأسانيد لم يتوقف

العلماء عن التصنيف الموضوعى عن طريق جمع أحاديث الموضوع وتخريجها من المصادر المختلفة.

فصنف الإمام أبو يحيى زكريا بن يحيى بن شرف النووى «الأذكار من كلام سيد الأبرار» و«رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين» وألف الإمام عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى «الترغيب والترهيب من الحديث الشريف»، وألف كثيرون غيرهما من العلماء مثل تلك التصانيف.

على أن ذلك كله يمكن أن يُسَمَّى «**جمعاً موضوعيا**»، والكتب فيه كثيرة جداً، وهو الشكل الأول والأقدم مما يمكن أن نسميه «حديثا موضوعيًا»، وهو فى مقابلة التصنيف على المسانيد أو المعاجم أو الأجزاء أو المشيخات ونحوها.

أما الشكل الثانى: فهو ما يمكن أن يسمى «**الشرح الموضوعى**» فى مقابلة «الشرح التحليلى» الذى يرتبط بشرح كتاب معين ـ ولو كان مصنَّفاً على الموضوعات ـ على ترتيب صاحب الكتاب المشروح، وربما تكررت فيه القضية فى مواضع مختلفة ومتفرقة، لكن الشارح يلتزم بشرحها حديثاً حديثاً، متناولاً فى شرح الحديث الواحد شرح قضاياه المتعددة، كشرح البخارى المعروف «فتح البارى» للحافظ ابن حجر العسقلانى، وشرح مسلم للنووى، وغيرهما من الشروح المعروفة.

ويمكن أن يدخل فى هذا الشرح الموضوعى كتاب «زاد المعاد فى هدى خير العباد ﷺ» لابن قيم الجوزية رحمه الله.

وهذا ـ والله أعلم ـ هو المقصود اليوم بما يسمى «الحديث الموضوعى» فى مقابلة ما يسمى «الحديث التحليلى».

وقد أُلِّفت كتب كثيرة، ونوقشت رسائل علمية متعددةٌ فى هذا مما يسمى «منهج السنة فى كذا» أو دراسة موضوع ما فى ضوء السنة، أو نحو ذلك.

والشرح الموضوعى ـ كما هو واضح ـ يشمل الجمع الموضوعى فى ضمنه، إذ يبدأ الباحث أو الكاتب بجمع النصوص النبوية فى الموضوع الواحد، ثم يأخذ فى ترتيبها وشرحها والربط بينها والتعليق عليها، بما يجلِّيها ويوضحها ويبرز فوائدها. وهذا هو منهجى فى هذا الكتاب.

على أنه لابد من الإشارة إلى بعض الأمور المهمة على النحو التالى:

١ ـ باعتبار السنة هى شارحة القرآن فإنه لا مانع من تناول بعض الآيات القرآنية فى

الموضوع، على أن يكون مدار البحث على الحديث أصلاً، وإلا خرج عن كونه حديثاً موضوعياً إلى موضوع إسلامى عام.

٢ ـ باعتبار أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام هى الفهم والشرح ثم التطبيق العلمى للسنة المطهرة، علاوة على أن بعض العلماء يُدخلون الموقوفات والمقاطيع فى مسمى «السنة» و «الحديث»، فإن من الضرورى الاستعانة بذلك كله فى الشرح الموضوعى.

٣ ـ تجنب الحشو والاستطراد فى التعليق، إلا لفائدة هامة يستلزمها البحث، ويقتضيها الشرح والتوضيح.

٤ ـ مراعاة صلاحية الأحاديث المجموعة للحجة فى بابها، فإذا كان الموضوع فى أبواب الأحكام الشرعية فلابد أن تكون الأحاديث صحيحة الإسناد أو حسنة الإسناد، حتى يصح الاحتجاج بها، أما إن كان الموضوع فى الآداب أو الفضائل ونحوها جاز الاحتجاج بالضعيف على الصحيح من أقوال العلماء بالشروط التى ذكرها العلماء، والتى أجملها ابن حجر فى ثلاثة شروط:

أ ـ شرط متفق عليه: وهو أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفرد من الكذابين والمتَّهمين، ومن فحُش غلطه.

ب ـ أن يكون مندرجاً تحت أصل عام، فيخرج ما يُختَرع بحيث لا يكون له أصل أصلاً.

جـ ـ أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته؛ لئلا يُنسب إلى النبى ﷺ ما لم يقله.

والشرطان الأخيران ذكرهما ابن عبد السلام وابن دقيق العيد(١).

ومن ثَمَّ فقد تجد فى هذا الكتاب بعض الأحاديث الضعيفة، إلا أنها مراعًى فيها هذه الشروط، وصالحة للحجة فى باب الأدب إن شاء الله تعالى.

فوائد الدراسة الموضوعية:

للحديث الموضوعى جمعاً كان أو شرحاً فوائد كثيرة متعددة، وهاك بعضها:

١ ـ جمع الأحاديث فى الموضوع الواحد فى مكانٍ واحدٍ يعين على الفهم الصحيح للسنة، قبل أن يعمل الإنسان أو يفتى بمقتضى واحدٍ منها، فيخطىء.

(١) انظر تدريب الراوى ١/٢٩٨ ـ ٢٩٩، والأجوبة الفاضلة ص٤٣ ـ ٤٤.

فقد يَرِدُ الحديث فى مكان، وتمامُ الغرض منه فى مكان آخر، أو تأتى رواية بحكم، وتمامُ المقصود فى رواية أخرى، فلابد عندئذٍ من جمع طرق الحديث ورواياته، ليسهل فهمُهُ ويصح.

٩ ـ **من ذلك حديث أبى هريرة** رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**ليس على المسلم فى فرسه وغلامه صدقة**»[١] زاد فى رواية: «إلا صدقة الفطر»[٢] وفى رواية ثالثة: «ليس فى الخَيل والرقيق زكاة إلا زكاة الفطر فى الرقيق»[٣].

فالروايتان الأخيرتان أفادتا أن الصدقة المنفية عن الغلام ليس المراد بها كل الصدقات، بل يخرج عنها صدقة الفطر.

فإذا جمعنا الأحاديث الأخرى فى الباب تبيَّن لنا صحة هذا التخصيص، ومن تلك الأحاديث.

١٠ ـ **حديث ابن عمر** رضى الله عنهما: «فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على كل حرٍّ أو عبدٍ، ذكرٍ أو أنثى من المسلمين»[٤].

وقد يرد فى الموضوع عدة أحاديث، لا يمكن فهم أحدها إلا فى ضوء الأحاديث الأخرى، وإلا حصل الغلط وسوء الفهم.

١١ ـ من ذلك الحديث المروى عن **جماعة من الصحابة،** عن النبى ﷺ قال: «**إن كان الشؤم فى شىءٍ ففى الدار والمرأة والفرس**»[٥].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الزكاة، باب: ليس على المسلم فى فرسه صدقة ٣/ ٣٢٧ (١٤٦٣)، وباب: ليس على المسلم فى عبده صدقة ٣/ ٣٢٧ (١٤٦٤)، ومسلم فى كتاب: الزكاة، باب: لا زكاة على المسلم فى عبده وفرسه ٢/ ٦٧٥ ـ ٦٧٦ (٩٨٢/ ٨ ـ ٩)، وأبو داود فى كتاب: الزكاة، باب: صدقة الرقيق ٢/ ١٠٨ (١٥٩٥)، والترمذى فى كتاب: الزكاة، باب: ما جاء ليس فى الخيل والرقيق صدقة ٣/ ٢٦٨ (٦٢٤)، والنسائى فى كتاب: الزكاة، باب: زكاة الخيل ٥/ ٣٥، وباب: زكاة الرقيق ٥/ ٣٦، وابن ماجه فى كتاب: الزكاة، باب: صدقة الخيل والرقيق ١/ ٥٧٩ (١٨١٢).

(٢) مسلم فى السابق (٩٨٢/ ١٠).　　(٣) أبو داود فى السابق (١٥٩٤).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: الزكاة، باب: صدقة الفطر على العبد وغيره من المسلمين ٣/ ٣٦٩ (١٥٠٤)، ونحوه فى باب: صدقة الفطر على الحر والمملوك ٣/ ٣٧٥ (١٥١١) وباب: صدقة الفطر على الصغير والكبير ٣/ ٣٧٧ (١٥١٢)..

(٥) الحديث عن ابن عمر، أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: ما يذكر من شؤم الفرس ٦/ ٦٠ (٢٨٥٨)، وفى كتاب: النكاح، باب: ما يتقى من شؤم المرأة ٩/ ١٣٧ (٥٠٩٣، ٥٠٩٤)، وكتاب: الطب، باب: الطيرة ١٠/ ٢١٢ (٥٧٥٣)، وباب: لا عدوى ١٠/ ٢٤٣ (٥٥٧٢)، ومسلم فى كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل ٤/ ١٧٤٧ ـ ١٧٤٨ (٢٢٢٥/ ١١٥ ـ ١١٨)، وأبو داود فى كتاب: الطب، باب: الطيرة ٤/ ١٩ (٣٩٢٢)، والترمذى فى كتاب: الأدب، باب: ما جاء فى الشؤم ٥/ ١٢٦ (٢٨٢٤)، والنسائى فى كتاب: الخيل، باب: شؤم الخيل ٦/ ٢٢٠، وابن ماجه فى كتاب: النكاح، باب: ما يكون=

فهذا حديث ثابت صحيح مروى عن عدة من الصحابة من عدة طرق، غير أنه لو فهم بمعزل عن بقية الأحاديث فى الموضوع لأدى إلى الخطأ وأوقع فى السوء، إذ لا ذنب للفرس والمرأة والدار فيما يحصل للعبد، بل جاءت الأحاديث الكثيرة تنهى عن التشاؤم والطيرة. ولهذا وجب أن يضم إلى هذا الحديث الأحاديثُ الأخرى الواردة فى الموضوع، حتى نفهمه فهماً سليماً، ولا يطير به الدجالون من العلمانيين الذين يتهمون الإسلام بظلم المرأة وهضم حقوقها، وأنه يعتبرها مخلوقًا شرِّيرًا.

وهاك الأحاديث الأخرى فى الموضوع والتى تفسر المقصود:

١٢ ـ **عن سعد بن أبى وقاص** رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: **«من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقوة ابن آدم ثلاثة: من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح. ومن شقوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء»**[١].

١٣ ـ **وفى رواية: «ثلاث من السعادة، وثلاث من الشقاوة. فمن السعادة: المرأة تراها تعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيةً، فتُلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق. ومن الشقاوة: المرأةُ تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبتَ عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قَطوفاً[٢] فإن ضربْتَها أتعبتْك، وإن تركبْها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيِّقةً قليلة المرافق»**[٣].

= فيه اليمن والشؤم ١/ ٦٤٢ (١٩٩٥)، ومالك فى كتاب: الاستئذان باب: ما يتقى من الشؤم ٢/ ٧٤١(٢٢)، وأحمد ٢/ ٨، ٣٦، ١١٥، ١٢٦، والطيالسى ص ٢٥٠ (١٨٢١).

وعن سهل بن سعد، أخرجه البخارى فى الموضع السابق من كتاب الجهاد (٢٨٥٩)، وكتاب النكاح (٥٠٩٥)، ومسلم فى الموضع السابق (٢٢٢٦/ ١١٩)، وابن ماجه فى السابق (١٩٩٤)، ومالك فى السابق (٢١)، وأحمد ٥/ ٣٣٥، ٣٣٨.

وعن سعد بن مالك، أخرجه أبو داود فى الموضع السابق (٣٩٢١).

وعن جابر، أخرجه مسلم فى السابق (٢٢٢٧/ ١٢٠)، والنسائى فى السابق ٦/ ٢٢٠ ـ ٢٢١، وابن حبان ٩/ ٣٤١ (٤٠٣٣) وانظر: مجمع الزوائد ٥/ ١٠٤ ـ ١٠٥.

(١) أخرجه أحمد ١/ ١٦٨، والبزار، انظر: كشف الأستار ٢/ ١٥٦ (١٤١٢، ١٤١٣)، والطبرانى فى الكبير ١/ ١٤٦ (٣٢٩)، وقال الهيثمى فى المجمع ٤/ ٢٧٢: «رجال أحمد رجال الصحيح»، وصححه ابن حبان ٩/ ٣٤٠ (٤٠٣٣)، والحاكم ٢/ ١٤٤، ووافقه الذهبى. وعند ابن حبان «أربع» وزاد فيها: الجار الصالح، والجار السوء.

(٢) القَطُوف: بفتح القاف، فَعُول من القطَاف، وهو تقارب الخطو فى سرعة. (انظر النهاية ٤/ ٨٤).

(٣) أخرجه الحاكم ٢/ ١٦٢ وقال: «صحيح الإسناد من خالد بن عبد الله الواسطى إلى رسول الله ﷺ، =

١٤ ـ وعن أسماء بنت عميس رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «**إن من شقاء المرء فى الدنيا ثلاثة: سوء الدار، وسوء المرأة، وسوء الدابة**».

قيل، يا رسول الله، ما سوء الدار؟ قال: «**ضيقُ مساحتها، وخُبْثُ جيرانها**». قيل: فما سوء الدابة؟ قال: «**منعُها ظهرَها، وسوءُ طبعها**». قيل: فما سوء المرأة؟ قال: «**عُقْمُ رحمها، وسوءُ خُلُقها**»[١].

فهذه الأحاديث تفسِّر المقصود بالشؤم فى الحديث الأول، ويتعيَّن علينا أن نفهمه فى ضوئها، ويكون المعنى: إن يكن شؤم فى شىء ـ على ما يقول أهل الجاهلية ـ فإنه يكون فى هذه الثلاثة، إذا ساءتْ طباعُها، وفسدتْ أخلاقُها، وأتعبتْ أصحابها، وآذت المتعاملين معها. وهى نفسها مصدر سعادة إذا طابت الطباع، وحسنت الأخلاق، واتسعت الدار، وكثرت مرافقها، وصلح جيرانها.

ولقد كانت السيدة عائشة تعيب على من يروى حديث الشؤم، وترى أنه كان حكاية من النبى ﷺ عن قول اليهود وأهل الجاهلية.

١٥ ـ فعن أبى حسان الأعرج أن رجلين دخلا على **عائشة** فقالوا: إن **أبا هريرة** يحدث أن نبى الله ﷺ كان يقول: «**إنما الطِّيرة فى المرأة والدابة والدار**». قال: فطارت شقةٌ منها فى السماء، وشقةٌ فى الأرض، فقالت: «والذى أنزل القرآن على أبى القاسم، ما هكذا كان يقول، ولكن نبىَّ الله ﷺ كان يقول: «**كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة فى المرأة، والدار، والدابة**» ثم قرأت عائشة ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ**﴾[٢] (الحديد ٢٢).

١٦ ـ وعن مكحول قال: قيل **لعائشة: إن أبا هريرة** يقول: قال رسول الله ﷺ «**الشؤم فى ثلاث: فى الدار، والمرأة والفرس**». فقالت عائشة: «لم يحفظ أبو هريرة؛ لأنه دخل ورسول الله ﷺ يقول: «**قاتل الله اليهود؛ يقولون: إن الشؤم فى ثلاث: فى الدار، والمرأة، والفرس**» فسمع آخر الحديث، ولم يسمع أوله»[٣].

= تفرَّد به محمد بن بكير عن خالد، إن كان حفظه فإنه صحيح على شرط الشيخين» قال الذهبى: «محمد، قال أبو حاتم: صدوق يغلط، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة»

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير٢٤/ ١٥٣ـ١٥٤(٣٩٥)وقال الهيثمى فى المجمع٥/ ١٠٥: «فيه من لم أعرفهم».

(٢) أخرجه أحمد ٦/٢٤٦، وانظر ٦/ ١٥٠، ٢٤٠، والطحاوى فى شرح معانى الآثار ٤/ ٣١٤ وقال الهيثمى عن إسناد أحمد ٥/ ١٠٥: «رجاله رجال الصحيح».

(٣) أخرجه الطيالسى ص٢١٥ (١٥٣٧) عن محمد بن راشد المكحولى عن مكحول، ومحمد بن راشد وثقه الأكثرون، وقال ابن حجر: صدوق يَهِم، ورُمى بالقدر.

وبهذا الجمع للأحاديث يتضح أن المراد بالشؤم فى تلك الأشياء هو تلك المعانى الواردة فى حديث سعد بن أبى وقاص، وحديث أسماء بنت عميس، وليس الشؤم بذواتها وأعيانها، ولا هو التَّطيُّر بها، كما كان يفعل أهل الجاهلية.

وعليه؛ فمن كانت له دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو دابة يكره سيرها؛ فليتركها، وليفارقها، من غير تطيُّرٍ، ولا تشاؤم، ولا متابعةٍ لفعل أهل الجاهلية.

٢ ـ جمع أحاديث الموضوع الواحد فى مكان واحد يعين على إزالة ما قد يبدو من تعارض بين بعض الأحاديث، فيتبيَّن المطلق من المقيَّد، والخاص من العام، والناسخ من المنسوخ، ويُنَزَّل كل حديث منزلته اللائقة به، ويُفْهَم المقصود منه على الصواب.

فمثلاً من الأحاديث التى أفتى الظاهرية بمقتضاها خطأ:

١٧ ـ الحديث الذى رواه جماعة من الصحابة عن النبى ﷺ قال: «**إذا شربوا الخمر فاجلدوهم، ثم إن شربوا فاجلدوهم، ثم إن شربوا فاجلدوهم، ثم إن شربوا فاقتلوهم**»[(١)].

فقد قال الظاهرية ـ بناءً على هذا الحديث ـ بقتل شارب الخمر فى المرة الرابعة، مخالفين بذلك جماهير العلماء الذين قالوا بنسخ القتل بناءً على الأحاديث الأخرى الواردة فى الباب[(٢)]، ولذلك قال الترمذى معلقاً على الحديث:

إنما كان هذا فى أول الأمر، ثم نسخ بعد.

١٨ ـ هكذا روى محمد بن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، عن النبى ﷺ قال: «**إن من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد فى الرابعة فاقتلوه**» قال: ثُم أُتِى النبى ﷺ بعد ذلك برجلٍ قد شرب فى الرابعة، فضربه ولم يقتله[(٣)].

---

(١) الحديث عن معاوية بن أبى سفيان: أخرجه أبو داود فى كتاب: الحدود، باب: إذا تتابع فى شرب الخمر ٤/ ١٦٤ (٤٤٨٢)، والترمذى فى كتاب: الحدود، باب: ما جاء من شرب الخمر فاجلدوه ٤/ ٤٨ (١٤٤٤)، وابن ماجه فى كتاب: الحدود، باب: من شرب الخمرمراراً ٢/ ٨٥٩ (٢٥٧٣)، وأحمد ٤/ ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٠١، وصححه ابن حبان ١٠/ ٢٩٦ (٤٤٤٦)، والحاكم ٤/ ٣٧٢.
وفى الباب عن أبى هريرة فى المواضع السابقة، وعند أحمد ٢/ ٢٨٠، ٢٩١، ٥١٩. وعن ابن عمر فى المواضع نفسها، وعند أحمد ٢/ ١٣٦، ١٦٦، وعن جماعة من أصحاب النبى ﷺ، ونقل الترمذى عن البخارى أن حديث معاوية أصح شىء فى هذا الباب.

(٢) انظر ما قاله ابن حزم فى المحلى ١١/ ٣٦٥ ـ ٣٧٠.

(٣) أخرجه البزار، انظر: كشف الأستار ٢/ ٢٢١ (١٥٦٢) وزاد فيه تسمية المحدود: النعيمان، وقال: وكان ذلك ناسخاً للقتل.

وكذلك روى الزهرى عن قبيصة بن ذؤيب، عن النبى ﷺ نحو هذا، قال: فرُفع القتل، وكانت رخصة[1].

والعمل على هذا عند عامة أهل العلم، ولا نعلم بينهم اختلافاً فى ذلك فى القديم والحديث.

١٩ ـ ومما يقوى هذا: **ما رُوى** عن النبى ﷺ من أوجه كثيرة أنه قال: «**لا يحل دم امرىءٍ مسلمٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، إلاّ بإحدى ثلاث: النفس بالنَّفس، والثيبُ الزانى، والتارك لدينه**». انتهى كلام الترمذى»[2].

ومن ذلك: الأحاديث الواردة فى تحريم إسبال الإزار والوعيد الشديد على ذلك، والتى طار بها البعض، ففسَّقوا وبدَّعوا من غير نظر ولا بصيرة، ولو جمعوا سائر النصوص الواردة فى الباب لعلموا أن التحريم مُقيَّد بما إذا كان الإسبال على سبيل الفخر والخيلاء والبطر والكبر، أما ما كان من ذلك على ما جرت به العادة، ولم يحمل عليها سَرَفٌ ولا مَخيلة، فلا يتناوله التحريم[3].

قال ابن حبان: «والزَّجْرُ عن إسبال الإزار زَجْرٌ حتم لعلةٍ معلومة، وهى الخُيَلاء، فمتى عُدِمت الخيلاء لم يكن بإسبال الإزار بأس»[4].

٣ ـ جمع أحاديث الموضوع الواحد فى مكانٍ واحد قد تكشف سبباً لورود الحديث يساعد على حسن الفهم، وقد تبين ارتباط الحكمٍ فى بعض الأحاديث بعلةٍ معيَّنة، وربما كان هذا السبب وهذه العلة مزيلاً لتعارض يظهر بين أحاديث الباب.

٢٠ ـ فمن ذلك مثلاً: **حديث السائب بن عبد الله**، عن النبى ﷺ قال: «**صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم**»[5].

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: الحدود، باب: إذا تتابع فى شرب الخمر ٤/ ١٦٥ (٤٤٨٥).

(٢) سنن الترمذى ٤/ ٤٩.

(٣) انظر فى ذلك: البحث النفيس الذى كتبه الدكتور العلامة يوسف القرضاوى فى كتابه القيم «كيف نتعامل مع السنة» صـ١٠٣ : ١٠٨.

(٤) الإحسان فى ترتيب صحيح ابن حبان ٢/ ٢٨٢.

(٥) أخرجه أحمد ٣/ ٤٢٥، وروى مثله: عمران بن حصين، أخرجه البخارى فى كتاب: تقصير الصلاة، باب: صلاة القاعد ٢/ ٥٨٤، ١١١٥، ١١١٦)، والترمذى فى كتاب: الصلاة، باب: ما جاء أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ٢/ ٢٠٧ (٣٧١)، وابن ماجه فى كتاب: إقامة الصلاة، باب: صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ١/ ٣٨٨ (١٢٣١).
وروى مثله: عبد الله بن عمرو بن العاص. أخرجه ابن ماجه فى الموضع السابق (١٢٢٩).

فهذا الحديث وما يماثله يعارض فى الظاهر بعض الأحاديث الأخرى فى الباب.

٢١ ـ كحديث جابر بن سَمُرة: «أن النبىَّ ﷺ لم يمت حتى صلى قاعداً»[١].

٢٢ ـ وحديث عائشة: «لما بدَّن رسولُ الله ﷺ وثَقُل كان أكثر صلاته جالساً»[٢]. إذ كيف يفعل النبىُّ ﷺ خلاف الأولى.

غير أن جمع الأحاديث فى هذا الموضوع تبين أن حديث السائب ونحوه ليس على عمومه، بل له سبب خاص ينبغى أن يُفْهَم فى ضوئه.

٢٣ ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «قدم النبىُّ ﷺ المدينة وهى مُحمَّة[٣]، فحُمَّ الناسُ، فدخل النبى ﷺ المسجدَ والناس قعودٌ يصلون، فقال النبى ﷺ: «**صلاة القاعد نصف صلاة القائم**» فتجشَّم الناسُ الصلاة قياماً»[٤].

٢٤ ـ وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال: «قدمنا المدينة، فنَالَنَا وباءٌ من وعك المدينة شديد، وكان الناس يكثرون أن يصلوا فى سُبحتهم[٥] جلوساً، فقال: «صلاة الجالس نصف صلاة القائم». قال: وطفق الناسُ حينئذٍ يتجشمون القيام»[٦].

فخرج النبى ﷺ عند الهاجرة، وهم يصلون فى سبحتهم جلوساً.

فهذا السبب المذكور فى حديثى أنس وابن عمر يبين أن معنى حديث السائب وغيره ليس عاما فى كل مُصَلٍّ من جلوس، ولا عاما فى كل صلاة، بل هو خاص بمن قدر على القيام، ولكنه آثر عليه القعود، وخاص بالنافلة دون الفريضة، فلا يجزىء الجلوس فى الفريضة للقادر على القيام، وفى هذا يقول الثورى: «هذا للصحيح، ولمن ليس له عذر، فأما من كان له عذرٌ من مرضٍ وغيره، فصلى جالساً فله مثل أجر القائم»[٧].

وفيما يتصل بصلاة النبىِّ ﷺ فتظهر الأحاديث الأخرى أن من خصوصياته ﷺ استكمالَ الأجر، سواءً صلى قاعداً أو قائماً.

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: صلاة المسافرين، باب: جواز النافلة قائماً وقاعداً ١/ ٥٠٧ (٧٣٤/ ١١٩).

(٢) السابق (٧٣٢/ ١١٥ ـ ١١٧).   (٣) مُحمَّة: يعنى انتشرت فيها الحُمَّى.

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ١٣٦، وعبد الرزاق فى المصنف ٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٢ (٤١٢١)، وابن ماجه فى كتاب: إقامة الصلاة، باب: صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ١/ ٣٨٨ (١٢٣٠)، وفى الزوائد للبوصيرى: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٥) السُّبحة: النافلة وتطلق على صلاة الضحى   (٦) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٤٧١ (٤١٢٠).

(٧) أورده الترمذى عقب حديث عمران ٢/ ٢١٠.

٢٥ ـ من ذلك **حديث عبد الله بن عمرو بن العاص** رضى الله عنهما، أنه أتى النبىَّ ﷺ، فوجده يصلى جالساً، فقال له: حُدِّثتُ يا رسول الله أنك قلتَ: «**صلاة الرجل قاعداً على نصف الصلاة**» وأنت تصلى قاعداً؟ قال: «**أجل، ولكنى لستُ كأحدٍ منكم**»[١].

فهذا الحديث يبين أنه ﷺ اختص بكمال الأجر مع القعود، سواء مع وجود المشقة أو عدمها، فنافلته قاعداً مع القدرة على القيام ثوابها كثوابه قائماً. وذلك من خصائصه ﷺ[٢].

٤ـ جمع أحاديث الموضوع الواحد فى مكانٍ واحدٍ يساعد على حسن الجمع بين ما قد يبدو بين معانيها من تضادٍ وتناقض، وعلى ترجيحٍ بعضها على بعض إذا لم يمكن الجمع بحمل أحدهما على الآخر، أو توجيه كل منهما توجيهاً صحيحاً مناسباً.

فمثلاً وردت الأحاديث الصحيحة بالنهى عن زيارة النساء للقبور.

٢٦ـ وأشدها **حديث أبى هريرة** رضى الله عنه، «**أن رسول الله ﷺ لعن زوَّارات القبور**»[٣].

وفى مقابلة ذلك وردت الأحاديث الصحيحة أيضاً بإباحة الزيارة بلفظ عام.

٢٧ـ كحديث أبى هريرة رضى الله عنه: «**. . . فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: صلاة المسافرين، باب: جواز النافلة قائماً وقاعداً ١/ ٥٠٧ (٧٣٥/ ١٢٠)، وعبد الرزاق ٢/ ٤٧٢ (٤١٢٣)، وأحمد ٢/ ١٦٢.

(٢) انظر: شرح النووى على مسلم ٢/ ٣٨٧، وفتح البارى ٢/ ٥٨٦ وأسباب ورود الحديث للسيوطى ص١٤٢ـ ١٤٤.

(٣) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: الجنائز، باب: ما جاء فى كراهية زيارة القبور للنساء ٣/ ٣٦٢ (١٠٥٦)، وابن ماجه فى كتاب: الجنائز، باب: ما جاء فى النهى عن زيارة النساء للقبور ١/ ٥٠٢ (١٥٧٦)، وأحمد ٢/ ٣٣٧، وصححه ابن حبان ٧/ ٤٥٢ (٣١٧٨).

وفى الباب عن ابن عباس: أخرجه أبو داود فى كتاب: الجنائز، باب: فى زيارة النساء للقبور ٣/ ٢١٨ (٣٢٣٦)، والترمذى ـ وقال: حسن فى كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فى كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً ٢/ ١٣٠٦ (٣٢٠)، والنسائى فى كتاب: الجنائز باب: التغليظ فى اتخاذ السرج على القبور ٤/ ٩٤ـ ٩٥، وابن ماجه فى السابق (١٥٧٥)، وصححه ابن حبان ٧/ ٤٥٢ (٣١٧٩، ٣١٨٠)

وعن حسان بن ثابت: أخرجه ابن ماجه فى السابق (١٥٧٤)، وصحح البوصيرى إسناده.

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب: الجنائز، باب: استئذان النبى ﷺ ربه عز وجل فى زيارة قبر أمه ٢/ ٦٧١ (٩٧٦/ ١٠٥)، وأبو داود فى الموضع السابق (٣٢٣٤)، وابن ماجه فى كتاب: الجنائز، باب: ما جاء فى زيارة القبور ١/ ٥٠٠ (١٥٦٩)، وباب: ما جاء فى زيارة قبور المشركين ١/ ٥٠١ (١٥٧٢).

٢٨- وحديث بريدة بن الحصيب رضى الله عنه: «نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها...»[١].

فهذا إذن عام، لكن هل يدخل فيه النساء، أم أن النهى خاص بالنساء، والإباحة للرجال؟

بجمع الأحاديث الأخرى فى الموضوع يتضح أن النساء يدخلن فى هذا الإذن

٢٩- فمن ذلك حديث عائشة رضى الله عنها فى حديث خروج النبى ﷺ فى ليلتها إلى البقيع، وفى آخره قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ (تعنى عند زيارتها للقبور ماذا تقول؟) قال: «قولى: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[٢].

٣٠- وحديث أنس رضى الله عنه: «مرَّ النبىُّ ﷺ بامرأة عند قبر، وهى تبكى، فقال: اتقى الله، واصبرى» الحديث[٣]. حيث أنكر النبى ﷺ على المرأةِ الجزع، ولم ينكر عليها الزيارة.

وعلى هذا يحمل حديث النهى والتشديد بالنسبة للنساء على الإكثار من الزيارة؛ لما تقتضيه صيغة المبالغة من ذلك.

قال القرطبى: «ولعل السبب: ما يفضى إليه ذلك من تضييع حق الزوج، والتبرج، وما ينشأ من الصِّياح، ونحو ذلك. وقد يقال: إذا أُمِن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن؛ لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء».

قال الشوكانى: «وهذا الكلام هو الذى ينبغى اعتماده فى الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة فى الظاهر»[٤].

---

(١) مسلم فى الموضع السابق (٩٧٧/١٠٦)، والترمذى فى كتاب: الجنائز، باب: ما جاء فى الرخصة فى زيارة القبور ٣/ ٣٦١ (١٠٥٤)، وأبو داود فى الموضع السابق (٣٢٣٥).
وفى الباب: عن ابن مسعود، أخرجه ابن ماجه فى الموضع السابق (١٥٧١).

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند دخول المقابر والدعاء لأهلها ١/ ٦٧١ (٩٧٤/ ١٠٣) والنسائى فى كتاب: الجنائز، باب: الأمر بالاستغفار للمؤمنين ٤/ ٩٣، وأحمد ٦/ ٢٢١.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الجنائز، باب: قول الرجل للمرأة عند القبر: اصبرى ٣/ ٢٥ (١٢٥٢)، وباب: زيارة القبور ٣/١٤٨ (١٢٨٣)، وكتاب: الأحكام، باب: ما ذكر أن النبى ﷺ لم يكن له بواب ١٣/ ١٣٢ (٧١٥٤)، ومسلم فى كتاب: الجنائز، باب: فى الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى ٢/ ٦٣٧ (٦٢٦/ ١٥)، وأبو داود فى كتاب: الجنائز، باب: الصبر عند الصدمة ٣/ ١٩٢ (٣١٢٤).

(٤) نيل الأوطار ٤/ ١١١

ومن ذلك قضية القيام من المجلس للقادم، حيث صرحت أحاديث صحيحة بمنعه، ووردت أحاديث صحيحة بالأمر به، كما سيأتى فى آداب المجالسة إن شاء الله تعالى.

٥- جمع أحاديث الموضوع الواحد، وروايات الحديث المتعددة فى مكان واحد، يساعد على كشف ما قد يكون فى بعض الأحاديث أو الطرق من علل، كالإرسال، أو التدليس أو الشذوذ، أو الإدراج، أو غير ذلك مما يكون له أعظم الأثر فى معرفة درجة الحديث، ومن ثم الاحتجاج أو عدم الاحتجاج به.

كما أن جمع الطرق والنصوص فى موضعٍ واحدٍ قد يؤدِّى إلى تقوية الحديث من خلال معرفة متابعاته وشواهده المتعددة.

كما أن جمع الطرق والمتون فى مكانٍ واحدٍ يساعد فى الترجيح عند التعارض وعدم إمكان الجمع.

إلى غير ذلك من الفوائد الاصطلاحية الكثيرة الناشئة عن هذا الجمع.

وسترى فى أثناء هذا الكتاب أحاديث تقوَّت بشواهد، مع أن فى أصلها ضعفاً.

٦- الدراسة الموضوعية للسنة تكشف لنا عن عظمة السنة وشمولها وكفايتها مع القرآن الكريم لصنع الحياة الفاضلة فى مختلف المجالات.

فالأحاديث الكثيرة فى الموضوع الواحد والتى قيلت فى مناسبات متعددة، وظروف متنوعة، وأوقات متفاوتة، ولأشخاص مختلفين، إذا ضُمَّ بعضُها إلى بعضٍ كشفت عن شمول رسالة الإسلام، وتمام وفائها بحاجة الموضوع، كما سترى فى «آداب النية» و«آداب المجالسة» موضوعى هذا الكتاب.

وما من أمرٍ يهم الإنسان فى معاشه ومعاده إلا والسنة تضرب فيه بسهمٍ وافرٍ، ولن ينكشف هذا الكنز ويظهر للعقول والبصائر إلا بالدراسة الموضوعية، التى تلم شتات الأحاديث وأطراف النصوص، وتضع بعضها إلى جانب بعضٍ بصورةٍ واعيةٍ منسَّقة.

والدعوة الإسلامية لم تكن فى عصرٍ من العصور أحوج إلى مثل هذا النوع من الدراسة للسنة المباركة منها فى هذا العصر.

الباب الأول

آداب النية والإخلاص

ويشتمل على أربعة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: أهمية النية والإخلاص وثمراتهما.

الفصل الثانى: حقيقة النية وتصحيحها.

الفصل الثالث: أقسام الأعمال المتعلقة بالنية.

الفصل الرابع: تساؤلات.

الخاتمة: فى نيات ينبغى استحضارها.

الفصل الأول

أهمية النية والإخلاص وثمراتهما

ما أكثر النصوص التى توضح شرف النية وفضيلة الإخلاص، وتنبِّه على أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أُريد به وجهُه الكريم، وأن الأعمال لا قيمة لها ولا قبول لها إذا عَرِيت عن نية صحيحة صادقة خالصة.

قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾[1] [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿**لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ**﴾[الحج: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر: ٢].

والإخلاص مع موافقة الشريعة هما ركنا قبول العمل اللذان لا غناء عنهما لصحته وقبوله، كما قال تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ١١٠].

عن سفيان الثورى[2] رحمه الله قال: «لا يستقيم قولٌ إلا بعمل، ولا يستقيم عملٌ إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة»[3].

فالعمل بلا نيةٍ عناءٌ، لا نفع فيه لصاحبه، وإن أجهد فيه نفسه وأشقاها، والنية

---

(١) هذه الآية من الأدلة الدالة على وجوب النية فى العبادات، لأن الإخلاص من عمل القلب، ومعنى «حنفاء»: مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام. ومعنى «وذلك دين القيمة»: أى ذلك المذكور من عبادة الله وإخلاصها وإقامة الصلاة والزكاة دين الملة المستقيمة.
انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٥٤٠، وفتح القدير للشوكانى ٥/ ٤٧٦.

(٢) هو إمام المحدثين سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى، سيد العلماء العاملين فى زمانه، وأحد المجتهدين من الأئمة، وكان والده من ثقات الكوفيين. ولد سفيان سنة تسع وسبعين، ومات سنة اثنين وستين ومائة
انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣٧١، التاريخ الكبير للبخارى ٤/ ٩٢، الجرح والتعديل ١/ ٥٥، و٤/ ٢٢٢، حلية الأولياء ٦/ ٣٥٦، تاريخ بغداد ٩/ ١٥١، تهذيب الكمال ١١/ ١٥٤، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٣، تهذيب التهذيب٤/ ٩٩، طبقات الحفاظ ص٨٨.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣٢. وأخرج ابن أبى الدنيا بإسناد ضعيف ـ نحوه عن ابن مسعود، ذكره ابن رجب فى جامع العلوم والحكم ١/ ٧٠.

الفاسدة المخالفة للشرع وَبَالٌ على صاحبها، خسرانٌ له مبين، إذ ليس الجزاء على مجرد صورة العمل، أو مجرد سلامة القصد، بل لابد من سلامة القصد وموافقة صورة العمل للشريعة، والإخلاص في ذلك.

وهذا ما وجّه إليه حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رحمه الله، إذ يقول: «العملُ بغير نيةٍ عَنَاءٌ، والنيةُ بغير إخلاصٍ رياءٌ، وهو للنفاق كِفاءٌ، ومع العصيان سواء، والإخلاص من غير صدقٍ وتحقيقٍ هَبَاء، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾ (الفرقان: ٢٣)»(١).

وهاك ـ أيها الحبيب ـ بعض فوائد النية الصادقة وبعض ثمرات الإخلاص فيها.

١ـ النية هى أصل صلاح العمل وسر قبوله:

٣١ـ فعن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنّما الأعمالُ بالنيات، وإنّما لكل امرىءٍ ما نَوَى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»(٢).

---

(١) إحياء علوم الدين ١٤/ ٢٦٨٤ طبعة كتاب الشعب.

(٢) أخرجه البخارى فى أول الصحيح: كتاب: بدء الوحى ١/ ٩ (١) وفى مواضع متعددة. انظر أرقام (٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣)، ومسلم فى كتاب: الإمارة باب: قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات» ٣/ ١٥١٥ (١٩٠٧/ ١٥٥)، وأبو داود فى كتاب: الطلاق باب: فيما عنى به الطلاق والنيات ٢/ ٢٦٩ (٢٢٠١)، والترمذى فى كتاب: الجهاد، باب: ما جاء يقاتل رياءً وللدنيا ٤/ ١٥٣ـ ١٥٤ (١٦٤٧)، والنسائى فى كتاب: الطهارة، باب: النية فى الوضوء ١/ ٥٨ـ ٥٩، وابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: النية ٢/ ١٤١٣ (٤٢٢٧)، وأحمد ١/ ٢٥، ٤٣، والحميدى فى المسند (٢٨)، والطحاوى فى شرح معانى الآثار ٣/ ٩٦، وابن خزيمة فى صحيحه (١٤٢، ٤٥٥)، والدارقطنى فى سننه ١/ ٥٥، والقضاعى فى مسند الشهاب (١١٧٣)، والبيهقى فى السنن الكبرى ١/ ٤١، ٢١٥، ٢٩٨ وفى شعب الإيمان ٥/ ٣٣٦ (٦٨٣٧)، وأبو نعيم فى الحلية ٦/ ٣٤٢، و٨/ ٤٢، والخطيب فى تاريخ بغداد ٤/ ٢٤٤، و٦/ ١٥٣، ٩/ ٣٢٦.

والحديث تفرد بروايته يحيى بن سعيد الأنصارى، عن محمد بن إبراهيم التيمى، عن علقمة بن وقاص الليثى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه. ورواه عن يحيى أكثر من مائتى إنسان أكثرهم أئمة من أمثال مالك ابن أنس، وسفيان الثورى، وعبد الرحمن الأوزاعى، وعبد الله بن المبارك، والليث بن سعد، وحماد بن زيد، وشعبة بن الحجاج، وسفيان بن عيينة، وغيرهم. وقد ذكرهم جميعا الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٧٦: ٤٨١، وانظر ما ذكره ابن حجر فى الفتح ١/ ١٣.

يوضح هذا الحديث أثر النية والدافع والباعث فى تصحيح الأعمال أو إفسادها، وفي قبولها أو ردِّها، ويضرب مثلاً بالهجرة التى هى من أفضل الأعمال، وفيها مفارقة للأهل والوطن، وبذلٌ للجهد والمال، وتعرُّضٌ للمخاطر والأهوال، فلو أن المرء تكبّد هذه المشاقّ النفسية والمادية ابتغاء مرضاة الله، وإيماناً بالله ورسوله، فإن هجرته مقبولة مأجورة، وثوابه مذخورٌ عند ربه، ولو أنه تكبّدها لغرضٍ آخر من طلب دنيا، أو تزوُّج امرأة، أو نحو ذلك من الأغراض الحقيرة، فلا خير فى سعيه، ولا أجر فى هجرته.

بل إنه لو قصد الأمرين معاً حبط عمله، وبطل سعيه، إذ لا قبول إلا لما كان لله خالصاً.

٣٢ ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إنى أقف الموقف أريدُ به وجه الله، وأريدُ أن يُرَى موطني. فلم يردَّ عليه رسول الله ﷺ حتى نزلت **﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** (الكهف ١١٠)»[١].

وفى ذلك يقول مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير[٢] رحمه الله: «صلاحُ القلب بصلاح العمل، وصلاحُ العمل بصلاح النية»[٣].

ويقول الحسن بن أبى الحسن البصرى[٤] رحمه الله: «لا يزال العبدُ بخيرٍ إذا قال لله، وعمل لله»[٥].

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ١١١ وقال: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبى. وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٤١ (٦٨٥٤).

(٢) الإمام القدوة الحجة أبو عبد الله العامرى، تابعى جليل ثقة له فضل وعقل وورع وأدب، وكان مجاب الدعوة، ولد فى عهد النبى ﷺ وتوفى سنة ست وثمانين، وقيل غير ذلك انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٤١، التاريخ الكبير للبخارى ٧/ ٣٩٦، حلية الأولياء ٢/ ١٩٨، تهذيب الكمال ٢٨/ ٦٧، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٦٠، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٥٧، طبقات الحفاظ ص٢٤.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٩٩، جامع العلوم والحكم ١/ ٧١.

(٤) هو الإمام التابعى الجليل أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى، كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، ارتضع من ثدى أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها، وولد لسنتين من خلافة عمر، ومات سنة عشر ومائة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٥٦، التاريخ الكبير للبخارى ٢/ ٢٨٩، حلية الأولياء ٢/ ١٣١، تهذيب الكمال ٦/ ٩٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٦٦، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٣١، طبقات الحفاظ ص٢٨.

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ١٣/ ٥٢٣ (١٧١٣٧)، وابن المبارك فى الزهد (زوائد الزهد ص١٧).

٢- على النية مدار الأجر ومقداره:

فإن صدق النية وصلاحها يعظم العمل الصغير ويصيّره كبيراً كثير الأجر، فى حين يذهب فسادُها وعدمُ الصدق والإخلاص فيها بالكثير من العمل والشاق منه، فتصيره صغيراً قليلاً، وربما ضيعته تماماً بسبب ما قد يصاحبه من رياء أو عُجْب. وفى ذلك يقول عبد الله بن المبارك[١] رحمه الله: «رُبَّ عملٍ صغيرٍ تكثِّره النية، ورُبَّ عمل كثير تصغِّره النية»[٢].

٣٣- عن أبى هريرة رضى الله عنه:

«سبق درهم مائة ألف درهم». قالوا: وكيف؟ قال: «كان لرجلٍ درهمان تصدّق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عُرْض[٣] ماله، فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدّق بها»[٤].

بل إن من نوى الخير أو الشر وسعى فى تحصيل أىٍّ منهما حوسب على ذلك ولو لم يدرك غايته، ولو لم يحقق ما نوى.

فالمحبوس عن فعل الخير بعذرٍ له ثواب العاملين بنيته الصادقة، وطالب الشر الذى لم يستطع فعله لعجز معاقب وعليه وزر فاعل الشر بنيته السوء.

٣٤- فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال:

كنا مع النبى ﷺ فى غزاةٍ فقال: **«إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مَسيراً، ولا قطعتم**

---

(١) هو الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى التركى المروزى، أحد أعلام الحفاظ، ولد سنة ثمان عشرة ومائة، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، وكان كثير الرحلة فى طلبه، واسع الإنفاق والجود على أهله، وألف الكتب فيه، وجمع الله له خصال الخير، ومات سنة إحدى وثمانين ومائة. انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير للبخارى ٥/ ٢١٢، الجرح والتعديل ٥/١٧٩، حلية الأولياء ٨/ ١٦٢، تاريخ بغداد ١٠/ ١٥٢، تهذيب الكمال ١٦/ ٥، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٨، تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٤، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٣٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٠، وانظر: جامع العلوم والحكم ١/ ٧١.

(٣) **عُرْض** - بضم العين المهملة وتسكين الراء بعدها ضاد معجمة -: الجانب، والناحية من كل شىء (النهاية ٣/ ٢١٠) وعليه فالمعنى: أنه انطلق إلى ناحية من ماله.

(٤) أخرجه النسائى بإسناد صحيح فى كتاب: الزكاة ٥/ ٥٩

وانظر كتاب: «الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى للأستاذ أحمد عبد الرحمن البنا ١٣/ ٢٢ وما بعدها، باب: أنواع الشهداء فى سبيل الله ودرجاتهم باعتبار نياتهم؛ فإن فى هذا الباب خيراً كثيراً.

وادياً، إلا كانوا معكم، حبسهم المرض» وفى رواية: **«إلا شركوكم فى الأجر»**[١].

٣٥ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن النبى ﷺ كان فى غزاةٍ، فقال: **«إن أقواماً بالمدينة خلفنا، ما سلكنا شعْباً ولا واديا[٢]، إلا وهم معنا فيه، حبسهم العذر»**[٣].

٣٦ ـ وفى رواية **عنه**، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك، فدنا من المدينة، فقال: **«إن بالمدينة أقواماً ما سرْتم مَسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم»** قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟. قالَ: **«وهم بالمدينة، حبسهم العذر»**[٤].

قال الحافظ ابن حجر: «فيه: أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل»[٥].

٣٧ ـ وعن أبى بَكْرَة نُفَيع بن الحارث رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار» قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فمال بالُ المقتول؟ قال: **«إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»**[٦].

وقد وضّح النبىُّ ﷺ هذا المعنى أبلغ توضيح، وبيّنه أوضح بيانٍ فى تقسيمه أصناف الناس أمام الدنيا.

٣٨ ـ فعن أبى كبشة الأنمارى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«إنما الدنيا لأربعة نفر:

عبدٍ رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رَحمه، ويعلم لله فيه

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الإمارة، باب: ثواب من حبسه عن الغزو مرض ٣/١٥١٨ (١٩١١/١٥٩)، وابن ماجه فى كتاب: الجهاد، باب: من حبسه العذر عن الجهاد ٢/ ٩٢٣ (٢٧٦٥)، وأحمد ٣/ ٣٠٠، ٣٤١، وأبو يعلى ٤/ ١٩٣ (٢٢٩١).

(٢) **الشِّعْب** ـ بكسر الشين المعجمة ـ: الطريق فى الجبل، والجمع: الشعاب (الصحاح للجوهرى ١/ ١٥٦)، والوادى: الطريق المنبسط بين جبلين.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: من حبسه العذر عن الغزو ٦/ ٤٦ـ ٤٧ (٢٨٣٩) وأبو داود فى كتاب: الجهاد، باب: فى الرخصة فى القعود من العذر ٣/ ١١ (٢٥٠٨)، وابن ماجه فى كتاب: الجهاد، باب: من حبسه العذر عن الجهاد ٢/ ٩٢٣ (٢٧٦٤).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: ٨١/ ١٢٦ (٤٤٢٣).

(٥) فتح البارى ٦/ ٤٧.

(٦) أخرجه البخارى فى كتاب: الإيمان، باب قوله تعالى **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾** ١/ ٨٤ (٣١)، ومسلم فى كتاب: الفتن، باب: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ٤/ ٢٢١٣ (٢٨٨٨/ ١٤)، وأبو داود فى كتاب: الفتن، باب: فى النهى عن القتال فى الفتنة ٤/ ١٠٠ (٤٢٦٨)، والنسائى فى كتاب: تحريم الدم، باب: تحريم القتل ٧/ ١٢٥، وابن ماجه فى كتاب: الفتن، باب: إذا التقى المسلمان بسيفيهما ٢/ ١٣١١ (٣٩٦٥)، وأحمد ٤/ ٤٠١، ٤٠٣، ٤١٠، ٤١٨.

حقاً، فهذا بأفضل المنازل.

وعبدٍ رزقه الله علماً، ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أن لى مالاً لعملت بعمل فلان، فهو نيتُه، فأجرهما سواء.

وعبدٍ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط فى ماله[1] بغير علم، لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل.

وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيتُه، فوزْرُهما سواء»[2].

فسوَّى فى الحديث بين العامل، ومن نوى أن يعمل بمثل عمله.

ومن الواضح أن ذلك فيمن سعى لتحصيل ما نوى، ولم يمنعه من فعل الشر خوفه من الله، أو مراجعته نفسه، بل منعه العجز، وبقى يلتمس الأسباب ويتحين الظروف ليحقق غرضه، ويحصِّل ما نواه.

أما من راجع نفسه، وخالف هواه، وأقلع عن نية السوء، فإن الله يكتبها له حسنة.

٣٩ ـ فعن ابن عباسٍ رضى الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى قال:

«إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعْف، إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنةً كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئةً واحدة»[3].

٣ـ الإخلاص فى النية سرُّ التفاضل فى الدرجات والمنازل:

فمن صدق فى نيته، وأخلص فيها لله، علَتْ درجته، وزاد ثوابه، وعظمُ أجره، وارتفعت منزلته، والعكس صحيح تماماً.

---

(١) **يخبط فى ماله**: بكسر الباء فى «يخبط»: جملة حالية، أو استئناف بيان، أى يصرفه فى شهوات نفسه بغير علم، بل بمقتضى نفسه. (تحفة الأحوذى ٦/ ٥٠٧ـ ٥٠٨).

(٢) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: الزهد، باب: ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ٤/ ٥٦٢ـ ٥٦٣ (٢٣٢٥)، وابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: النية ٢/ ١٤١٣ (٤٢٢٧)، وأحمد ٤/ ٢٣٠، ٢٣١.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق، باب: من هم بحسنة أو بسيئة ١١/ ٣٢٣ (٦٤٩١)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت ١/ ١١٨ (١٣١/ ٢٠٧)، والدارمى فى كتاب: الرقاق، باب: من هم بحسنة ٢/ ٤١٣ـ ٤١٤ (٢٧٨٦) وأحمد ١/ ٢٢٧، ٢٧٩، ٣١٠، ٣٦١.

٤٠ ـ **فعن أبى عثمان النَّهدى** رحمه الله، قال: «بلغنى عن **أبى هريرة** رضى الله عنه أنه قال: إن الله عز وجل يعطى عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة. قال: فقُضِى أنى انطلقت حاجا أو معتمراً، فلقيتُه، فقلتُ: بلغنى عنك حديث أنك تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يعطى عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة»؟ قال أبو هريرة: لا، بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل يعطيه ألفى ألف حسنة**» ثم تلا ﴿**يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (النساء: ٤٠) فقال: إذا قال أجراً عظيماً، فمن يَقْدُر قدره؟»[1].

وفى رواية: أن أبا هريرة قال: «وما أعجبك من ذلك، فو الله لقد سمعت...» فذكر نحوه[2].

قال الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا[3]: «هذه المضاعفة تكون بقدر الإخلاص فى العمل، والخوف من الله عز وجل»[4].

وفى ذلك يقول بكر المُزَنى[5]: «ما فاق أبو بكرٍ رضى الله عنه أصحاب محمد ﷺ بصومٍ ولا صلاة، ولكن بشىء كان فى قلبه».

قال إسماعيل بن عُلَيَّة[6]: «الذى كان فى قلبه الحبُّ لله عز وجل، والنصيحة فى

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٥٢١ـ ٥٢٢ والبزار ٤/ ٨٦ (٣٢٥٩)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ١٤٥: «رواه أحمد بإسنادين، والبزار بنحوه وأحد إسنادى أحمد جيد» وأخرجه البيهقى فى الزهد ص٢١٨ (٧٠٧).

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٦.

(٣) هو والد الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، له مؤلفات متعددة فى السنة النبوية، منها: «الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى»، و«بدائع المنن فى ترتيب مسند الشافعى والسنن»، و«عون المعبود فى ترتيب مسند الطيالسى أبى داود» وغيرها، وهو الرجل الوحيد الذى شارك فى تشييع جنازة نجله الشهيد حسن البنا حين اغتيل فى مصر سنة ١٩٤٩م، إذ كان الإخوان المسلمون حينذاك فى المعتقلات، ومنعت السلطات أى مشاركة فى الجنازة. وتوفى الشيخ أحمد عبدالرحمن فى سنة ١٩٥٨م رحمه الله تعالى.

(٤) الفتح الربانى ١٩/ ٦.

(٥) هو الإمام القدوة الحجة الواعظ بكر بن عبد الله المزنى البصرى، تابعى جليل ثقة، يذكر مع الحسن وابن سيرين، وكان مُجاب الدعوة، ومات سنة ثمان ومائة، وقيل غير ذلك. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢٠٩، والتاريخ الكبير للبخارى ٢/ ٩٠، والجرح والتعديل ١/ ٣٨٨، حلية الأولياء ٢/ ٢٢٤، تهذيب الكمال ٤/ ٢١٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٢، البداية والنهاية ٩/ ٢٥٦، تهذيب التهذيب ١/ ٤٢٤.

(٦) هو الإمام الحافظ إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسم، وعُلَيَّة ـ بالتصغير ـ أمه، اشتهر بالنسبة إليها، ولد سنة عشر ومائة، وكان من أئمة الحديث، وتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة، وأخرج أحاديثه الجماعة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٢٥، التاريخ الكبير للبخارى ١/ ٣٤٢، الجرح والتعديل =

خلقه»[١].

وهذا عبد الله بن مسلمة القَعْنَبى[٢] يقول عن شيخه الإمام مالك بن أنس[٣]، رحمهما الله: «ما أحسب مالكاً بلغ ما بلغ إلا بسريرة كانت بينه وبين الله تعالى»[٤].

وقال بعض العارفين: «إنما تفاضلوا بالإرادات، ولم يتفاضلوا بالصوم والصلاة»[٥].

وقال الحسن البصرى رحمه الله: «إنما خلد أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار بالنيات»[٦].

٤ـ الإخلاص فى النية سرُّ عون الله للعبد وسبب للنجاة من المحن والشدائد:

وهذا أمرٌ واضحٌ فى سير الأنبياء والصالحين، فقد نجَّى الله نوحاً من الغرق، وإبراهيم من النار، ولوطاً من الأذى، وموسى من بطش فرعون، وأيوب من الشدة والمرض، ونبينا ﷺ من مكر الأعداء وكيدهم، وذلك ببركة ما رزقوا من الصدق والإخلاص الذى بلغوا فيه الغاية عليهم صلوات الله وسلامه.

وفى ذلك قال سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب[٧] رضى الله عنهم: «اعلم أن

= ٢/ ١٥٣، تاريخ بغداد ٦/ ٢٢٩، تهذيب الكمال ٣/ ٢٣، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٠٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٢، تهذيب التهذيب ١/ ٢٤١، طبقات الحفاظ ص١٣٣.

(١) جامع بيان العلم وفضله.

(٢) هو الإمام الثبت القدوة، تلميذ الإمام مالك، وأحد رواة الموطأ عنه، ولد بعد سنة ثلاثين ومائة، وروى عنه الشيخان البخارى ومسلم وغيرهما، وتوفى سنة إحدى وعشرين ومائتين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٠٢، التاريخ الكبير ٥/ ٢١٢، الجرح والتعديل ٥/ ١٨١، وفيات الأعيان ٣/ ٤٠، تهذيب الكمال ١٦/ ١٣٦، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٥٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨٣، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٨، طبقات الحفاظ ص١٦٥.

(٣) هو إمام دار الهجرة وعالم المدينة الذى ملأ طباق الأرض علماً، وصاحب المذهب المعروف، مناقبه كثيرة مشهورة. ولد سنة ثلاث وتسعين، وسمع من كثير من التابعين، وسمع منه المئات من أعلام المحدثين، ويعتبر كتابه «الموطأ» أقدم مصنف فى الحديث والفقه وصل إلينا. وتوفى سنة تسع وسبعين ومائة. انظر فى ترجمته: حلية الأولياء ٦/ ٣١٦، الانتقاء فى فضل الأئمة الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر ص، وفيات الأعيان ٤/ ١٣٥، تهذيب الكمال ٢٧/ ٩١، سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٧ـ ٢١٣، تهذيب التهذيب ١٠/ ٥، طبقات الحفاظ ص٨٩.

(٤) ترتيب المدارك ١/ ١٦٨.

(٥) جامع العلوم والحكم ١/ ٧٢.

(٦) إحياء علوم الدين ١٤/ ٢٦٨٩.

(٧) هو الإمام الزاهد الحافظ، مفتى المدينة، وأحد الفقهاء السبعة، ولد فى خلافة عثمان، وسمع من أبيه فجوّد وأكثر، وسمع من كثير من الصحابة، وسمع منه أئمة التابعين، وأخرج الجماعة أحاديثه انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ١٩٥، التاريخ الكبير ٤/ ١١٥، الجرح والتعديل ٣/ ١٨٤، حلية الأولياء ٢/ ١٩٣، وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٩، تهذيب الكمال ١٠/ ١٤٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٨٢، تهذيب التهذيب ٣/ ٣٧٨، طبقات الحفاظ ص٣٣.

عونَ الله للعبد على قدر نيته، فمن تمت نيتُه تمَّ عون الله له، وإن نقصت نقص بقدره»[1].

وهذا الأمر واضح غاية الوضوح فى قصة النفر الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، فنزلت صخرة سدت باب الغار عليهم، ثم فرّج الله عنهم بإخلاصهم وصدق نياتهم.

٤١ـ فعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرةٌ من الجبل، فسدَّت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجِّيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. قال رجل منهم: اللهم كان لِى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أَغْبق[2] قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بى طلب الشجر يوماً، فلم أُرِحْ[3] عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غَبُوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما، وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت ـ والقدحُ على يدىّ ـ أنتظر استيقاظهما، حتى بَرَق الفجرُ، والصبية يُتضاغَوْن[4] عند قدمى، فاستيقظا، فشربا غَبُوقهما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرِّجْ عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم إنه كانت لى ابنة عمٍّ كانت أحب الناس إلىّ ـ وفى رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء ـ فأردتُها على نفسها، فامتنعت منى، حتى ألمتْ بها سنة من السنين[5]، فجاءتنى، فأعطيتُها عشرين ومائة دينار، على أن تخلىِّ بينى وبين نفسها، ففعلتْ، حتى إذا قدرتُ عليها ـ وفى رواية: فلما قعدتُ بين رجليها ـ قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه. فانصرفتُ عنها، وهى أحب الناس إلىّ، وتركتُ الذهب الذى أعطيتُها، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

---

(١) من رسالة له إلى عمر بن عبد العزيز، نقلها الدكتور يوسف القرضاوى فى رسالة الإخلاص ص٣٨.

(٢) **لا أغبق**: أى لا أقدم عليهما أحداً فى شرب نصيبهما من اللبن الذى يشربانه. والغَبُوق: شرب آخر النهار، مقابل «الصَّبُوح». (النهاية ٣/ ٣٤١).

(٣) **أُرِح**: بضم الهمزة وكسر الراء، من الرواح، وهو نقيض الصباح، والمعنى: لم أعد إليهما فى آخر النهار حتى ناما.

(٤) **يتضاغون**: بالضاد والغين المعجمتين: أى يتباكون، من الضغاء، وهو البكاء بصوت. (فتح البارى٤/ ٤١٠).

(٥) **ألمت بها سنة من السنين**: أى سنة قحط نزلت بها. (انظر فتح البارى٦/ ٥٠٩).

وقال الثالث: اللهم استأجرتُ أجراء، وأعطيتُهم أجرهم، غير رجلٍ واحد ترك الذى له وذهب، فثمَّرْتُ أجره، حتى كثرت منه الأموالُ، فجاءنى بعد حينٍ، فقال: يا عبد الله، أدِّ إلىّ أجرى، فقلت: كلُّ ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله، لا تستهزىء بى، فقلت: لا أستهزىء بك. فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئا، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه.

فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون»(١).

٥ـ النية الصادقة يحصل بها ثواب العمل، وإن حدث خطأ ما دام غير مقصود:

٤٢ـ فعن أبى يزيد مَعْن بن يزيد بن الأخنس رضى الله عنهم قال:

كان أبى يزيدُ أخرج دنانير يتصدق بها، فوضعها عند رجلٍ فى المسجد، فجئتُ فأخذتُها، فأتيتُه بها، فقال: والله ما إيّاك أردتُ. فخاصمتُه إلى رسول الله ﷺ، فقال: **«لك ما نويتَ يا يزيدُ، ولك ما أخذتَ يا مَعْن»**(٢).

٤٣ـ بل **روى أبو هريرة** ما هو أكثر من ذلك، فروى عن النبى ﷺ أنه قال:

«قال رجل: لأتصدقنّ بصدقة. فخرج بصدقته، فوضعها فى يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على سارق. فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته، فوضعها فى يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة على زانية. فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته، فوضعها فى يد غنىّ، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة على غنىّ. فقال: اللهم لك الحمد، على سارق، وعلى زانية، وعلى غنى.

فأُتِى، فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعِفّ عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعفَّ عن زناها، وأما الغنىُّ فلعله يعتبر، فينفق مما أعطاه الله»(٣).

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: البيوع، باب: إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضى ٤/٤٠٨ـ ٤٠٩ (٢٢١٥)، وفى كتاب: الإجارة (٢٢٧٢) وفى كتاب: الحرث والمزارعة (٢٣٣٣)، وفى كتاب: الأنبياء (٣٤٦٥)، وفى كتاب: الأدب (٥٩٧٤)، ومسلم فى كتاب: الذكر والدعاء، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة ٤/ ٢٠٩٩ (٢٧٤٣/ ١٠٠)، وأحمد ٢/ ١١٦.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الزكاة، باب: إذا تصدق على ابنه ٣/ ٢٩١ (١٤٢٢)، والدارمى فى كتاب: الزكاة، باب: فيمن يتصدق على غنى ١/ ٤٧١ـ ٤٧٢ (١٦٣٨)، وأحمد ٣/ ٤٧٠، و٥/ ١٣٣.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الزكاة، باب: إذا تصدق على غنى وهو لا يعلم ٣/ ٢٩٠ (١٤٢١)، ومسلم فى كتاب: الزكاة، باب: ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة فى يد غير أهلها ٢/ ٧٠٩ (١٠٢٢/ ٧٨)، وأحمد ٢/ ٣٢٢).

٦ـ قد تبلغ النية الصادقة بصاحبها ما لا يبلغه العامل بعمله:

فإن نية الخير إذا تمكنت بإخلاصٍ من قلب العبد بلغ بها أرفع الدرجات، فى حين يصبح العمل الكبير الخالى من هذه النية تعباً لا طائل من ورائه.

٤٤ـ فعن إبراهيم بن عبيد بن رفاعة أن **أبا محمد** أخبره، وكان من أصحاب ابن مسعود، حدثه عن رسول الله ﷺ قال:

«إن أكثر شهداء أمتى أصحاب الفُرُش، ورُبَّ قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته»[1].

فأصحاب الفُرُش الذين صدق عزمهم، وصحت نياتهم، هم أكثر شهداء الأمة، وربما سبق أحدهم قتيلاً سقط بين صفَّى المسلمين والكافرين فى أرض المعركة، غير أنه لم يسبق عمله وجهاده بنيةٍ صادقةٍ مخلصة.

٤٥ـ وفى ذلك روى **سهل بن حنيف** رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال:

«مَنْ سأل الله الشهادة بصدقٍ بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[2].

٤٦ـ وروى معاذ بن جبل رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال:

«مَنْ سأل الله القتل فى سبيله صادقاً من قلبه أعطاه الله أجر الشهادة»[3].

وأكَّد النبىُّ ﷺ ذلك فى تعليقه على موت عبد الله بن ثابت رضى الله عنه، بعد أن كان تهيأ للغزو، وأعد له عُدّته.

٤٧ـ فعن جابر بن عَتِيك رضى الله عنه في حديث احتضار عبد الله بن ثابت، وحضور رسول الله ﷺ احتضاره رضى الله عنه، أنه لما مات قالت ابنته: والله إن كنتُ لأرجو أن تكون شهيداً، فإنك كنت قد قضيت جهازك[4]، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه أحمد ١/٣٩٧، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/٣٠٢: «رواه أحمد هكذا، ولم أره ذكر ابن مسعود، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، والظاهر أنه مرسل، ورجاله ثقات».

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الإمارة، باب: استحباب طلب الشهادة فى سبيل الله ٣/١٥١٧ (١٩٠٩/١٥٧)، والترمذى فى كتاب: فضائل الجهاد، باب: ما جاء فيمن سأل الله الشهادة ٤/١٨٣ (١٦٥٣)، والنسائى فى كتاب: الجهاد، باب: مسألة الشهادة ٦/٣٦ـ ٣٧، وابن ماجه فى كتاب: الجهاد، باب: القتال فى سبيل الله سبحانه وتعالى ٢/٩٣٥ (٢٧٩٧).

(٣) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب : فضائل الجهاد، باب: ما جاء فيمن سأل الله الشهادة ٤/١٨٣ (١٦٥٤).

(٤) يعنى: أتممتَ ما تحتاج إليه فى سفرك للغزو.

«إن الله قد أوقع أجره على قدر نيته...» الحديث[١].

وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمًا﴾** (النساء: ١٠٠).

وما أبلغ قول جعفر بن حيّان[٢] رحمه الله: «ملاكُ هذه الأعمال النياتُ، فإن الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلغ بعمله»[٣].

٧ـ النية الصادقة تحوِّل العادات إلى عبادات يُؤْجر الإنسان عليها:

فالعادات تتحول بالقصد إلى عباداتٍ يثاب المؤمن عليها، فضلاً من الله وكرماً، كما جاءت بذلك الأحاديث الكثيرة.

٤٨ـ فعن أبى ذر جُنْدب بن جُنادة الغفارى رضى الله عنه، أن ناساً من أصحاب النبى ﷺ قالوا للنبى ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور[٤] بالأجور، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال:

«أو ليس قد جعل الله لكم ما تصَّدَّقون؟ إن بكلِّ تسبيحة صدقةً، وكلِّ تكبيرة صدقةً، وكل تحميدة صدقةً، وكلِّ تهليلة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صَدقةٌ، ونهيٌ عن منكر صدقة، وفى بُضْع[٥] أحدكم صدقة».

قالوا: يا رسول الله، أيأتى أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجرٌ؟

قال: **«أرأيتم لو وضعها فى حرامٍ أكان عليه فيها وِزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجراً»**[٦].

---

(١) أخرجه مالك فى الموطأ فى كتاب: الجنائز، باب: النهى عن البكاء على الميت ١/ ٢٠٢ (٣٦)، وأبو داود فى كتاب: الجنائز، باب: فضل من مات فى الطاعون ٣/ ١٨٨ (٢١١١)، والنسائى فى كتاب: الجنائز، باب: النهى عن البكاء على الميت ٤/ ١٣ـ ١٤.

(٢) هو الإمام الحجة أبو الأشهب العطاردى البصرى الضرير، ولد سنة سبعين، وتوفى سنة خمس وستين ومائة، وحدث عن طائفة من التابعين، وأخرج الجماعة أحاديثه. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٧٤، الجرح والتعديل ٢/ ٤٧٦، تهذيب الكمال ٥/ ٢٢، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٨٦، تهذيب التهذيب ٢/ ٧٥.

(٣) الزهد لابن المبارك ص٦٣ (١٨٩).

(٤) **الدثُور**: جمع دَثْر، وهو المال الكثير، ويقع على الواحد، والاثنين، والجميع، (النهاية ٢/ ١٠٠).

(٥) **بُضْع**: بضم الباء، يطلق على عقد النكاح، وعلى الجماع، وعلى الفرج (النهاية ١/ ١٣٣) والمقصود هنا الجماع أو الفرج.

(٦) أخرجه مسلم فى كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوعٍ من المعروف ٢/ ٦٩٧ـ ٦٩٨ـ (١٠٠٦/ ٥٣).

ففى هذا الحديث بيّن النبىُّ ﷺ أن الجماع يصير عبادةً مأجوراً عليها، متى كان فى حلال، ويزداد الأجر كلما صحت النية وصدقت، كأن ينوى بالجماع إعفاف نفسه وزوجه، وإفراغ قلبه وباله للعبادة والعمل، وقضاء حق الزوجة، ومعاشرتها بالمعروف، وطلب الولد الصالح، وغير ذلك من المقاصد الحسنة الكريمة.

ومثل ذلك اللقمةُ يطعمها الرجلُ أهله، مبتغياً بذلك وجه الله تعالى.

٤٩ـ فعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أُجِرْتَ عليها، حتى ما تجعل فى فى امرأتك»[١].

قال النووى رحمه الله فى التعليق على هذا الحديث: «وفيه: إن المباح إذا قصد به وجه الله تعالى صار طاعةً، ويثاب عليه. وقد نبّه ﷺ على هذا بقوله ﷺ: **«حتى اللقمة تجعلها فى فى امرأتك»**؛ لأن زوجة الإنسان هى من أخص حظوظه الدنيوية وشهواته وملاذّه المباحة، وإذا وضع اللقمة فى فيها فإنما يكون ذلك فى العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ بالمباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة، ومع هذا فأخبر ﷺ أنه إذا قصد بهذه اللقمة وجه الله تعالى حصل له الأجر بذلك، فغير هذه الحالة أولى بحصول الأجر إذا أراد وجه الله تعالى.

ويتضمن ذلك: أن الإنسان إذا فعل شيئاً أصله على الإباحة، وقصد به وجه الله تعالى، يثاب عليه، وذلك كالأكل بنية التقوّى على طاعة الله تعالى، والنوم للاستراحة، ليقوم إلى العبادة نشيطاً، والاستمتاع بزوجه وجاريته، ليكف بصره ونحوهما عن الحرام، وليقضى حقها، وليحصِّل ولداً صالحاً، وهذا معنى قوله ﷺ **«وفى بضع أحدكم صدقة»** والله أعلم»[٢].

---

(١) هكذا أخرجه مختصراً البخارى فى كتاب: الإيمان، باب: ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة ١/ ١٣٦ (٥٦).

وهو جزء من حديث سعد فى مرضه وعيادة النبى ﷺ له، أخرجه البخارى فى مواضع متعددة فى: الجنائز، والوصايا، ومناقب الأنصار، والمغازى، والنفقات، والمرضى، والدعوات، والفرائض (أرقام ١٢٩٥، ٢٧٤٢، ٣٩٣٦، ٤٤٠٩، ٥٣٥٤، ٥٦٦٨، ٦٧٣٣)، ومسلم فى كتاب: الوصية، باب: الوصية بالثلث ٣/ ١٢٥٠ـ ١٢٥٣ (١٦٢٨/ ٥، ٨)، وأبو داود فى كتاب: الوصايا، باب: ما جا فى ما لا يجوز للموصى فى ماله ٣/ ١١٢ (٢٨٦٤)، والترمذى فى كتاب: الوصايا باب: ما جاء فى الوصية بالثلث ٤/ ٤٣٠ـ ٤٣١ (٢١١٦)، والنسائى فى كتاب: الوصايا، باب: الوصية بالثلث ٦/ ٢٤١ـ ٢٤٤، وليس فيه موضع الشاهد من الحديث، والطيالسى فى مسنده ص٢٧ (١٩٧).

(٢) شرح النووى ١١/ ٧٧ـ ٧٨.

٥٠ ـ وهذا ما صرَّح به **أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى** فيما رواه عن النبى ﷺ قال:

«إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة»[١].

والمراد بالاحتساب: القصد إلى طلب الأجر، والمراد بالصدقة: الثواب، وإطلاقها عليه مجاز، ويستفاد منه أن الأجر لا يحصل بالعمل إلا مقرونا بالنية[٢].

٨ـ النية الصادقة سبب فى توحيد الصف وجمع الكلمة:

فصاحب النية الصالحة المخلصة دائم الحرص على تطهير قلبه من الأحقاد والضغائن والحرص والطمع وحب الجاه والظهور، وذلك مما يؤلف بين القلوب، ويزكى معانى الأخوة، كما قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ (آل عمران: ١٠٣).

والمسلم الصادق النية ما دامت وجهته لله، فسيَّان عنده أن يكون فى مقدمة الصفوف بارزاً ظاهراً، وأن يكون فى مؤخرتها مستتراً خافيا، وسواء فى قلبه أن يكون رئيساً أو فرداً من أغمار الناس، وذلكم هو الذى مدحه النبى ﷺ.

٥١ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«... طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان[٣] فرسه فى سبيل الله، أشعث رأسه، مُغْبَرَّةً قدماه، إن كان فى الحراسة كانَ فى الحراسة، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة[٤]، إنْ استأذن لم يُؤْذَن له، وإن شفَع لم يُشَفَّع»[٥].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الإيمان، باب: ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة ١/١٣٦ (٥٥)، وفى كتاب: المغازى، باب١٢: ٧/٣١٧ (٤٠٠٦)، وفى كتاب: النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل ٩/٤٩٧ (٥٣٥١)، ومسلم فى كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج ٢/٦٩٥ (١٠٠٢/٤٨) والترمذى فى كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى النفقة فى الأهل ٤/٣٤٤ (١٩٦٥)، والنسائى فى كتاب: الزكاة، باب: أى الصدقة أفضل ٥/٦٩، وأحمد ٤/١٢٠، ١٢٢، و٥/٢٧٣، والطبرانى فى الكبير ١٧/١٩٥ـ ١٩٦ (٥٢٢، ٥٢٣).

(٢) فتح البارى ٩/٤٩٨.

(٣) **العِنَان** ـ بكسر العين المهملة ـ: سير اللجام. (النهاية ٣/٣١٣)

(٤) **السَاقة** جمع سائق، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة، ويكونون من ورائه يحفظونه. (النهاية ٢/٤٢٤).

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: الحراسة فى الغزو فى سبيل الله ٦/٨١ (٢٨٨٧) والبيهقى فى السنن الكبرى ٩/١٥٩.

قال ابن الجوزى: «المعنى أنه خامل الذكر، لا يقصد السمو، فإن اتفق له السير سار؛ فكأنه قال: إن كان فى الحراسة استمر فيها، وإن كان فى الساقة استمر فيها»[1].

ولا شىء أحفظ لوحدة الصف، وأجمع لكلمة الأمة، وأرجى لعزتها، من هذا الخُلُق السامى النبيل، ولا شىء أعون على هذا الخُلُق من صلاح النية وصدق التوجه إلى الله.

٩ـ النية الصالحة تستنقذ صاحبها من الزلل:

فصاحب النية الحسنة الصالحة إذا زلت قدمه ووقع فى المعصية، فإنه ما أسرع ما يفىء إلى رشده، ويستغفر من ذنبه، ويتوب إلى ربه، كما قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾** (الأعراف: ٢٠١).

وفى ذلك يقول داود الطائى[2] رحمه الله: «رأيت الخير كله إنما يجمعه حسنُ النية، وكفاك بها خيرًا وإن لم تَنْصَب، والبِرُّ همَّةُ التَّقىِّ، ولو تعلقت جميع جوارحه بحب الدنيا لردته يوماً نيتُه إلى أصله»[3].

ولذلك شبه النبى ﷺ المؤمن بخامة الزرع، التى ربما مالت أحياناً مع الهواء، ثم لا تلبث أن تعود بسبب من قوة جذرها فى الأرض، فكذلك المؤمن ربما وقع فى المعصية، لكن سلامة قلبه وصدق نيته يسرعان بإعادته إلى أصله، فيتوب إلى ربه عز وجل.

٥٢ ـ فعن جرير بن حازم قال: كنت جالساً عند **الحسن** إذ جاءه رجل، فقال: يا أبا سعيد، ما تقول فى العبد يذنب الذنب ثم يتوب؟ قال: لم يزدد بتوبته من الله إلا دُنُوا. قال: ثم عاد فى ذنبه، ثم تاب؟ قال: لم يزدد بتوبته إلا شرفاً عند الله. قال: ثم قال لى: ألم تسمع ما قال رسول الله ﷺ؟ قلت: وما قال؟ قال: «مثل المؤمن مثل السنبلة، تميل أحياناً، وتستقيم أحياناً، وفى ذلك تكبُر، فإذا حصدها صاحبها حمد

---

(١) فتح البارى ٦/ ٨٣.

(٢) هو الإمام الفقيه القدوة الزاهد أبو سليمان داود بن نُصَير الطائى الكوفى، أحد الأولياء، كان من كبار أئمة الفقه والرأى، ثم أقبل على العبادة، ولزم الصمت، وآثر الخمول، ولد بعد المائة بسنوات، وتوفى سنة اثنتين وستين ومائة، وقيل: سنة خمس وستين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٦٧، التاريخ الكبير ٣/ ٢٤٠، حلية الأولياء ٧/ ٣٣٥، تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٧، وفيات الأعيان ٢/ ٢٥٩، تهذيب الكمال ٨/ ٤٥٥، سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٢، تهذيب التهذيب ٣/ ١٧٦.

(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ٧٠، وإحياء علوم الدين ١٤/ ٢٦٨٨.

أمره، كما حمد صاحبُ السنبلة برَّه» ثم قرأ ﴿**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**﴾[1].

وهذا فهمٌ طيبٌ كريم من الإمام الحسن البصرى رحمه الله، والمرسل الذى احتج به له شواهد صحيحة كثيرة.

٥٣ ـ منها ما رواه **كعب بن مالك الأنصارى** رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تُفَيِّؤُها الريح مرةً، وتعدلها مرةً...**» الحديث[2].

٥٤ ـ وما رواه **أبو هريرة** رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، من حيث أتتها الريحُ كفَأَتْها، فإذا اعتدلت تكفَّأ بالبلاء...**» الحديث[3].

والأحاديث كثيرة فى عودة المؤمن إلى ربه وتوبته إليه بعد وقوعه فى الذنب ساعة الغفلة، وليس هذا مجال بسطها، فأكتفى بما ذكرت.

١٠ ـ النية هى التى يحشر عليها المرء ولو كانت بخلاف ظاهر عمله:

فالمكره على الكفر مثلاً، أو المُجْبَر على تكثير سواد الكافرين أو الظالمين، لا عبرة بظاهر عمله، وإن أُخِذ به فى الدنيا، لأن الناس يبعثون على نياتهم.

٥٥ ـ فعن **أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر** رضى الله عنهما، عن أبيه، قال:

---

(١) هذا مرسل أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان، باب: فى معالجة كل ذنب بالتوبة ٥/٤٠٨ (٧٠٩٦). ويشهد له ما بعده.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: المرضى، باب: ما جاء فى كفارة المرض ١٠/١٠٣ (٥٦٤٣)، ومسلم فى كتاب: صفات المنافقين، باب: مثل المؤمن كالزرع ٤/٢١٦٣ ـ ٢١٦٤ (٢٨١٠/٥٩: ٦٢)، والدارمى فى كتاب: الرقاق، باب: مثل المؤمن مثل الزرع ٢/ ٤٠٠ (٢٧٤٩)، وأحمد ٣/ ٤٥٤، والبيهقى فى شعب الإيمان، باب: فى الصبر على المصائب ٧/ ١٤٣ (٩٧٧٩).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: المرضى، باب: ما جاء فى كفارة المرض ١٠/١٠٣ (٥٦٤٤)، وفى كتاب التوحيد، باب: فى المشيئة والإرادة ١٣/٤٤٦ (٧٤٦٦)، ومسلم فى كتاب: صفات المنافقين باب: مثل المؤمن كالزرع ٤/٢١٦٣ (٢٨٠٩/٥٨)، والترمذى فى كتاب: الأمثال، باب: ما جاء فى مثل المؤمن القارى للقرآن وغير القارىء ٥/١٣٨ ـ ١٣٩ (٢٨٦٦)، وأحمد ٢/ ٢٣٤، والبيهقى فى شعب الإيمان، باب: فى الصبر على المصائب ٧/ ١٤٣ (٩٧٧٨).

وأكثر العلماء علي أن معنى هذا الحديث أن المؤمن كثير الآلام فى بدنه أو أهله أو ماله، وذلك مكفِّرٌ لسيئاته، ورافع لدرجاته.

قلت: ولا مانع أن يفهم منه ما فهمه الإمام الحسن البصرى رحمه الله.

أخذ المشركون عمارَ بنَ ياسر، فلم يتركوه حتى سبَّ النبيَّ ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه. فلما أتى رسولَ الله ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله، ما تُرِكْتُ حتى نلتُ منكْ، وذكرتُ آلهتهم بخير. قال: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان. قال: «إن عادوا فعُدْ».

زاد في رواية أن فيه نزل قوله تعالى ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (النحل ١٠٦)[١].

٥٦ ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«يغزو جيشٌ الكعبة، فإذا كانوا ببيداء[٢] من الأرض يُخْسَف بأولهم وآخرهم» قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يُخْسَف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم[٣] ومَنْ ليس منهم؟

قال: «يُخْسف بأولهم وآخرهم، ثم يُبْعثون على نياتهم»[٤].

٥٧ـ وفى رواية **عنها** قالت:

عَبِث[٥] رسول الله ﷺ فى منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئاً فى منامك لم تكن تفعله. فقال:

«العجبُ، إن ناساً من أمتى يؤُمُّون بالبيت برجلٍ من قريشٍ، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم».

فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد يجمع الناس. قال:

---

(١) صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبى فى المستدرك ٢/ ٣٥٧، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ٣/ ١٧٨، وابن جرير الطبرى فى التفسير ١٤/ ١٢٢، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ١٤٠ عن أبى عبيدة، لم يذكر فيه «عن أبيه».

(٢) **البَيْداء**: المفازة التى لا شىء بها (النهاية ١/ ١٧١)، والمقصود بها فى الحديث بيداء المدينة، وهى مكان معروف بين مكة والمدينة. (فتح البارى ٤/ ٣٤٠). قال العلماء: بيداء المدينة: الشرف الذى قدام ذى الحليفة أى إلى جهة مكة. (شرح النووى ١٨/ ٥).

(٣) أسواقهم: جمع سوق، والمعنى: أهل أسواقهم، أو السوقة منهم (فتح البارى ٤/ ٣٤٠).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: البيوع، باب: ما ذكر فى الأسواق ٤/ ٣٣٨ (٢١١٨)، وأبو نعيم فى حلية الأولياء ٥/ ١١.

(٥) عَبِث: بكسر الباء، قيل: معناه اضطرب بجسمه، وقيل: حرَّك أطرافه كمن يأخذ شيئاً أو يدفعه (شرح النووى على مسلم ١٨/ ٦ ـ ٧).

«نعم، فيهم المستبصرُ، والمجبورُ، وابنُ السبيل[٦]، يهلكون مهلكاً واحدًا، ويصدرون مصادر شتىً[١]، يبعثهم الله على نياتهم»[٢].

٥٨ ـ وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعثٌ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم».

فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهاً؟

قال: **«يُخسَف به معهم، ولكنه يُبعث يوم القيامة على نيته»**[٣].

٥٩ ـ وعن صفية: رضى الله عنها، نحوه، وقالت:

قلت: يا رسول الله فمن كره منهم؟

قال: «يبعثهم الله على ما فى أنفسهم»[٤].

قال الحافظ ابن حجر: «يُخْسَف بالجميع؛ لشؤم الأشرار، ثم يُعامَل كلٌّ أحد عند الحساب بحسب قصده»[٥].

---

(٦) قال النووى: «**أما المستبصر** فهو المستبين لذلك القاصد له عمدًا، **وأما المجبور** فهو المُكره، يقال: أجبرته فهو مُجْبَر، هذه اللغة المشهورة، ويقال أيضا: جبرته فهو مجبور، حكاها الفراء وغيره، وجاء هذا الحديث على هذه اللغة. **وأما ابن السبيل** فالمراد به سالك الطريق معهم وليس منهم (شرح النووى ٧/١٨).

(١) أى يقع الهلاك فى الدنيا على جميعهم، ويصدرون يوم القيامة مصادر شتى أى يبعثون مختلفين على قدر نياتهم، فيجازون بحسبها (شرح النووى ٧/١٨).

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: الخسف بالجيش الذى يؤم البيت ٤/ ٢٢١٠ ـ ٢٢١١ (٢٨٨٤/٨)، وأحمد ٦/١٠٥.

(٣) أخرجه مسلم فى الموضع السابق (٢٨٨٢/ ٤ ـ ٥)، والترمذى فى كتاب: الفتن، باب:... ٤/٤٦٩ (٢١٧١)، وابن ماجه فى كتاب: الفتن، باب: جيش البيداء ٢/١٣٥١ (٤٠٦٥)، وأحمد ٦/٢٨٩، ٣٢٣.

(٤) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: الفتن، باب: ما جاء فى الخسف ٤/٤٧٨ (٢١٨٤)، وابن ماجه فى كتاب: الفتن، باب: جيش البيداء ٢/١٣٥١ (٤٠٦٤).

(٥) فتح البارى ٤/ س٣٤٠ ـ ٣٤١.

الفصل الثانى
حقيقة النية وتصحيحها

بعد ذكر هذه الأهمية وتلكم الفوائد للنية حقٌ علينا - أيها الحبيب - أن نتوقف لنسأل: ما هى النية؟، وما مقصودها، وكيف نكتسبها ونتعلمها؟

«وليت شعرى، كيف يصحح نيته مَنْ لا يعرف حقيقة النية؟ أو كيف يخلص مَن صحَّح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص؟ أو كيف تطالب المخلصَ نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه؟.

فالوظيفة الأولى على كل عبدٍ أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولاً؛ لتحصل المعرفة، ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص»[١].

يظن كثير من الناس أن النية مجرد جريان الشىء فى الخاطر، أو التلفظ بقول «نويت كذا». وهذا وهم خاطىء وخطير، ومن ثَمَّ فالأمر فى حاجة إلى توضيح وبيان.

فالنية فى اللغة: مشتقة من الفعل «نوى»، يقال: نويت نيَّةً ونواةً: أى عزمت، وانتويت مثله[٢].

فالنية على هذا بمعنى العزم.

وتكون أيضاً بمعنى الحاجة. يقال: «لى فى بنى فلان نية أى حاجة»، «ويقال: نواه بنواته، أى رده بحاجته وقضاها له»[٣].

«والنيَّة أيضا والنَّوَى: الوجه الذى ينويه المسافر من قربٍ أو بُعْد»[٤] «وقال النووى: النية: القصد، وهى عزيمة القلب. وتعقبه الكرمانى بأن عزيمة القلب قدرٌ زائد على أصل القصد»[٥].

وقال ابن رجب الحنبلى: «النية فى اللغة: نوع من القصد والإرادة»[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين ١٤/ ٢٦٨٤.
(٢) الصحاح ٦/ ٢٥١٦.
(٣) الصحاح ٦/ ٢٥١٦.
(٤) الصحاح ٦/ ٢٥١٦.
(٥) فتح البارى ١/ ١٣.
(٦) جامع العلوم والحكم ١/ ٦٥.

وقال ابن الأثير: «يقال: نويت الشيء، إذا جَدَدْتُ فى طلبه»(١).

وكلها معان متقاربة، فالإنسان إذا بدت له حاجة إلى شيء مادياً كان أو معنوياً، توجَّه إليه وقصده بقلبه، وعزم على تحقيقه، واجتهد فى طلبه.

وعرَّفها الإمام الغزالى(٢) تعريفاً طيباً، فقال:

«هى انبعاثُ النفس، وتوجُّهُها، وميلُها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضَها، إما عاجلاً، وإما آجلا»(٣).

وهو نفس تعريف القاضى البيضاوى(٤) الذى يقول:

«النية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرض من جلب نفع، أو دفع ضرٍ، حالاً أو مآلا»(٥).

والنية المقصودة هنا هى المعنى الثانى الذى قصده ابن رجب حين قال: «والنية فى كلام العلماء تقع بمعنيين: أحدهما: بمعنى تمييز العبادات بعضها عن بعض كتمييز صلاة الظهر من العصر مثلا» ثم قال: «والمعنى الثانى: بمعنى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو الله وحده لا شريك له، أم غيره، أم الله وغيره. وهذه النية هى التى يتكلم عليها العارفون فى كتبهم، فى كلامهم على الإخلاص وتوابعه، وهى التى توجد كثيراً فى كلام السلف المتقدمين»(٦).

يقول الغزالى: «والميل إذ لم يكن لم يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة، بل

---

(١) النهاية فى غريب الحديث ٥/ ١٣٢.

(٢) هو الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسى، صاحب التصانيف والذكاء المفرط، برع فى علوم كثيرة، وتفقه بمذهب الشافعى على إمام الحرمين، وعظم جاهه، واختلف الناس فيه ما بين مادح مفرط وقادح مفرط، وذلك شأن النابه من الناس ولد نحو سنة أربعمائة وخمسين وتوفى سنة خمس وخمسمائة. انظر فى ترجمته: المنتظم لابن الجوزى ٩/ ١٦٨، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ١٠/ ٤٩١، وفيات الأعيان ٤/ ٢١٦، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢، طبقات الشافعية للسبكى ٦/ ١٩١.

(٣) إحياء علوم الدين ١٤/ ٢٧٠٤.

(٤) هو الإمام القاضى أبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد البيضاوى الفارسى البغدادى، كان شيخاً صالحاً متحرياً فى قضائه الخير. توفى فى نصف جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين. انظر فى ترجمته: الأنساب للسمعانى ١/ ٤٣١، المنتظم ١٠/ ١٠٤، سير أعلام النيلاء ٢٠/ ١٨٢، شذرات الذهب لابن العماد ٤/ ١١٥.

(٥) فتح البارى ١/ ١٣.

(٦) جامع العلوم والحكم ١/ ٦٥ ـ ٦٦.

ذلك كقول الشبعان: نويت أن أشتهى الطعام وأميل إليه، أو قول الفارغ: نويت أن أعشق فلاناً، وأحبه، وأعظمه بقلبى، فذلك محال»[1].

إن هذا المعنى الذى يفهمه كثير من الناس للنية على أنها حديث لسان أو فكر، أو انتقال من خاطر إلى خاطر، أو إرادة باردة لفعل شىء ما، إن هذا المعنى ليس نيَّة، ولكنه أمنية، وعلى العاقل أن يميز بين النية والأمنية، فالأمر كما قال يحيى بن معاذ الرازى[2] رحمه الله: «لا يزال العبدُ مقرونا بالتوانى[3]، ما دام مقيمًا على وعد الأمانى»[4].

«وما اختار أحدٌ الأمانيَّ تقوده إلاَّ كان أثقل ما يكون خطواً، ووجد ثَمَّ السراب الخادع، وعدم الماء وقت العطش»[5].

وها هم أولاء المنافقون غرتهم أمانيُّهم، وقالوا: سيغفر لنا، فنودوا بالتوبيخ يوم القيامة ﴿ **وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ (الحديد ١٤).

وإذاً؛ فلا حقيقة للنية إلا بحدوث التوجه والميل فى النفس، وانبعاث الشوق فى القلب إلى العمل، ليندفع العامل بحبٍ وشغفٍ إلى تحقيق ما نوى.

ولكن؛ كيف يمكن للإنسان أن يُوجِد هذا الميل، وأن يبعث فى نفسه هذا الشوق؟

يقول الغزالى: «لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشىء، وميله إليه، وتوجهه نحوه، إلا باكتساب أسبابه، وذلك مما قد يُقْدَر عليه، وقد لا يُقْدَر عليه»[6].

تَعَلُّم النية وكيفية تحقيقها وتصحيحها:

نحن فى حاجة - إذاً - إلى تعلُّم النية، والبحث عن سبل اكتسابها وتصحيحها،

---

(١) إحياء علوم الدين ١٤/ ٢٧٠٤.

(٢) كان واعظاً مشهوراً من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة، ذكر منها أبو نعيم الأصبهانى جملة فى «حلية الأولياء»، وله روايات قليلة فى الحديث، وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائتين. انظر فى ترجمته: حلية الأولياء ٥١/١٠، تاريخ بغداد ٢٠٨/١٤، المنتظم ١٦/٥، الكامل ٢٥٨/٧، وفيات الأعيان ١٦٥/٦، سير أعلام النبلاء ١٥/١٣، البداية والنهاية ٣١/١١، شذرات الذهب ١٣٨/٢.

(٣) **التوانى**: التقصير والفتور، «يقال: توانى فى حاجته: أى قصّر» (الصحاح ٢٥٣١/٦).

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ١٨٤.

(٥) الرقائق: لمحمد أحمد الراشد صـ٤٥ - ٤٦.

(٦) إحياء علوم الدين ١٤/ ٢٧٠٤.

كما قال العارف الزاهد يحيى بن أبى كثير[١] رحمه الله: «تعلّموا النية؛ فإنها أبلغ من العمل»[٢]. وكما قال سفيان الثورى رحمه الله: «كانوا يتعلمون النية للعمل، كما تتعلمون العمل[٣]. وعن بعض العلماء: «اطلب النية للعمل قبل العمل، وما دُمت تنوى الخير فأنت بخير»[٤].

الأمر إذاً جدٌّ لا هزل، والعامل فى حاجة لأن يتعلم النية قبل أن يتعلم العمل؛ حتى إن بعض الصالحين كانوا يمتنعون من جملة من الطاعات إذا لم تحضرهم النية الصحيحة الصادقة لفعلها، ويقول: «إن رزقنى الله نيةً فعلت».

فربما قيل لإبراهيم التيمى[٥]: تكلَّم (يعنى بالعلم والتحديث) فيقول: «ما تحضرنى نية»[٦].

ودخل مكِّىُّ بن إبراهيم[٧] على سفيان الثورى ـ رحمهما الله ـ وبين يديه رغيف، وكف زبيب ـ أو حفنة ـ فقال له سفيان: ادْنُ يا مكى. فقال مكى: يا أبا عبد الله، دخلت إليك غير مرة، وأنت تأكل، فلم تدعنى قبلها. قال: اليوم حضرت نيتى»[٨].

---

(١) هو الإمام الحافظ يحيى بن أبى كثير اليمامى، من صغار التابعين، وكان طلابة للعلم حجة، لا يروى إلا عن ثقة، وأخرج الجماعة أحاديثه، مات سنة تسع وعشرين ومائة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ٥٥٥، التاريخ الكبير ١٨/ ٣٠١، تهذيب الكمال ٣١/ ٥٠٤، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧، ميزان الاعتدال ٤/ ٤٠٢، تهذيب التهذيب ١١/ ٢٣٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٧٠.

(٣) إحياء علوم الدين ١٤/ ٢٦٨٨.

(٤) إحياء علوم الدين ١٤/ ٢٦٨٨. .

(٥) هو الإمام القدوة الفقيه إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى، عابد الكوفة، وكان أبوه من أئمة الكوفة أيضا، وهو وأبوه من التابعين، وكان ثقة حجة، روى له الجماعة، يقال: قتله الحجاج بن يوسف، ويقال: مات فى حبسه سنة اثنتين وتسعين وقيل سنة أربع وتسعين، ولم يبلغ أربعين سنة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٨٥، التاريخ الكبير ١/ ٣٣٣، الجرح والتعديل ٢/ ١٤٦، تهذيب الكمال ٢/ ٢٣٢، سير أعلام النبلاء ٥/ ٦٠، تهذيب التهذيب ١/ ١٥٤، طبقات الحفاظ صـ٢٩.

(٦) حلية الأولياء ٤/ ٢١١.

(٧) هو الإمام الحافظ الصادق شيخ خراسان ومسندها مكى بن إبراهيم بن بشير بن فرقد، أحد شيوخ الإمام البخارى، ولد سنة ست وعشرين ومائة، وكان ثقة، أخرج له الجماعة، ومات سنة أربع عشرة ومائتين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٧٣، التاريخ الكبير ٨/ ٧١، الجرح والتعديل ٨/ ٤٤١، تاريخ بغداد ١٣/ ١١٥، تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٧٦، سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٤٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٥، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٦٠، طبقات الحفاظ صـ١٦٠.

(٨) حلية الأولياء ٧/ ٦٢.

وهذا الليث بن سعد[١] رحمه الله يقول: كنا نختلف إلى طاووس[٢] رحمه الله، فنسْكت عنه، فيحدثنا، ونسأله فلا يحدثنا، فقلت له ذات يوم: يا أبا عبد الرحمن، نسألك فلا تحدثنا، ونسكت فتبدؤنا؟ قال: «تسألونى فلا تحضرنى نية، فتأمرونى أن أملى على كاتبى شيئاً بلا نية؟!»[٣].

وقيل له: ادع لنا. فقال: «حتى أجد له نية»[٤].

وقال سفيان الثورى: قلت لحبيب بن أبى ثابت[٥] رحمه الله: حدثنا. قال: حتى تحضر النية»[٦].

لقد علموا أن النية روح العمل، وأن العمل بدونها عناءٌ، وتكلُّفٌ، وسبب فى المقت؛ لا فى القرب، وأنها ليست مجرد تلفظ باللسان، أو مرورٍ بالخاطر، وإنما هى انبعاث القلب وميل النفس إلى العمل، ولذلك لم يفعلوا ما ليست لهم فيه نية صادقة مخلصة.

ولا ينبغى أن يُفْهَم من ذلك الاستجابة لوساوس الشيطان حين يعترض له بخطرة

---

(١) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية، الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفَهْمى ولد سنة أربع وتسعين، وسمع من التابعين، وكان ناصراً للسنة، وكان بينه وبين الإمام مالك مودة صادقة، ومراسلات فى غاية الأدب، ومات سنة خمس وسبعين ومائة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٥١٧، التاريخ الكبير ٧/ ٢٤٦، الجرح والتعديل ٧/ ١٧٩، حلية الأولياء ٧/ ٣١٨، تاريخ بغداد ١٣/ ٣، وفيات الأعيان ٤/ ١٢٧، تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٥٥، سير أعلام النبلاء ٨/ ١٣٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٤، تهذيب التهذيب ٨/ ٤١٢، شذرات الذهب ١/ ٢٨٥.

(٢) هو الإمام الفقيه الحافظ طاووس بن كيسان اليمانى، تابعى جليل، سمع من كبار الصحابة، ولازم ابن عباس وهو معدود فى كبراء أصحابه، وتوفى سنة خمس ومائة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ٥٣٧، التاريخ الكبير ٤/ ٣٦٥، الجرح والتعديل ٤/ ٥٠٠، حلية الأولياء ٤/ ٣، وفيات الأعيان ٢/ ٥٠٩، تهذيب الكمال ١٣/ ٣٥٧، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٠، تهذيب التهذيب ٥/ ٨، طبقات الحفاظ صـ٣٤.

(٣) المحدث الفاصل للرامهرمزى صـ٥٨٤ (٨٢٦).

(٤) إحياء علوم الدين ١٤/ ٢٧٠٥.

(٥) هو الإمام الحافظ فقيه الكوفة حبيب بن أبى ثابت قيس بن دينار، القرشى، الأسدى مولاهم، تابعى جليل، سمع من ابن عمر وابن عباس وغيرهما، وكان من الثقات الأثبات. توفى سنة تسع عشرة ومائة، وقيل سنة اثنتين وعشرين ومائة، وكان من أبناء الثمانين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٢٠، التاريخ الكبير ٢/ ٣٢٣، الجرح والتعديل ٣/ ١٠٧، تهذيب الكمال ٥/ ٣٥٨، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٨٨، تذكرة الحفاظ ١/ ١١٦، تهذيب التهذيب ٢/ ١٥٦، طبقات الحفاظ صـ٤٤، شذرات الذهب ١/ ١٥٦.

(٦) المحدث الفاصل صـ٥٨٤ (٨٢٥).

من الخطرات، فيخوفه الرياء مثلاً أو نحو ذلك، لكن إن وجد فى نفسه كسلاً وعدم نشاط لفعل الطاعة، فإن عليه أن يجاهد نفسه، ويلتمس أسباب حضور نيته، ويذكر نفسه بضرورة الإخلاص لله، وعندئذ يقبل على الطاعة بإخلاص.

يقول الحارث بن أسد المحاسبى[1] رحمه الله:

فقول القائل: لا تحضرنى النية، أى: أريد أن أطيع الله عز وجل، ولكن أخاف ألا يخلص لى عمل؛ لما يخطر بقلبى، فذلك ضعف وغلط.

وأما من قاله على الكسل والبخل وقلة الرغبة وقلة سخاء النفس بالطاعة لله عز وجل، فذلك صادق جائز من قول من قاله.

ولكن لا يحمد نفسه على بخلها وكسلها عن الخير، وقلة سخائها بالطاعة، ولكن ليذكرها ثواب الله عز وجل فى الدنيا والآخرة، حتى تسخو، فإذا سخت فليُرِد الله عز وجل بذلك، وينفى كل ما خطر بقلبه من خطرة رياء وغيره»[2].

وهذه المجاهدة واستحضار النية كانت ديدن السلف الصالح رضوان الله عليهم.

فقد قيل لنافع بن جبير[3] رحمه الله: ألا تشهد الجنازة؟ فقال: «مكانك حتى أنوى» ففكر هنيهة، ثم قال: «امض»[4].

وكان رحمه الله يقول: «من شهد جنازةً ليراه أهلها فلا يشهدها»[5].

ونادى بعضهم امرأته، وكان يسرح شعره: أن هات المدْرَى (يعنى المشط) فقالت: أجىء بالمرآة؟ فسكت ساعةً، ثم قال: نعم. فقيل له فى ذلك، فقال: كان لى فى المدرى نية، ولم تحضرنى فى المرآة نية، فتوقفت حتى هيّأها الله تعالى[6].

تُرى ماذا فعل هذان الرجلان فى تلك اللحظة، حتى صحت لهما نية فى العمل،

---

(١) انظر ترجمته ومصادرها فى مقدمة كتابه «الرعاية لحقوق الله» بتحقيقى.

(٢) الرعاية لحقوق الله صـ٢٧٣

(٣) هو الإمام التابعى الحجة نافع بن جبير بن مطعم بن عدى القرشى، كان من خيار الناس وثقاتهم، وكان يعد من فصحاء قريش، ومات فى عشر التسعين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ٢٠٥، التاريخ الكبير ٨/ ٨٢، الجرح والتعديل ٧/ ٤٥١، تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٧٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤١، البداية والنهاية ٩/ ١٨٦، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٦١، شذرات الذهب ١/ ١١٦.

(٤) جامع العلوم والحكم ١/ ٧٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤٢.

(٦) إحياء علوم الدين ١٤/ ٢٧٠٥

دفعتهما للقيام به، وكيف استحضرا لأعمالهما نية صحيحة؟.

إن فهم ذلك من أهم ما ينبغى أن نتعلمه فى أمر النية، وأن نتدرّب عليه؛ لتزكو الأعمال وتتضاعف الحسنات إن شاء الله تعالى.

أسباب اكتساب النية الصحيحة:

إذا كانت صحة النية وخلوصها توفيقاً من الله عز وجل وهدايةً من لدنه؛ فإنه ثمةَ أموراً وأسباباً تعين على اكتسابها وتحقيقها، وسأذكر بعضها فيما يلى:

١ ـ استحضار الغاية:

غاية المسلم التى يسعى إليها هى اكتساب رضا الله عز وجل، وهى لا يمكن أن تتحقق إلا بقصد الله وحده بكل عمل، والإخلاص له فى كل حال، والمسلم العاقل هو الذى وضحت له هذه الغاية، واستبان أمامه الهدف، فجدّ فى السعى إليه، وسابق العمر فى تحصيله، واضعًا نصب عينيه أن لا وصول إلى ذلك إلا بالإخلاص لله عز وجل.

٦٠ ـفعن أنس بن مالك، عن النبى ﷺ قال:

«من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، مات والله عنه راضٍ»[(١)].

إن صاحب الغاية السامية يحمل همةً عاليةً، وعزيمةً ماضيةً، ترتفع به عن سفاسف الأمور، وتبعثه بعثا إلى استباق الخيرات، مستمرئاً كل مرٍّ، ومسترخصاً كل تضحية ما دامت فى سبيل الله عز وجل، ومحتقراً التقرب بجهده ـ مهما قلّ ـ لغير الله رب العالمين، ومنقبضاً صدرُه عن إرادة أحد غير الله العظيم بعمله، وبذلك يحقق النية بمعناها الصحيح الصادق.

٢ ـ استحضار عواقب العمل:

وذلك حتى تشتاق النفس إلى تحصيل عاقبة الخير، فيحدث فيها الميل إلى فعله، وتستقبح عاقبة السوء، فتفر منه، ولا تميل إليه.

فالعاقل إذا ذُكِّر بأن عاقبة الشهادة فى سبيل الله: الجنةُ بما فيها من قطوفٍ دانيةٍ، ومنازل عاليةٍ، وأنهارٍ من ماءٍ غير آسنٍ، وأنهارٍ من لبنٍ لم يتغير طعمه، وأنهارٍ من خمر

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى المقدمة، باب: الإيمان ١/ ٢٧ (٧٠)، وصححه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٣٣٢، ووافقه الذهبى، لكن قال البوصيرى فى مصباح الزجاجة ١/ ١٢: «هذا إسناد ضعيف»، وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٤١ (٦٨٥٦)

لذة للشاربين، وأنهارٍ من عسلٍ مصفى، وصحاف من ذهب وأكواب، وفاكهة من كل صنف زوجان، وحور عين، وغلمان مخلّدين، وفوق ذلك كله: رؤية رب العالمين، إلى آخر ما أعدَّ الله لأهلها من ألوان النعيم الذى لا يزول ولا يتحول، إذا ذكَّر العاقل بذلك فإن النفس عندئذ تتشوق لتحصيل هذا الخير، وتحقيق تلك الثمرات، فتنبعث إلى طلبها بصدقٍ من مالكها عز وجل، وذلك بالجهاد وإنفاق الأموال فى سبيله بحبٍ وإخلاص.

وهذا أمر واضح فى سيرة أصحاب النبى ﷺ، الذين كان يلهب حماستهم ويبعث إلى الجنة أشواقهم قولُه عز وجل ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ الآية (التوبة ١١١).

وهاك من سيرتهم ما يدل على ذلك:

٦١ - عن أسامة بن زيد رضى الله عنه، أن النبىَّ ﷺ قال:

«ألا مشمِّرٌ للجنة! فإن الجنة لا خَطَر لها(١)**، هى وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأ، وريْحانةٌ تهتز، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مُطَّردٌ، وفاكهةٌ كثيرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حسناءُ جميلةٌ، وحُلَلٌ كثيرة، فى مُقام أبداً، فى حَبْرَة**(٢) **ونَضْرة، فى دور عالية سليمة بهية»**.

قالوا: نحن المشمِّرون لها يا رسول الله.

قال: «قولوا: **إن شاء الله**» ثم ذكر الجهاد وحضَّ عليه(٣).

والتشمير الذى دعاهم إليه النبى ﷺ فأجابوا هو غاية السعى، وعلامة صدق الطلب والإخلاص فيه.

ولم يكن إعلانُهم التشمير شقشقة لسان، أو حديث نفسٍ، أو أمانىَّ كاذبة؛ إنما كان عزماً مخلصاً وتوجهاً صادقاً نحو الهدف، فانبعثت هممهم للتسابق فى تحصيل الجنة انبعاثاً عظيماً، ودونك بعض الأمثلة:

٦٢ - فعن أنس بن مالك رضى الله عنه فى الحديث عن غزوة بدر، حين دنا

---

(١) **لا خَطَر لها**: أى لا عوض لها ولا مثل، والخَطَر - بالتحريك - فى الأصل: الرهن وما يُخَاطَر عليه، ومثلُ الشىء، وعِدلُه، ولا يقال إلا فى الشىء الذى له قَدْرٌ ومَزِيّة. (النهاية ٢/ ٤٦).

(٢) **الحَبْرة** - بفتح الحاء المهملة -: النعمة وسعة العيش. (النهاية ١/ ٣٢٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: صفة الجنة ٢/ ١٤٤٨ - ١٤٤٩ (٤٣٣٢)، وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة ٣/ ٣٢٥ «فى إسناده مقال»، وصححه ابن حبان ١٦/ ٣٨٩ (٧٣٨١)، وأخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٤/ ٣٣٦، والفسوى فى المعرفة والتاريخ ١/ ٣٠٤، والطبرانى فى الكبير ١/ ١٦٣ (٣٨٨)

المشركون، أن النبى ﷺ قال ـ عندئذٍ ـ لأصحابه:

«قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض».

قال: يقول عُمير بن الحُمَام الأنصارى: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟

قال: «نعم».

قال عُمير: بَخٍ بَخٍ[1].

فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك: بخٍ بخٍ؟».

قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءَ أن أكون من أهلها.

قال: «فإنك من أهلها».

فأخرج تمرات من قَرَنه[2]، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييتُ حتى آكل تمراتى هذه؛ إنها لحياة طويلة.

قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل[3].

٦٣ ـ وعن سليمان بن أبان بن حُدَير رحمه الله أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه رضى الله عنهما أن يخرجا جميعا، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فأمر أن يخرج أحدهما، فاستَهَما، فخرج سهم سعد، فقال: أتؤثرنى بها يا بنى؟ فقال سعد: إنها الجنة، ولو كان غيرها لآثرتُك به.

فخرج سعدٌ مع النبى ﷺ، فقُتل يوم بدر، ثم قُتل خيثمة من العام المقبل يوم أحد»[4].

الله أكبر! «إنها الجنة»! تلك كلمة رجل أبصر الحقيقة ببصيرة عاقلة، فعرف ما

---

(١) **بخ**: كلمة تقال عند المدح والرضا بشىء، وتكرر للمبالغة، وهى مبنية على السكون، فإن وصلت جررت ونونت فقلت «بخٍ بخٍ» وربما شددت. وبخبخت الرجل: إذا قلت له ذلك ـ ومعناها: تعظيم الأمر وتفخيمه. (النهاية ١/١٠١، والصحاح ١/٤١٨).

(٢) **القرن** ـ بالتحريك ـ: جعبة من جلودٍ تشق ويجعل فيها النُّشَّاب. (النهاية ٤/٥٥، والصحاح ٦/ ٢١٨٠).

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب: الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد ٣/ ١٥١٠ (١٩٠١/ ١٤٥). وأخرجه الحاكم مختصراً وصححه على شرط مسلم فى المستدرك ٣/٤٢٦، ووافقه الذهبى.

(٤) هذا مرسل، أخرجه سعيد بن منصور فى سننه ٢/٢١٥ ـ ٢١٦ (٢٥٥٨) والحاكم ٣/١٨٩ وسكت عليه، وقال الذهبى: «مرسل، وإسناده ضعيف» وعزاه ابن حجر فى الإصابة ٣/٤٧ لموسى بن عقبة عن =

أمامه، وأحسن الموازنة، فانبعثت نفسُه طلباً للأثمن الأغلى، وعلم الله صدق الرجلين، فرزقهما الشهادة فى سبيله، واحداً بعد الآخر.

٦٤ - وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

«غاب عمِّى أنسُ بنُ النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غِبْتُ عن أول قتالٍ قاتلتَ المشركين، لئن اللهُ أشهدنى قتال المشركين ليرينَّ ما أصنع!

فلما كان يومُ أُحُد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المشركين -.

ثم تقدّم، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعدُ بنَ معاذ، الجنةَ وربِّ النضر، إنى أجد ريحها من دون أُحُد.

قال سعد: فما استطعتُ يا رسول الله ما صنع.

قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنةً برمح، أو رميةً بسهم، ووجدناه قد قُتل، وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلا أخته ببنَانه[1].

قال أنس: كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾** إلى آخر الآية».

قال ابن حجر تعليقاً على قوله «إنى أجد ريحها من دون أحد»:

«قال ابن بطال وغيره: يحتمل أن يكون على الحقيقة، وأنه وجد ريح الجنة حقيقة، أو وجد ريحاً طيبة ذكّره طيبها بطيب ريح الجنة.

ويجوز أن يكون أراد أنه استحضر الجنة التى أعدت للشهيد، فتصوَّر أنها فى ذلك الموضع الذى يقاتل فيه، فيكون المعنى: إنى لأعلم أن الجنة تُكْتَسب فى هذا الموضع، فأشتاق لها»[2].

= ابن شهاب به مرسلاً. وذكره ابن سعد فى الطبقات ٣/ ٤٧، وابن الأثير فى أسد الغابة ٢/ ٢٤٦، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ١/ ٢٦٦، بغير إسناد. وأهل السِّير مجمعون على أن سعد بن خيثمة قتل شهيداً يوم بدر.

(١) **البنان**: الأصبع، أو طرف الأصبع. (فتح البارى ٦/ ٢٣).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: قول الله عز وجل **﴿من المؤمنين رجال...﴾** الآية ٦/ ٢١ (٢٨٠٥)، وفى كتاب: المغازى، باب: غزوة أحد ٧/ ٣٥٤ ٣٥٥ (٤٠٤٨)، وفى كتاب: التفسير، سورة الأحزاب، باب: فمنهم من قضى نحبه ٨/ ٥١٨ (٤٧٨٣) مختصراً، والترمذى فى كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأحزاب ٥/ ٣٤٨ - ٣٤٩ (٣٢٠٠).

٦٥ ـ وعن شداد بن الهاد رضى الله عنه، أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبى ﷺ، فآمن به، واتبعه، ثم قال: أهاجر معك. فأوصى به النبى ﷺ بعض أصحابه.

فلما كانت غزوةٌ (فى بعض الروايات: خيبر أو حنين) غنم النبىُّ ﷺ سَبْيًا، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قال: «قسم قسمه لك النبى ﷺ فأخذه فجاء إلى النبى ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك». قال: ما على هذا اتبعتُك، ولكن اتبعتُك على أن أُرْمى ههنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهمٍ، فأموت، فأدخل الجنة. فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**».

فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا فى قتال العدو، فأُتِى به النبىُّ ﷺ يُحمل، قد أصابه سهمٌ حيث أشار، فقال النبى ﷺ: «**صدق اللهَ، فصدقه اللهُ**».

ثم كفنه النبى ﷺ فى جُبَّة النبى ﷺ، ثم قدّمه فصلّى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: اللهم هذا عبدُك، خرج مهاجراً فى سبيلك، فقُتل شهيدًا، أنا شهيدٌ على ذلك»[1].

لقد كانت الجنة ملء ناظرى الرجل، فصدق الله فى طلبها وشرائها بنفسه فصدقه الله، وبلَّغه ما أمَّل، وشهد له النبىُّ ﷺ بهذه الشهادة الغالية.

٦٦ ـ وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، قال وهو بحضرة العدو: قال رسول الله ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**»[2].

فقام رجلٌ رثُّ الهيئة[3]، فقال: يا أبا موسى، آنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم.

فرجع الرجل إلى أصحابه، فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جَفْن[4] سيفه،

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه النسائى فى كتاب: الجنائز، باب: الصلاة على الشهداء ٤/ ٦٠ ـ ٦١، وعبد الرزاق ٥/ ٢٧٦ (٩٥٩٧)، ومن طريقه: الطبرانى فى الكبير ٧/ ٢٧١ (٧١٠٨)، والمزى فى تهذيب الكمال ١٧/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٢) قال النووى: «قال العلماء: معناه أن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة، وسبب دخولها» (شرح النووى ١٣/ ٤٦).

(٣) **رثّ الهيئة**، وفى هيئته رثاثة، أى بذاذة، وأرثَّ الثوب: أى أخلق، والرِّثة: السقط من متاع البيت من الخلقان. (الصحاح ١/ ٢٨٣، وانظر: النهاية ٢/ ١٩٥).

(٤) **جَفْن السيف**: بفتح الجيم وإسكان الفاء والنون هو: غِمْده. (شرح النووى ١٣/ ٤٧).

فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو، فضرب به حتى قُتل[1].

ومثل ذلك كثير فى الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من سلف الأمة الصالحين، كان ذكرُ الجنة والتذكيرُ بعاقبة الجهاد يلهب مشاعرهم، فيصحِّحون نياتهم، ويصلحون مقاصدهم، ويدفعهم إلى الطاعات دفعاً، فى سعادةٍ وشوقٍ وإخلاص.

وأمامك السيرةُ فاجمع منها من ذلك ما شئت، وستجد خيراً كثيراً إن شاء الله تعالى.

٣ـ استحضار هيبة وعظمة من تؤدِّى إليه العمل:

وهو الله عز وجل، إذ هو مطّلعٌ على القلوب، عليم بذات الصدور، يعلم السر وأخفى، ويكشف الغش فى النية والقصد، ومن ثَمَّ فهو جل وعلا جديرٌ بأن يُرَاقَب ويُسْتَحيا منه.

قال بلال بن سعد[2]: «لا تنظر إلى صِغَر الخطيئة، ولكن انظر من عصيت»[3].

ومن تمام العلم بعظمة الله: أن يوقن العبد أن الله لا يقبل الشركة فى العمل بينه وبين غيره، وأن العمل باطلٌ مُحْبَط إذا كان لغير وجهه سبحانه.

٦٧ـ فعن أبى سعد بن أبى فضالة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد: مَنْ كان أشرك فى عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»[4].

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد ٣/ ١٥١١ (١٩٠٢/ ١٤٦)، والترمذى فى كتاب: فضائل الجهاد، باب: ما ذكر أن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف ٤/ ١٨٦ (١٦٥٩).

(٢) هو الإمام الربانى الواعظ أبو عمرو بلال بن سعد بن تميم السَّكُونى الدمشقى، شيخ دمشق، كان لأبيه صحبة، وهو تابعى جليل قليل الحديث، وكان بليغ الموعظة، حسن القصص، نفَّاعاً للعامة، توفى سنة نيف وعشرة ومائة.

انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٤٦١، التاريخ الكبير ٢/ ١٠٨، الجرح والتعديل ٢/ ٣٩٨، حلية الأولياء ٥/ ٢٢١، تهذيب الكمال ٤/ ٢٩١، سير أعلام النبلاء ٥/ ٩٠، البداية والنهاية ٩/ ٣٤٨، تهذيب التهذيب ١/ ١٤١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ٩١.

(٤) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن غريب ـ فى كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الكهف ٥/ ٣١٤ (٣١٥٤)، وابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: الرياء والسمعة ٢/ ١٤٠٥ (٤٢٠٣)، وأحمد ٣/ ٤٦٦، و٤/ ٢١٥، والطبرانى فى الكبير ٢٢/ ٣٠٧ (٧٧٨)، وصححه ابن حبان ٢/ ١٣٠ـ ١٣١ (٤٠٤) و١٦/ ٣٤٠ـ ٣٤١ (٧٣٤٥)، وقال ابن حجر فى الإصابة ٧/ ١٤٥: «قال على بن المدينى: سنده صالح»

٦٨ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركتُه وشركه**».

وفى رواية: «فأنا برىءٌ منه، وهو للذى أشرك»[1].

٦٩ـ وعن الضحّاك بن قيس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ الله تبارك وتعالى يقول: أنا خير شريكٍ، فمن أشرك معى شريكاً فهو لشريكى يا أيها الناس، أخلصوا أعمالكم لله، فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما خَلَصَ له، ولا تقولوا: هذا لله، وهذا للرحم، فإنها للرَّحِم، وليس لله منها شىء، ولا تقولوا: هذه لله ولوجوهكم، فإنها لوجوهكم، وليس لله فيه شىء»[2].

٧٠ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يُؤتى يوم القيامة بصحف مُخَتَّمة، فتُنْصَب بين يدى الله تعالى، فيقول تبارك وتعالى: ألقوا هذه، واقبلوا هذه. فتقول الملائكة: وعزتك وجلالك ما رأينا إلا خيرا فيقول الله عز وجل: إن هذا كان لغير وجهى، وإنى لا أقبل إلا ما ابتُغى به وجهى»[3].

وقال أبو العالية[4] رحمه الله: قال لى أصحاب محمد ﷺ: «**لا تعمل لغير الله؛ فيكلَك اللهُ إلى مَنْ عملت له**»[5].

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الزهد والرقائق، باب: من أشرك فى عمله غير الله ٤/ ٢٢٨٩ (٢٩٨٥/ ٤٦)، وابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: الرياء والسمعة ٢/ ١٤٠٥ (٤٢٠٢)، وأحمد ٢/ ٣٠١، ٤٣٥، وابن حبان ٢/ ١٢٠ـ ١٢١ (٣٩٥)، والبيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٢٩ (٦٨١٥).

(٢) أخرجه البزار ٤/ ٢١٧ـ ٢١٨ (٣٥٦٧)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢١ «شيخ البزار فيه ضعف» وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب ١/ ٥٥ (٨): «رواه البزار بإسنادٍ لا بأس به»، والبيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٣٥ـ ٣٣٦ (٦٨٣٦).

(٣) أخرجه البزار ٤/ ١٥٧ (٣٤٣٥)، والطبرانى فى الأوسط، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٥٠: «رواه الطبرانى فى الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، ورواه البزار» وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب ١/ ٧٣ (٣١): «رواه البزار والطبرانى بإسنادين، رواة أحدهما رواة الصحيح»، وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ (٦٨٣٦).

(٤) أبو العالية الرِّياحىّ هو الإمام المقرىء المفسِّر، أحد الأعلام، أدرك زمان النبى ﷺ وهو شاب، وأسلم فى خلافة أبى بكر الصديق، ودخل عليه، وسمع من كبار الصحابة، وكان ابن عباس يرفعه، ومات سنة تسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ١١٢، التاريخ الكبير ٣/ ٣٢٦، حلية الأولياء ٢/ ٢١٧، تهذيب الكمال ٩/ ٢١٤، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٥٨، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٦ الإصابة ٢/ ٤٢٧، طبقات الحفاظ صـ٢٢.

(٥) حلية الأولياء ٢/ ٢٢٠.

إن الحق عز وجل أعظم فى نفس المؤمن من أن يجعل له شريكاً فى عمله، أو يقصد معه غيره فى شىء، والعاقل يعلم أنه إن فعل ذلك صار عمله هباءً منثورًا، ولذلك يحرص على الدوام على تحرِّى الإخلاص له جل وعلا، وهذا أمرٌ يحتاج إلى مجاهدة صادقة.

سئل الإمام أحمد[(١)] رحمه الله عن النية فى العمل، كيف النية؟ فقال: «يعالج نفسه إذا أراد عملاً لا يريد به الناس»[(٢)].

وعن رجل من العلماء أنه قال: «اثنتان أنا أعالجهما منذ ثلاثين سنة: تركُ الطمع فيما بينى وبين الناس، وإخلاصُ العمل لله عز وجل»[(٣)].

وكم زلّت فى هذا الموطن أقدام! وربَّ قتيلٍ بين الصفين الله أعلم بنيته!

٧١ ـ **عن أبى موسى الأشعرى** رضى الله عنه قال:

جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما القتال فى سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضباً، ويقاتل حميَّةً.

فرفع إليه رأسه ـ قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائماً ـ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله».

وفى رواية: أن الرجل قال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن فى سبيل الله؟

قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»[(٤)].

---

(١) هو إمام أهل السنة والجماعة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى، صاحب المذهب، ولد فى ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة، ونشأ يتيماً، وطلب العلم صغيرًا، ونبغ فيه نبوغاً ظاهراً، وامتحن فى فتنة خلق القرآن، فحفظ الله به السنة والدين، إذ لم يجب إلى شىء من الباطل، وتوفى سنة إحدى وأربعين ومائتين، رحمه الله تعالى. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٥٤، التاريخ الكبير ٢/ ٥، الجرح والتعديل ١/ ٢٩٢، حلية الأولياء ٩/ ١٦١، تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢، وفيات الأعيان ١/ ٦٣، تهذيب الكمال ١/ ٤٣٧ ، سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧، تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣١، البداية والنهاية ١٠/ ٣٢٥، تهذيب التهذيب ١/ ٦٢، طبقات الحفاظ ص١٨٦.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٦٤. (٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٧١.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: من سأل وهو قائم عالماً جالساً ١/ ٢٢٢ (١٢٣)، وفى كتاب: الجهاد، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٦/ ٢٧ ـ ٢٨ (٢٨١٠)، وفى كتاب: فرض الخمس، باب: من قاتل للمغنم هل ينقص أجره ٦/ ٢٢٦ (٣١٢٦)، وفى كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: **﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾** ١٣/ ٤٤١ (٧٤٥٨)، ومسلم فى كتاب: الإمارة، باب: من=

٧٢ ـ وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال:

جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ، فقال: أرأيتَ رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شىء له».

فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ «لا شىء له» ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كانَ له خالصاً، وابتُغى به وجهُه»[١].

٧٣ ـ وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«الغزو غزوان: فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة[٢]، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونَبَهه أجرٌ كله.

وأما من غزا فخراً ورياءً وسُمعة، وعصى الإمام، وأفسد فى الأرض، فإنه لم يرجع بالكفاف»[٣].

وكم من الناس من يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، لكن نيته مغشوشة، وقلبه معظِّمٌ للناس؛ لا لله، وهمته مصروفةٌ إلى غير ربه عز وجل، فهو من أهل النار.

٧٤ ـ فمن ذلك ما رواه سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون، فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفى أصحاب رسول الله ﷺ رجلٌ لا يدع لهم شاذّةً ولا فاذّةً[٤]، إلا

= قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٣/ ١٥١٢ ـ ١٥١٣ (١٩٠٤/١٤٩: ١٥١)، وأبو داود فى كتاب: الجهاد، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٣/ ١٤ (٢٥١٧)، والترمذى فى كتاب: فضائل الجهاد، باب: ما جاء فيمن يقاتل رياءً وللدنيا ٤/ ١٥٣ ـ ١٥٤ (١٦٤٦)، والنسائى فى كتاب: الجهاد، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٦/ ٢٣ وابن ماجه فى كتاب: الجهاد، باب: النية فى القتال ٢/ ٩٣١ (٢٧٨٣)، وأحمد ٤/ ٣٩٧، ٤٠٥، ٤١٧.

(١) أخرجه النسائى فى كتاب: الجهاد، باب: من غزا يلتمس الأجر والذكر ٦/ ٢٥، وقال ابن حجر فى الفتح ٦/ ٢٨ وابن رجب فى جامع العلوم والحكم ١/ ٨١ «بإسنادٍ جيد» وأخرجه الطبرانى فى الكبير ٨/ ١٤٠ (٧٦٢٨).

(٢) **الكريمة**: الأموال النفيسة التى تتعلق بها نفسُ مالكها، ويختصها لنفسه، حيث هى جامعة للكمال الممكن فى حقها، وجمعها «كرائم». (انظر: النهاية ٤/ ١٦٧).

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٢٣٤، وأبو داود فى كتاب: الجهاد، باب: فيمن يغزو ويلتمس الدنيا ٣/ ١٤ (٢٥١٥)، والنسائى فى كتاب: الجهاد، باب: فضل الصدقة فى سبيل الله عز وجل ٦/ ٤٩، وصححه الحاكم ٢/ ٨٥ على شرط مسلم، ووافقه الذهبى. وأخرجه مالك فى الموطأ فى كتاب: الجهاد، باب: الترغيب فى الجهاد ٢/ ٣٧٢ (٤٣) موقوفاً على معاذ، وإسناده صحيح.

(٤) **الشاذّة** ـ بتشديد المعجمة ـ: ما انفرد عن الجماعة، **والفاذة**: مثله ما لم يختلط بهم، والهـــاء فيهما =

اتّبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ مِنَّا اليوم أحدٌ كما أجزأ فلان.

فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار».

فقال رجل من القوم: أنا صاحبه. قال: فخرج معه، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه.

قال: فجُرِح الرجلُ جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذُبَابه[1] بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه.

فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أشهد أنك رسول الله.

قال: «وما ذاك؟».

قال: الرجل الذى ذكرت آنفاً أنه من أهل النار، فأعظم الناسُ ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجتُ فى طلبه، ثم جرح جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذُبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه.

فقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»[2].

٧٥ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

«شهدنا مع رسول الله ﷺ (فى بعض الروايات: شهدنا خيبر وفى بعضها: حنيناً) فقال لرجلٍ ممن يدّعى الإسلام: «هذا من أهل النار».

فلما حضر القتالُ قاتل الرجلُ قتالاً شديداً، فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الذى قلتَ إنه من أهل النار؛ فإنه قاتل اليوم قتالاً شديدًا. وقد مات.

= للمبالغة. والمعنى: أنه لا يلقى شيئا إلا قتله. وقيل: المراد بالشاذ والفاذ: ما صغر وما كبر، وقيل: الشاذ: الخارج، والفاذ: المنفرد، وقيل: هم بمعنى واحد، وقيل: الثانى اتِّباع. (فتح البارى ٧/ ٤٧٢).

(١) **ذُبَابُ السيف**: طرفه الذى يُضْرَب به (الصحاح ١/ ١٢٦، والنهاية ٢/ ١٥٢).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: لا يقول: فلان شهيد ٦/ ٨٩ - ٩٠ (٢٨٩٨) وفى كتاب المغازى باب: غزوة خيبر ٧/ ٤٧١ (٤٢٠٢)، و ٤٧٥ (٤٢٠٧)، وفى كتاب: الرقاق، باب: الأعمال بالخواتيم وما يُخاف منها ١١/ ٣٣٠ (٦٤٩٣)، وفى كتاب: القدر، باب: العمل بالخواتيم ١١/ ٤٩٩ (٦٦٠٧)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ١/ ١٠٦ (١١٢/ ١٧٩)، وأحمد ٥/ ٣٣١، ٣٣٢، والطبرانى فى الكبير ٦/ ١٤٣ (٥٧٨٤) و ١٥٥ (٥٨٣٠) و ٢٠٠ (٦٠٠١)، والبيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٥٢.

فقال النبى ﷺ: «إلى النار».

قال: فكاد بعض الناس أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت، ولكنّ به جراحاً شديداً.

فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح، فقتل نفسه، فأُخبر النبىُّ ﷺ بذلك، فقال: «الله أكبر، أشهد أنى عبد الله ورسوله» ثم أمر بلالاً فنادى فى الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة (فى رواية إلا مؤمن) وإن الله ليؤيِّد هذا الدينَ بالرجل الفاجر»(١).

ألا ما أشد خسارة هذا الغاش لنفسه، المرائى بعمله، القاصد غير الله بجهاده! بل ما أجهله إذ لم يقدر الله حق قدره، فحبط عمله، وبطل جهاده بما أشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا.

قال الفُضَيْل بن عياض(٢) رحمه الله: «ترك العمل من أجل الناس رياء، والعملُ من أجل الناس شِركٌ، والإخلاصُ: أن يعافيك الله منهما»(٣).

٤ ـ كثرة اللقاء والمجالسة لأهل الخير والصلاح:

فإن الطبع يسرق من الطبع، وإن القلب يعدى القلب، وإن الجلوس مع الصالحين - وبخاصة أولئك المتواضعون الذين لا يحبون الشهرة، ولا يغترون بثناء الناس، ويتقبلون النصيحة بنفس راضية - ينمِّى حاسّة القلب، ويرقق مشاعره، ويجعله شديد الحساسية والتأثر، ويزكّى فيه الإخلاص وحسن النية ومجالس أولئك هى المجالس التى تتباهى بها الملائكة.

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ٦/ ١٧٩ (٣٠٦٢)، وفى كتاب: المغازى، باب: غزوة خيبر ٧/ ٤٧١ (٤٢٠٣، ٤٢٠٤)، وفى كتاب: القدر، باب العمل بالخواتيم ١١/ ٤٩٩ (٦٦٠)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ١/ ١٠٥ - ١٠٦ (١١١/ ١٧٨) وعبد الرزاق ٥/ ٢٦٩ - ٢٧٠ (٩٥٧٣)، وأحمد ٢/ ٣٠٩ - ٣١٠، والبيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٥٣.

(٢) هو الإمام القدوة الثبت شيخ العُبّاد، أبو على الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى الخراسانى كان من أورع الناس، وكان حجة لأهل زمانه. ولد بخراسان بكَوْرة أَبِيوَرْد، وقدم الكوفة وهو كبير، ثم تعبّد وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها سنة سبع وثمانين ومائة. انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير ٧/ ١٢٣، المعرفة والتاريخ للفسوى ١/ ١٧٩، الجرح والتعديل ٧/ ٧٣، حلية الأولياء ٨/ ٨٤، وفيات الأعيان ٤/ ٤٧، تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٨١، سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٥، تهذيب التهذيب ٨/ ٢٦٤، شذرات الذهب ١/ ٣٦١.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٩٥، وشعب الإيمان ٥/ ٣٤٧ (٦٨٧٩)، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٧.

٧٦ - **عن أنس بن مالك** رضى الله عنه، أن عبد الله بن رواحة رضى الله عنه إذا لقى الرجل من أصحابه، يقول: تعالَ بنا نؤمنْ ساعة.

فقال ذات يومٍ لرجل، فغضب الرجل، فجاء إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، ألا ترى إلى ابن رواحة؟ يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة

فقال النبى ﷺ **«يرحم الله ابنَ رواحة؛ إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة عليهم السلام»**[١].

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه للأسود بن هلال: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[٢].

إن ملاقاة الصالحين ومجالستهم تعين على المواظبة على الطاعات، وتذكِّر المسلم بربه، وتبعث بين المتجالسين روحَ التنافس فى الخير، وتسد أمام الشيطان أبواب الفتنة والإغواء، وتشغل القلب بالخواطر الصالحة، ومن ثَم يبادر العبدُ إلى تصحيح نيته، وإخلاص قصده لله وحده.

اجتمع الفضيل بن عياض وسفيان الثورى، فتذاكرا، فرقّ سفيان وبكى، ثم قال: أرجو أن يكون هذا المجلس علينا رحمةً وبركة. فقال له الفضيل: لكنى يا أبا عبد الله أخاف ألا يكون أضرَّ علينا منه. ألستَ تخلَّصت إلى أحسن حديثك، وتخلَّصتُ أنا إلى أحسن حديثى، فتزيَّنتَ لى، وتزيَّنتُ لك؟ فبكى سفيان، وقال: «أحييتنى أحياك الله»[٣].

إى والله، تلك هى الحياة حقا، وتلك هى الثمرة الطيبة لمجالسة الصالحين المخلصين.

ولعلّ حرص الإسلام على الجماعة فى أغلب شعائره ومعظم شئونه كان لتنمية وتزكية هذا المعنى فى النفوس.

ولعل التربية للعصبة المؤمنة الأولى فى دار الأرقم حققت هذا الغرض الكريم.

ولعل المؤاخاة بين المسلمين فى المدينة بعد الهجرة، وتقسيمهم عشرةً عشرة، وربط كل فردٍ بجماعةٍ من الصالحين كان لإحياء هذا المعنى السامى فى النفوس، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٦٥، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٧٦: «إسناده حسن صحيح» وكذا حسنه العجلونى فى «كشف الخفاء» ١/ ٥٠ (١١٥).

(٢) أخرجه البخارى معلقاً فى أول كتاب: الإيمان ١/ ٤٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٩.

٥ ـ النظر فى سير وأخبار السلف الصالح رضى الله عنهم:

إن النظر فى سير وأخبار السلف الصالح رضوان الله عليهم يبرز لنا مدى اهتمامهم بتحسين نواياهم، وإصلاح بواطنهم، ويحمل على التأسِّى والاقتداء بهم، وقبول نصائحهم فى الإخلاص وعدم الرياء أو حب الشهرة.

وقد مرَّ بنا المثال الذى ضربه النبىُّ ﷺ بأصحاب الغار الثلاثة وقصة المتصدق على سارق وزانية وغنى، ومرَّ بنا شىء من سير السابقين وأقوالهم وأخبارهم فى إخلاص النية مما يجدر بنا أن نستفيد منه ونتعلم من خلاله، كما تأتى بعد طائفة أخرى من أخبارهم، ويستطيع المرء أن يجد طائفة كثيرة وافرة من أخبار القوم وأحوالهم فى الكتب المختصة بذلك، ككتاب «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبى نعيم الأصبهانى، وكتاب «صفة الصفوة» لابن الجوزى، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادى، و«تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر، و«تاريخ الإسلام» و«سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبى، وغيرها.

من ذلك ما قال الصحابى الجليل بريدة بن الحصيب الأسلمى[1] رضى الله عنه: «شهدت خيبر، وكنتُ فيمن صعد الثُّلمة، فقاتلت حتى رُئى مكانى، وعلىَّ ثوبٌ أحمر، فما أعلم أنى ركبتُ فى الإسلامُ ذنباً أعظم علىَّ منه، أى الشهرة»[2].

قال الذهبى معلقاً: «بلى، جُهَّال زماننا يعدُّون اليوم مثل هذا الفعل من أعظم الجهاد، وبكل حال فالأعمال بالنيات، ولعل بريدة رضى الله عنه بإزرائه على نفسه يصير له عمله ذلكَ طاعة وجهاداً، وكذلك يقع فى العمل الصالح، ربما افتخر به الغِرُّ، ونوَّه به، فيتحول إلى ديوان الرياء قال الله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ (الفرقان ٢٣).

---

(١) صحابي جليل، غزا مع النبى ﷺ ست عشرة غزوة، وروى مائة وخمسين حديث، وعمّر فى الخير والجهاد، حتى توفى فى خلافة يزيد بن معاوية سنة اثنتين وستين أو ثلاث وستين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٤/ ٢٤١، و٧/ ٣٦٥، التاريخ الكبير ٢/ ١٤١، الجرح والتعديل ٢/ ٤٢٤، أسد الغابة ١/ ٢٠٩، تهذيب الكمال ٤/ ٥٣، تاريخ الإسلام ٢/ ٣٨٦، سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٦٩، الإصابة ١/ ٤١٨، تهذيب التهذيب ١/ ٣٧٨، شذرات الذهب ١/ ٧٠.

(٢) تاريخ الإسلام ٢/ ٣٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٧٠.

وقال مجاهد[١] رحمه الله: «لا تنوِّهوا[٢] بى فى الخلق»[٣] .

ونصح أبو الهيثم خالد بن صبيح[٤] أبا يوسف القاضى[٥] رحمهما الله، فقال:

«إن كنتَ طلبتَ هذا العلم لله فاصبر، فإن الله إذا عرف منك صدق نيتك وإخلاصك فتح لك باباً من الرزق واسعاً. . . »[٦].

وتمسَّك أبو يوسف بهذه النصيحة، فكتب الله له العلو على أقرانه فى العلم والفضل، وعاد ينصح أصحابه، ويقول:

«يا قوم، أريدوا بعلمكم الله، فقلَّ مجلسٌ أتيتُه أنوى فيه التواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولا أتيت مجلساً أريد أن أتكبّر فيه إلا لم أقم حتى أفتضح. ألا فأريدوا بعلمكم الله»[٧] .

وقيل لأحمد بن حنبل رحمه الله: مَنْ هنا إلى بلاد الترك يدعون لك، فكيف

---

(١) هو الإمام شيخ القراء والمفسرين أبو الحجاج مجاهد بن جبر، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، وعن غيره من جلة الصحابة، وهو من أعلم التابعين بالتفسير، واختلف فى سنة موته فقيل اثنتين ومائة، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع، وقيل: سبع، وقيل: ثمان. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ٤٦٦، التاريخ الكبير ٧/ ٤١١، المعرفة والتاريخ ١/ ٧١١، الجرح والتعديل ٧/ ٣١٩، حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩، تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٨٨، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٨٦، غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ٤١ (ت ٢٦٥٩)، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨، طبقات الحفاظ صـ٣٥.

(٢) **التنويه** هو: رفع الذكر، من ناه الشىء ينوه: ارتفع، فهو نائه، ونوَّهته تنويهاً: إذا رفعته، ونوَّهت باسمه إذا رفعت ذكره، وناه النبات: ارتفع. (الصحاح ٦/ ٢٢٥٤).

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٢.

(٤) هو خالد بن صبيح الخراسانى البلخى الفقيه، قال ابن أبى حاتم: سألت أبى عنه فقال: «كان صاحب رأىٍ وكان صدوقاً». له ترجمة فى: الجرح والتعديل ٣/ ٣٣٦، وميزان الاعتدال ١/ ٦٣٢، ولسان الميزان ٢/ ٣٧٨.

(٥) هو الإمام المجتهد العلامة المحدِّث الثقة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى الكوفى، صاحب الإمام أبى حنيفة. ولد سنة ثلاث عشرة ومائة، ولزم أبا حنيفة، وتفقه به، وهو أنبل تلامذته وأعلمهم، وكان هارون الرشيد يبالغ فى إجلاله، وولاه منصب قاضى القضاة. وتوفى فى ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة. انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير ٨/ ٣٩٧، المعرفة والتاريخ ١/ ١٣٣، تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٢، وفيات الأعيان ٦/ ٣٧٨، سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٣٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٢، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٩٧، شذرات الذهب ١/ ٢٩٨، مناقب الإمام أبى حنيفة للموفق المكى ص٤٦٣ ـ حسن التقاضى فى سيرة أبى يوسف القاضى للكوثرى.

(٦) مناقب أبى حنيفة للموفق المكى صـ٤٩١.

(٧) السابق صـ٤٩٠.

تؤدى شكر ما أنعم الله عليك، وما بثّ لك فى الناس؟

قال: «أسأل الله ألا يجعلنا مرائين»[1] .

فتشبهوا إن ام تكونوا مثلهم   إن التشبه بالصالحين فلاح.

(١) سير أعلام النبلاء ٣١٢/١١

الفصل الثالث

أقسام الأعمال المتعلقة بالنية

الأعمال بالنسبة إلى النية ثلاثة أقسام: معاصٍ، وطاعات، ومباحات، فكيف نصحِّح نياتنا فى كل منها.

١ ـ المعاصى:

إذا كانت الطاعات والمباحات يمكن أن تنقلب معاصى بالقصد والنية، فإن المعاصى لا تنقلب طاعة أبدًا، مهما يكن قَصْدُ صاحبها حسنًا بل لعلها تزداد بذلك إثماً، كما حكى الله عن الكفار قولهم عن عبادتهم للأصنام ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾ (الزمر ٣).

وذلك أن العمل حتى يكون مقبولاً مأجوراً لابد أن يكون صحيحاً موافقاً للشرع، خالصاً لله رب العالمين.

قال محمد بن عَجْلان[١] رحمه الله: «لا يصلح العمل إلا بثلاث: التقوى لله، والنية الحسنة، والإصابة»[٢] . ويعنى بالإصابة وقوع العمل على وفق الشرع.

وقال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى: ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾: قال: «أخلصه وأصوبه» وقال: «إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل» قال: «والخالص: إذا كان لله عز وجل، والصواب: إذا كان على السنة»[٣] .

وقد دلَّ على ذلك قوله عز وجل: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ (الكهف ١١٠).

فمن جمع مالاً بالباطل، وادّعى أنه قصد بجمعه من حرامٍ سدَّ حاجة المحتاجين، وإعطاء الفقراء والمساكين، وحج بيت الله الحرام، ونحو ذلك، فهو خاطىء آثمٌ، وعمله وَبَالٌ عليه.

---

(١) هو الإمام القدوة الصادق أبو عبد الله القرشى المدنى، كان فقيهاً مفتياً عابداً صدوقاً كبير الشأن، وكان يُشَبَّه بالياقوتة بين العلماء، وأخرج له مسلم فى الشواهد، وحديثه لا ينحط عن رتبة الحسن. توفى سنة ثمان وأربعين ومائة. انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير ١/ ١٩٦، الجرح والتعديل ٨/ ٤٩، الكامل فى التاريخ ٥/ ٥٥٢، تهذيب الكمال ٢٦/ ١٠١، سير أعلام النبلاء ٦/ ٣١٧، ميزان الاعتدال ٣/ ٦٤٤، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠٣.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٧١ وعزاه لابن أبى الدنيا فى «الإخلاص والنية».

(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ٧٢.

٧٧ ـ **عن أبى هريرة** رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن الله طيِّبٌ لا يقبل إلا طيِّباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** (المؤمنون ٥١) وقال **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾** (البقرة ١٩٢).

ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمدّ يديه إلى السماء: يارب، يارب، ومطعمُه حرام، ومشربُه حرام، وغُذِى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!»[1] .

٧٨ ـ **وعن القاسم بن مُخَيْمرة** قال: قال رسول الله ﷺ:

«**مَن اكتسب مالاً من مأثم، فوصل به رحماً، أو تصدق به، أو أنفقه فى سبيل الله، جُمع ذلك جميعاً، فقُذف به فى جهنم**»[2] .

٢ ـ الطاعات:

الطاعات مرتبطةٌ بالنية فى أصل صحتها وقبولها، وفى تضاعف أجرها وثوابها.

أما ارتباطها بالنية فى أصل صحتها، فقد مرَّ ما يدل على ذلك، وأن الأصل أن يقصد العبد بعبادته وعمله وجه الله عز وجل وحده لا شريك له، فإن قصد المراءاة صارت الطاعة معْصية.

وأما تضاعف فضلها، فبقدر الإخلاص فيها، كما مرَّ من حديث أبى هريرة فى قوله تعالى **﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾** (النساء ٤٠).

كما يتضاعف الفضل بتعدد النيات المشروعة، إذ الطاعة الواحدة يمكن أن ينوى بها نيات كثيرة، فيكون له بكل نية أجر.

وقد ضربَ الإمام الغزالى لذلك مثلاً بالقعود فى المسجد، فإنه طاعة، ويمكن أن ينوى فيه نيات كثيرة، حتى يصير من فضائل أعمال المتقين، ويبلغ به درجات المقرَّبين، وعدَّ من هذه النيات ثمانياً[3] :

أولها: أن يعتقد أنه بيت الله، وأن داخله زائر الله، فيقصد به زيارة مولاه، رجاء

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ٢/٧٠٣ (١٠١٥/٦٥)، والترمذى فى كتاب: التفسير، باب: ومن سورة البقرة ٥/ ٢٢٠ (٢٩٨٩)، والدارمى فى كتاب: الرقاق، باب: فى أكل الطيب ٢/٣٨٩ (٢٧١٣)، وأحمد ٢/٣٢٨.

(٢) أخرجه أبو داود فى المراسيل، باب: فى جامع الصدقة صـ٢٤٢ (١٣١).

(٣) انظر إحياء علوم الدين ١٤/٢٦٩٨ ـ ٢٦٩٩.

لما وعد به رسول الله ﷺ فى قوله:

٧٩ - «من توضأ فى بيته فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد، فهو زائر الله، وحقٌّ على المزور أن يكرم الزائر»[١].

٨٠ - وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: لتكن المساجد بيتَك؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله عز وجل ضمن لمن كانت المساجد بيتَه الأَمْنَ والجوازَ على الصراط يوم القيامة»[٢].

ثانيها: أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة، فيكون عند انتظاره فى صلاة.

٨١ - كما جاء فى الحديث الشريف:

«لا يزال أحدُكم فى صلاة ما دامت الصلاة تحبسه؛ لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة»[٣].

وهذا هو الرباط الذى حضَّ عليه النبى ﷺ فى قوله:

٨٢ - «أَلاَ أدلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟»

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: **«إسباغُ الوضوء على المكاره، وكثرةُ الخُطَا إلى المساجد، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»**[٤].

---

(١) الحديث عن سلمان الفارسى رضى الله عنه، أخرجه الطبرانى فى الكبير ٦/ ٢٥٣ - ٢٥٤ (٦١٣٩ و٦١٤٥)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/ ٣١: «أحد إسناديه رجاله رجال الصحيح»، وقال المنذرى فى «الترغيب والترهيب» ١/ ٢١٤: «رواه الطبرانى فى الكبير بإسنادين أحدهما جيد. وروى البيهقى نحوه موقوفاً على أصحاب رسول الله ﷺ، بإسناد صحيح».

(٢) أخرجه البزار. انظر كشف الأستار ١/ ٢١٨ (٤٣٤) وقال: إسناده حسن. وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/ ٢٢ إلى الطبرانى أيضاً فى الكبير والأوسط. وحسَّنه المنذرى فى الترغيب والترهيب ١/ ٢٢٢.

(٣) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه، أخرجه البخارى فى كتاب: الأذان، باب: من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة ٢/ ١٤٢ (٦٥٩)، ومسلم فى كتاب: المساجد، باب: فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة ١/ ٤٥٩ (٦٤٩/ ٢٧٥)، ومالك فى كتاب: قصر الصلاة، باب: انتظار الصلاة والمشى إليها ١/ ١٤٨ (٥٢).

(٤) الحديث عن أبى هريرة، أخرجه مالك فى كتاب: قصر الصلاة، باب: انتظار الصلاة والمشى إليها ١/ ١٤٩ (٥٥) ومسلم فى كتاب: الطهارة، باب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره ١/ ٢١٩ (٢٥١/ ٤١)، والترمذى فى كتاب: الطهارة، باب: ما جاء فى إسباغ الوضوء ١/ ٧٢ - ٧٣ (٥١ - ٥٢)، والنسائى فى كتاب: الطهارة، باب الفضل فى ذلك (يعنى إسباغ الوضوء) ١/ ٨٩ - ٩٠.
وروى نحوه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، أخرجه ابن ماجه فى كتاب: الطهارة (٤٢٧)، وصححه ابن حبان ٢/ ١٢٧ (٤٠٢)، والحاكم ١/ ١٩١، ١٩٢.

ثالثها: الترهُّب بكفِّ السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات، فإن الاعتكاف كفٌّ، وهو فى معنى الصوم والترهُّب.

رابعها: عكوفُ الهمِّ على الله، ولزومُ السر للفكر فى الآخرة، ودفعُ الشواغل الصارفة، بالاعتزال إلى المسجد هذه المدة.

خامسها: التجردُ لذكر الله، أو لاستماع ذكره، وللتذكير به.

سادسها: أن يقصد إفادة العلم، بأمرٍ بمعروف، أو نهيٍ عن منكرٍ، إذ المسجد لا يخلو عمن يسيء صلاته، أو يتعاطى مالاً لا يحلُّ له، فيأمره بالمعروف، ويرشده إلى الدين، فيكون شريكاً معه فى خيره الذى يتعلم منه، فتتضاعف خيراته.

٨٣ ـ وفى الحديث: «مَنْ غَدا إلى المسجد لا يريدُ إلا أن يتعلَّم خيراً أو يعلِّمه كان له كأجر حاجٍّ تاما حجته»[(١)] .

سابعها: أن يستفيد أخاً فى الله؛ فذلك غنيمة الدنيا، وذخيرة الآخرة. والمسجدُ هو مقرُّ أهل الدين المحبين لله، وفى الله.

ثامنها: أن يترك الذنوب حياءً من الله، وخشيةً منه.

وقد قال الحسن بن على[(٢)] رضى الله عنهما: «من أَدْمَن الاختلاف إلى المسجد رزقه اللهُ إحدى سبع خصال: أخاً مستفاداً، أو رحمةً مُسْتَنْزَلَةً، أو علماً مستطرَفاً، أو كلمةً تدلُّ على هدىً، أو تصرفه عن ردىً، أو يترك الذنوب خشيةً، أو حياءً»[(٣)] .

---

(١) الحديث عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه، أخرجه الطبرانى فى الكبير ٨/ ١١١ (٧٤٧٣)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/ ١٢٥: «رجاله موثقون»، وقال العراقى فى تخريج الإحياء: «إسناده جيد»، وصححه الحاكم فى المستدرك ١/ ٩١ على شرط البخارى، ووافقه الذهبى.

(٢) هو الإمام السيد، ريحانة رسول الله ﷺ وسِبْطه، وسيد شباب أهل الجنة، أبو محمد الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى، الشهيد، ولد فى شعبان من السنة الثالثة للهجرة، وعقَّ عنه جده ﷺ بكبشٍ، وحدَّث عن جدِّه ﷺ وعن أبيه، وعن أمه فاطمة رضى الله عنها، وكان أشبه الناس بجده ﷺ، وتولى الخلافة بعد أبيه، ثم تنازل لمعاوية، حقناً لدماء المسلمين. ومناقبه كثيرة مشهورة، وتوفى رحمه الله سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين.

انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير ٢/ ٢٨٦، الجرح والتعديل ٣/ ١٩، حلية الأولياء ٢/ ٣٥، تاريخ بغداد ١/ ١٣٨، أسد الغابة ٢/ ١٠، الكامل فى التاريخ ٣/ ٤٦٠، وفيات الأعيان ٢/ ٦٥، تهذيب الكمال ٦/ ٢٢٠، تاريخ الإسلام ٢/ ٢١٦، سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٤٥، البداية والنهاية ٨/ ١٤، الإصابة ٢/ ٦٠، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٥٧، شذرات الذهب ١/ ٥٥.

(٣) أخرج الطبرانى هذا الحديث عن الحسن مرفوعاً فى المعجم الكبير ٣/ ٨٨ (٢٧٥٠)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/ ٢٣: «فيه سعد بن طريف الإسكاف، وقد أجمعوا على ضعفه.

وعلى هذا المثال ـ أيها الأخ الحبيب ـ ينبغى أن تقيس كافة الطاعات، فتحدث لكل طاعة عدداً من النيات الحسنة الصالحة، فتصبح الطاعة الواحدة طاعات متعددة، يتضاعف بتعددها الثواب.

وإنى لأرجو بكثرة النيات للطاعة الواحدة أن يمتلأ القلب بالخير، فلا يكون فيه شعبة للشيطان ينفذ منها إلى إفساد عمله إن شاء الله.

٣ ـ المباحات:

كل مُباحٍ يحتمل نيةً أو نياتٍ متعددة، يصير بها من أعظم القُرُبات، وينال بها معالى الدرجات، أو يصير بها من المعاصى والسيئات.

ومن ثَمَّ وجب على الأخ المسلم أن يستحضر لكل مباحٍ نيةً أو نياتٍ صالحةً يحوِّل بها عمله إلى طاعة، على النحو الذى سبق بيانه فى الفائدة السابعة فى الفصل الأول.

قال زُبَيْدٌ اليامىُّ[1] رحمه الله: «إنى لأحب أن تكون لى نيَّةٌ فى كل شىء، حتى فى الطعام والشراب» وقال: «انْوِ فى كل شىء تريده الخيرَ، حتى خروجك إلى الكُنَاسة»[2].

وقال بعض العارفين من السلف: «إنى لأستحب أن يكون لى فى كل شىء نيةٌ، حتى فى أكلى وشربى ونومى ودخولى إلى الخلاء»[3].

وهذا بابٌ واسعٌ من أعظم أبواب الخير، التى غفل عنها كثير من الناس، إذ أن أكثر أمور الإنسان داخلة فى هذه الدائرة، كالطعام والشراب، واللباس، والتطيب، والنكاح، والعلاقات الاجتماعية، وغيرها وذلك كله يمكن أن يُقْصَد به ويُنْوَى بفعله التقربُ إلى الله تعالى، لأن كل ما هو سبب لبقاءِ البدن وفراغِ القلب من مهمات البدن فهو معينٌ على الدين.

فَمَنْ قصدُه من الأكل: التقوِّى على العبادة، ومن الوِقَاع: تحصينُ دينه، وتطييبُ قلب أهله، والتوصُّلُ به إلى ولدٍ صالحٍ يعبد الله تعالى بعده، فتكثر به أمة محمد ﷺ؛

---

(١) هو الحافظ زُبَيْد بن الحارث اليامى الكوفى، أحد الأعلام الثقات الأثبات، أخرج الجماعة أحاديثه، وتوفى سنة اثنتين وعشرين ومائة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٠٩، التاريخ الكبير ٣/ ٤٥٠، الجرح والتعديل ٣/ ٦٢٣، تهذيب الكمال ٩/ ٢٨٩، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٩٦، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٦٨، شذرات الذهب ١/ ١٦٠

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٧٠، وعزاه لابن أبى الدنيا فى «الإخلاص والنية»

(٣) إحياء علوم الدين ١٤/ ٢٧٠١، وأخرج ابن المبارك مثله فى «الزهد» صـ٦٤ (١٩٥).

كان مطيعًا بأكله ونكاحه.

وأغلبُ حظوظ النفس: الأكلُ والوقاعُ، وقصدُ الخير بهما غيرُ ممتنعٍ لمن غلب على قلبه همُّ الآخرة»[1].

قال بعض السلف: «من سرّه أن يكمل له عمله فليُحسنْ نيّتَه، فإن الله عز وجل يأجُر العبدَ إذا حسنت نيتُه، حتى باللقمة»[2].

ويضرب الإمام الغزالى مثلاً واضحاً فى ذلك، فيقول:

«فإن قلتَ: فما الذى ينوى بالطيب، وهو حظ من حظوظ النفس، وكيف يتطيّب لله؟

فاعلم أن من يتطيَّب مثلاً يوم الجمعة، وفى سائر الأوقات، يُتصوَّر أن يقصد به التَّنَعُّم بلذات الدنيا، أو يقصد به إظهار التفاخر بكثرة المال؛ ليحسده الأقران، أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه فى قلوبهم، ويُذْكَر بطيب الرائحة، أو ليتودَّد به إلى قلوب النساء الأجنبيات؛ إذا كان مستحلاً للنظر إليهن، ولأمور أخرى لا تحصى.

وكل هذا يجعل التطيُّب معصيةً، فبذلك يكون أنتن من الجيفة فى القيامة، إلا القصد الأول، وهو التلذذ والتنعم، فإن ذلك ليس بمعصية، إلا أنه يُسأل عنه، ومن نوقش الحساب عُذّب. ومن أتى شيئاً من مباح الدنيا لم يُعذَّب عليه فى الآخرة، ولكن ينقص من نعيم الآخرة بقدره، وناهيك خسراناً بأن يستعجل ما يفنى، ويخسر زيادة نعيمٍ لا يفنى.

وأما النيَّات الحسنة:

فإنه ينوى به اتباع سنة رسول الله ﷺ يوم الجمعة، وينوى بذلك أيضاً تعظيم المسجد، واحترام بيت الله، فلا يرى أن يدخله زائراً لله إلا طيب الرائحة، وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه، التى تؤدى إلى إيذاء مخالطيه، وأن يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة، فيعصون الله بسببه، فمن تعرَّض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريكٌ فى تلك المعصية، كما قيل:

إذا ترحَّلْتَ عن قومٍ وقد قدروا ... أن لا تفارقهم فالراحلون هُمُ

وقال الله تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين ١٤/١٢٧٠٠.

(٢) جامع العلوم والحكم ٧١/١ وعزاه لابن أبى الدنيا فى «الإخلاص والنية».

(الأنعام ١٠٨) أشار به إلى أن التسبُّب إلى الشر شر.

وأن يقصد به (أى التطيب) معالجة دماغه؛ لتزيد فطنتُه وذكاؤه، ويسهل عليه دَرْكُ مهماتِ دينه بالفكر، فقد قال الشافعى[1] رحمه الله: «مَنْ طاب ريحه زاد عقله».

فهذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها، إذا كانت تجارة الآخرة وطلبُ الخير غالبةً على قلبه.

وإذا لم يغلب على قلبه إلا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات، وإن ذُكرتْ له لم ينبعث لها قلبه، فلا يكون معه منها إلا حديث النفس، وليس ذلك من النية فى شىء.

والمباحات كثيرة، ولا يمكن إحصاء النيات فيها، فَقِسْ بهذا الواجب ما عداه»[2] .

بل إن المباح إذا حضرت له نيةٌ صحيحةٌ صالحةٌ يكون خيراً من المندوب الفارغ من هذه النية، وفى ذلك يقول الغزالى:

«من حضرتْ له نيةٌ فى مباحٍ، ولم تحضر فى فضيلة، فالمباح أولى، وانتقلت الفضيلة إليه، وصارت الفضيلة فى حقه نقيصة؛ لأن الأعمالَ بالنيات.

وذلك مثل العفو، فإنه أفضل من الانتصار فى الظلم. وربما تحضره نية الانتصار دون العفو[3] ، فيكون ذلك أفضل...

قال أبو الدرداء: إنى لأستجم نفسى بشىءٍ من اللهو، فيكون ذلك عوناً لى على الحق.

وقال علىٌّ كرم الله وجهه: روِّحوا القلوب، فإنها إذا أُكْرِهت عميت»[4] .

---

(١) هو الإمام العلَم ناصر الحديث فقيه الملة أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع، الشافعى، القرشى، ولد بغزّة سنة مائة وخمسين، ونشأ بمكة بعد وفاة والده، فحبب إليه العلم والفقه، فساد فيه أهل زمانه، وصنف فى أصوله وفروعه، وبَعُد صيته، وتكاثر عليه الطلبة، ورحل إلى بغداد، ثم إلى مصر حيث توفى ودفن بها سنة أربع ومائتين، وقد ألف جماعة من العلماء كتباً في مناقبه وسيرته انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير ١/ ٤٢، الجرح والتعديل ٧/ ٢٠١، حلية الأولياء ٩/ ٦٣، مناقب الشافعى للبيهقى، تاريخ بغداد ٢/ ٥٦، ترتيب المدارك ٢/ ٣٨٢، مناقب الشافعى للرازى، وفيات الأعيان ٤/ ١٦٣، تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٥٥، تاريخ الإسلام ١١/ ٢٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦١، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥، الجزء الأول من طبقات الشافعية للسبكى، البداية والنهاية ١٠/ ٢٥١، تهذيب التهذيب ٩/ ٢٣، طبقات الحفاظ صـ١٥٢، شذرات الذهب ٢/ ٩.

(٢) الإحياء ١٤/ ٢٧٠٠ ـ ٢٧٠١، وانظر صـ٢٧٠٤ مثل ذلك بالنسبة للنكاح.

(٣) كأن ينوى بالانتصار إعزاز الدين، وزجر الفاسد، ونحو ذلك.

(٤) إحياء علوم الدين ١٤/ ٢٧٠٧.

وهذا أمرٌ معلوم؛ فإن الأعمال تتفاضل بحسب صحة النية وحضورها.

روى ابن عبد البر بسنده عن ابن وهب[1] ، قال: «كنتُ عند مالك بن أنس، فحانت صلاة الظهر - أو العصر - وأنا أقرأ عليه، وأنظر فى العلم بين يديه، فجمعتُ كتبى، وقمتُ لأركع، فقال لى مالك: ما هذا؟ قلت: أقوم إلى الصلاة. قال: فقال: إن هذا لَعَجَبٌ! ما الذى قمتَ إليه بأفضل من الذى كنت فيه إذا صحَّت النيةُ فيه[2] .

(١) هو شيخ الإسلام الإمام أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفِهْرى مولاهم، المصرى الحافظ، ولد سنة خمس وعشرين ومائة، وطلب العلم وله سبع عشرة سنة، وكَان من أوعية العلم، وانتشر علمه، وبعُد صيتُه، وله عدة كتب، وهو حجة مطلقاً، وحديثه كثير فى الصحاح والسنن وتوفى سنة سبع وتسعين ومائة انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/٥١٨، التاريخ الكبير ٥/٢١٨، الجرح والتعديل ٥/١٨٩، ترتيب المدارك ٢/٤٢١، تهذيب الكمال ١٦/٢٧٧، سير أعلام النبلاء ٩/٢٢٣، ميزان الاعتدال ٢/٥٢١، تهذيب التهذيب ٦/٦٥، طبقات الحفاظ صـ١٢٦، شذرات الذهب ١/٣٤٧.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/١٢٢ (١١٦) بإسناد صحيح.

الفصل الرابع

تساؤلات

لعلك - أيها الأخ الحبيب يخطر ببالك الآن هذا السؤال:

ماذا لو قعدت النفس عن تحصيل هذه الأسباب، أو اجتهدت فيها ولم تصل إلى مرادها، أو أصابها اليأس من إدراك النية الصحيحة الخالصة؟

وأجيبك - أيها الحبيب - بأن عليك أن تصبر عليها، وأن تصبِّرها، وأن ترابط على هذه الأسباب حتى يفتح الله عليك، وأن تعلم أن القلوب لا تتحول طفرة أو فجأة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران ٢٠٠).

فالصبر والمصابرة والمرابطة على باب الله مما يفتح لك باب الفلاح، ويسهِّل عليك الأمر، ويصرف عنك كيد الشيطان.

والأمر فى حاجة إلى تدريب للنفس، بحملها أولاً على الطاعة، وإن لم تكن لها فيها نية حاضرة كاملة، ودوام تذكيرها بالأسباب السابقة؛ حتى تستقيم على طريق الإخلاص ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الذاريات ٥٥).

ولنا فى السلف الصالح من أئمة الإسلام أسوةٌ وقدوة، فقد جاهدوا أنفسهم جهاداً كبيراً حتى رزقهم الله النية المخلصة الصادقة.

هذا مجاهد بن جبر إمام المفسِّرين من التابعين يقول: «طلبنا هذا العلم وما لنا فيه نية، ثم رزق الله النية بعد[1] .

ومعمر بن راشد[2] شيخ الحديث باليمن رحمه الله يقول: «لقد طلبنا هذا الشأن، وما لنا فيه نية، ثم رزقنا الله النية بعد» ويقول: «كان يقال: إن الرجل يطلب العلم لغير

(١) المعرفة والتاريخ ١/ ٧١٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٢.

(٢) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عروة بن أبى عمرو الأزدى مولاهم البصرى، نزيل اليمن، مولده سنة خمس أو ست وتسعين، وكان من أوعية العلم مع الصدق والتحرى والورع والجلالة وحسن التصنيف، وأخرج الجماعة حديثه، وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة، وقيل: سنة أربع وخمسين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ٥٤٦، التاريخ الكبير ٧/ ٣٧٨، المعرفة والتاريخ ١/ ١٣٩، و٢/ ١٤١، و٣/ ١٥٧، الجرح والتعديل ٨/ ٢٥٥، تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٠٣، سير أعلام النبلاء ٧/ ٥، تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٠، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢١٨، طبقات الحفاظ ص٨٢.

الله، فيأبى عليه العلم حتى يكون لله»[1] .

وعلّق الذهبى على ذلك فقال: «نعم، يطلبه أولاً، والحاملُ له: حبُّ العلم، وحبُّ إزالة الجهل عنه، وحبُّ الوظائف، ونحوُ ذلك، ولم يكن عَلِمَ وجوب الإخلاص فيه، ولا صدْقَ النية.

فإذا عَلِم حاسب نفسَه، وخاف من وبَال قصده، فتجيئه النيةُ الصالحة كلُّها أو بعضُها، وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم، وعلامةُ ذلك: أنه يُقصر من الدعاوى وحبِّ المناظرة. . .».

وكذلك سفيان الثورى فقيه المحدثين يقول: «طلبتُ العلم، فلم يكن لى نية، ثم رزقنى الله النية»[2] .

وقيل له: ليست لهم نية ـ يعنى أصحاب الحديث ـ قال: «طلبُهم له نية، لو لم يأتنى أصحاب الحديث لأتيتُهم فى بيوتهم»[3] .

وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: «كنتُ أبكِّر فى الحديث، لم يكن لى فيه تلك النية فى بعض ما كنت فيه»[4] .

وهكذا تتابع الصالحون والمصلحون فى تأكيد هذا المعنى، وتربية التلاميذ وتدريبهم على حسن الانتقال إلى النية الصحيحة.

فاحرص ـ أخى الحبيب ـ على ذلك، ولا يزعجنّك أن بينك وبين القوم آماداً واسعة، فالحق جل وعلا يقول: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (العنكبوت ٦٩)

وأراك الآن ـ أخى الحبيب ـ تتساءل معى:

فماذا لو أن الإنسان اجتهد فصحّح نيَّته، ثم جاءه الشيطان فشغله وحوّل غرضه ومقصده، وأفسد نيته، وهو لا يفتأ يفعل ذلك ببنى آدم؟

وهذا ـ بالفعل ـ أمرٌ مهم، فقد يبدأ الإنسانُ عملَه بإخلاص وحسن قصد، ثم

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٧ وجامع بيان العلم ١/ ٧٤٧ ـ ٧٤٨ (١٣٧٦).

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٤، وانظر: جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٧٥ (٧٥٧).

(٤) سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٠٦، وانظر آثاراً كثيرةً فى هذا الباب فى جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٤٧ ـ ٧٥٠ (١٣٧٥: ١٣٨٣).

يداخله فيه عُجْبٌ، أو غرورٌ، أو استشرافٌ للمدح والثناء، أو غير ذلك من الآفات التى تفسد العمل، وإنما الأعمال بخواتيمها.

إن تصفية العمل من هذه الآفات أمرٌ صعبٌ شاقٌّ، انزعج من شدته كثير من العُبّاد الصالحين.

قال السَّرِىُّ السَّقَطِىُّ[(١)] رحمه الله: «تصفية العمل من الآفات أشد من العمل»[(٢)].

وقال سفيان الثورى: «ما عالجتُ شيئاً أشدَّ علىَّ من نيتى؛ لأنها تتقلَّب علىّ»[(٣)].

وقال أيوب السختيانى[(٤)]: «تخليص النيَّات على العمال أشدُّ عليهم من جميع الأعمال»[(٥)].

وقال يوسف بن أسباط[(٦)]: «تخليص النية من فسادها أشدُّ على العاملين من طول الاجتهاد»[(٧)].

وقال هشام الدستوائى[(٨)]: «والله ما أستطيع أن أقول: إنى ذهبتُ يوماً قط فى

---

(١) هو الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو الحسن السَّرِىُّ الْمُغَلِّس السَّقَطي، ولد فى حدود الستين ومائة، وكان قليل الحديث، اشتغل بالعبادة، وصاحب معروفاً الكرخى، وكان من أجلِّ أصحابه، وتوفى سنة إحدى، وقيل: ثلاث، وقيل: سبع وخمسين ومائتين. انظر فى ترجمته: حلية الأولياء ١٠/١١٦، تاريخ بغداد ٩/١٨٧، الرسالة القشيرية صـ١٢، سير أعلام النبلاء ١٢/١٨٥، شذرات الذهب ٢/١٢٧.

(٢) حلية الأولياء ١٠/١٢٢.

(٣) جامع العلوم والحكم ١/٧٠، وهو فى حلية الأولياء ٧/٥، ٦٢ وفى سير أعلام النبلاء ٧/٢٥٨، وفيه «نفسى» بدل «نيتى»، وزاد: «مرة علىَّ، ومرة لى».

(٤) هو الإمام الحافظ سيد العلماء أبو بكر أيوب بن أبى تميمة كيسان، العَنَزِىّ، البصرى السَّخْتيانى، عداده فى صغار التابعين، مولده سنة ثمان وستين، وكان ثقةً ثبتاً، كثير العلم، حجة، وحديثه أخرجه الجماعة، وتوفى سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/٢٤٦، حلية الأولياء ٣/٢، تهذيب الكمال ٣/٤٥٧، تذكرة الحفاظ ١/١٣٠، سير أعلام النبلاء ٦/١٥، تهذيب التهذيب ١/٣٤٨، شذرات الذهب ١/١٨١.

(٥) إحياء علوم الدين ١٤/٢٧١١.

(٦) هو الشيخ الزاهد يوسف بن أسباط، من سادات المشايخ، له مواعظ وحِكم، ونزل الثغور مرابطاً، واختلف فى توثيقه فى الحديث، وعاش فى القرن الثانى وكان قد دفن كتبه، فغلط. انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير ٨/٣٨٥، الضعفاء للعقيلى ٤/٤٥٤، الجرح والتعديل ٩/٢١٨، حلية الأولياء ٨/٢٣٧، سير أعلام النبلاء ٩/١٦٩، ميزان الاعتدال ٤/٤٦٢، الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى ٧/١٥٧.

(٧) جامع العلوم والحكم ١/٧٠.

(٨) هو الحافظ الحجة الصادق أبو بكر هشام بن أبى عبد الله سَنْبَر الدستوائى البصرى، الرَّبْعى مولاهم، والدستوائى: نسبة إلى «دَسْتُوا» وهى بليدة من أعمال الأهواز، كان هشام يتَّجر فى القماش الذى يُجلب منها، وكان فى الحديث ثقة ثبتاً، وأخرج الجماعة أحاديثه، وتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائة. انظر فى =

طلب الحديث أريد به وجه الله عز وجل»[١] .

وعلق الذهبى على ذلك بقوله: «والله ولا أنا، فقد كان السلف يطلبون العلم لله، فنبلوا، وصاروا أئمةً يُقْتَدى بهم. وطلبه قومٌ منهم أولاً لا لله، وحصَّلوه، ثم استفاقوا وحاسبوا أنفسهم، فجرّهم العلم إلى الإخلاص فى أثناء الطريق... ثم نشروه بنيةٍ صالحة».

وقال عبد الله بن مطرِّف[٢] : «تخليص العمل حتى يخلص أشد من العمل، والاتقاء على العمل بعد ما خلص أشد من العمل»[٣] .

وقال سهلُ بن عبد الله التُّسْتَرى[٤] رحمه الله: «ليس على النفس شىءٌ أشق من الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب»[٥] .

إذا كان الأمر بهذه الشدة؛ فإن علاج ذلك يكون بتعاهد النية وتجديد الإخلاص فيها باستمرار، ولو اقتضى ذلك تجديدها عدة مراتٍ فى العمل الواحد.

عن أبى أيوب سليمان بن داود الهاشمى العباسى[٦] قال: «ربما أحدِّث بحديثٍ واحد، ولى نية فإذا أتيتُ على بعضه تغيَّرت نيتى، فإذا الحديث الواحد يحتاج إلى نيات»[٧].

= ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٧٩، التاريخ الكبير ٨/ ١٩٨، المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٤، والجرح والتعديل ٩/ ٥٩، حلية الأولياء ٦/ ٢٧٨، تهذيب الكمال ٣٠/ ٢١٥، سير أعلام النبلاء ٧/ ١٤٩، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٤، تهذيب التهذيب ١١/ ٤٠، طبقات الحفاظ صـ٨٤، شذرات الذهب ١/ ٢٣٥.

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٥٢.

(٢) هو أبو جزء عبد الله بن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، سبقت ترجمة أبيه، وقد أخرج له أبو داود والنسائى حديثاً واحداً، وذكره ابن حبان فى الثقات، ومات قبل أبيه، وكان أبوه مات فى طاعون الجارف سنة سبع وثمانين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٤٤، التاريخ الكبير ٥/ ١٩٦، الجرح والتعديل ٥/ ١٧٤، الثقات لابن حبان ٥/ ٦، تهذيب الكمال ١٦/ ١٤٩، تهذيب التهذيب ٦/ ٣١.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ١٢١.

(٤) هو شيخ العارفين أبو محمد التُّسْتَرى، الصوفى الزاهد، له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، وقدم راسخة فى الطريق، توفى سنة ثلاث وثمانين، ومائتين. انظر فى ترجمته: حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، المنتظم ٥/ ١٦٢، وفيات الأعيان ٢/ ٤٢٩، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٠، شذرات الذهب ٢/ ١٨٢.

(٥) جامع العلوم والحكم ١/ ٨٤.

(٦) هو الإمام الشريف البارع الحافظ، ابن الأمير داود بن على بن عبد الله بن عباس، كان ثقة ثبتا من كبار الأئمة، أخرج حديثه الإمام أحمد وأصحاب السنن، وتوفى سنة تسع عشرة ومائتين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٤٣، التاريخ الكبير ٤/ ١٠، الجرح والتعديل ٤/ ١١٣، تاريخ بغداد ٩/ ٣١، تهذيب الكمال ٨/ ٤٢١، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٢٥، تهذيب التهذيب ٣/ ١٦٨.

(٧) تاريخ بغداد ٩/ ٣١، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٢٥، جامع العلوم والحكم ١/ ٨٣.

كما أن على الإنسان أن يداوم على تذكير نفسه، ويدأب فى ذلك، حتى تفىء لرشدها، وتستيقظ من غفلتها.

وليعلم العاقل أن من كيد الشيطان أن يلقى فى نفس الإنسان أنه لن يصح له عمل، ولن تصحّ له نية، وأن ينفث فى روعه أن اكتساب الإخلاص عزيز، بل مستحيل، وأنه لا طاقة له به، ولا صبر له عليه.

وهذا من خفى مكر العدو اللعين، الذى ينبغى التفطُّن له، ولأن يستمر العبد فى العمل ويصحِّح نيته مرةً بعد مرة، خيرٌ له من أن يترك العمل، ولم يكلَّف الإنسان تغيير طبعه حتى ينقلب فيكون كطبع الملائكة، إنما أُمر بمدافعة نزغات الشيطان ومجاهدة النفس الأمارة بالسوء، وهو فى هذه المجاهدة والمدافعة ما دام فى هذه الدنيا.

وكما يروى عن وهب بن منبِّه[١] أنه قال: الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس حَرُونٌ[٢]. فإن فَتَر قائدها صَدَفَتْ عن الطريق، وإن فَتَر سائقها حَرَنَتْ على قائدها، فإذا استقام السائق والقائد مضت النفسُ طوعاً أو كرها.

ولو كنت كلما كرهتْ نفسُك شيئاً تركتَه يوشك أن تترك دينك كله.

وقال: النفس تنتظر الهوى، والهوى ينتظر العقل، فإن زجره العقل انزجر، وإن أرخى له مرّ»[٣].

وإذاً فما عليك إلا الاجتهاد، والتوفيق من الله.

عن الحارث بن قيس[٤]، رحمه الله قال: «إذا كنتَ فى شىء من أمر الدنيا فَتَوَخَّ،

(١) هو الإمام العلامة الأخبارى القصصى وهب بن مُنَبِّه بن كامل، الأبْنَاوى، اليمانى، الصنعانى، مولده فى سنة أربع وثلاثين، وأخذ عن بعض الصحابة وكبار التابعين، وكان ثقه زاهداً، حسن الوعظ، عالماً بكتب أهل الكتاب، وأخرج له الجماعة، وتوفى فى المحرم سنة أربع عشرة ومائة، وقيل فى ذى الحجة سنة ثلاث عشرة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ٥٤٣، التاريخ الكبير ٨/ ١٦٤، الجرح والتعديل ٨/ ٢٤، حلية الأولياء ٤/ ٢٣، وفيات الأعيان ٦/ ٣٧، تهذيب الكمال ٣١/ ١٤٠، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٥، تهذيب التهذيب ١١/ ١٤٧، طبقات الحفاظ صـ٤١.

(٢) **حَرُونٌ**: يقال: فرس حَرُون أى: لا ينقاد، وإذا اشتد به الجرى وقف، وقد حَرَنَ يحرُن حُرُونا (الصحاح ٥/ ٢٠٩٧) فشبه النفس فى عدم انقيادها، وفى توقفها المفاجىء بعد الجرى بالفرس الحرون.

(٣) الرعاية لحقوق الله صـ٢٧١.

(٤) هو الحارثُ بن قيس الجعفىُّ الكوفىُّ العابدُ الفقيه، قديم الوفاة، صحب علىَّ بن أبى طالب وابن مسعود رضى الله عنهما، وكان قليل الرواية، ذا عبادة وتألُّه توفى زمن معاوية، وصلَّى عليه أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ١٦٧، التاريخ الكبير ٢/ ٢٧٩، الجرح والتعديل ٢/ ٨٦، حلية الأولياء ٤/ ١٣٢، تهذيب الكمال ٥/ ٢٧٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٧٥، تهذيب التهذيب ٢/ ١٣٤.

وإذا كنتَ فى شىءٍ من أمر الآخرة فامكث ما استطعت، وإذا جاءك الشيطان وأنت تصلى، فقال: إنكَ ترائى، فزدْ وأَطِلْ»[1].

وما أروعِ قول يوسف بن الحسين الرازى[2] رحمه الله، مبيناً استمرار تلك المجاهدة: «أعزُّ شىء فى الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد فى إسقاط الرياء عن قلبى، وكأنه ينبت فيه على لونٍ آخر»[3].

وهاهنا ـ أخى الحبيب ـ يرد السؤال التالى:

ما حكم العمل إذا خالطه شىءٌ من الرياء؟

من المعلوم أن العمل إذا قُصِد به غير وجه الله عز وجل كان حابطاً يستحق صاحبه المَقْت من الله، والعقوبة.

أما إذا كان لله، وخالطه الرياء ونحوه فهو على وجهين:

الأول: أن يشاركه الرياءُ من أصله، وهذا قد دلَّت النصوص الصحيحة السابقة على بطلانه، فالله أغنى الشركاء عن الشرك، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء..

أما إن خالط هذه النية شىءٌ غير الرياء، كنية حصول الغنيمة فى الجهاد مثلاً، فالصواب أن ذلك لا يقدح فى النية ما دام الباعث الأصلى إعلاءَ كلمة الله.

٨٤ ـ **فعن عبد الله بن حوالة** رضى الله عنه قال:

بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم، على أقدامنا، فرجعنا، فلم نغنم شيئاً، وعرف الجهد فى وجوهنا فقام فينا، فقال: «اللهم لا تَكِلْهم إلىَّ؛ فأضْعُفَ عنهم، ولا تَكِلْهم إلى أنفسهم؛ فيعجزوا عنها، ولا تَكِلْهم إلى الناس؛ فيستأثروا عليهم»... الحديث[4].

غير أن ذلك ينقص أجر جهادهم، ولا يجعله كجهاد غيره ممن لم يكن له غرض سوى إعلاء كلمة الله.

---

(١) المصنف لابن أبى شيبة ١٤/ ٣٤ (١٧٤٦٩)، والزهد لأحمد بن حنبل صـ٢٦٠، والزهد لابن المبارك صـ١٢ (٣٥) وشعب الإيمان ٥/ ٣٤٧ (٦٨٨٢) وسير أعلام النبلاء ٤/ ٧٥، وتاريخ الإسلام ٢/ ٢١٥.

(٢) هو الإمام العارف شيخ الصوفية، أبو يعقوب، كان إمام وقته، لم يكن أحد فى المشايخ على طريقته فى تذليل النفس وإسقاط الجاه، وتوفى سنة أربع وثلاثمائة رحمه الله. انظر فى ترجمته: حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٨، تاريخ بغداد ١٤/ ٣١٤، المنتظم ٦/ ١٤١، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٤٨، البداية والنهاية ١١/ ١٢٦، شذرات الذهب ٢/ ٢٤٥.

(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ٨٤.

(٤) أخرجه أبو داود فى كتاب: الجهاد، باب: فى الرجل يغزو يلتمس الأجر والغنيمة ٣/ ١٩ (٢٥٣٥). وحسَّن ابن حجر إسناد أبى داود فى الفتح ٦/ ٢٩.

٨٥ ـ **فعن عبد الله بن عمرو بن العاص** رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال:

«إن الغزاة إذا غَنِموا غنيمة تعجَّلوا ثلثى أجرهم، فإن لم يغنموا شيئاً تم لهم أجرهم»(١).

قال الإمام أحمد بن حنبل: «التاجر والمستأجر والمكارى، أجرُهم على قدر ما يخلص من نيتهم فى غزاتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره».

وقال أيضا فيمن يأخذ جُعْلاً على الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس أن يأخذ، كأنه خرج لدينه، فإن أُعطِى شيئاً أخذه».

وكذا روى عن عبد الله بن عمرو(٢)، قال: «إذا أجمع أحدكم على الغزو فعوّضه الله رزقاً فلا بأس بذلك. وأما إنْ أحدُكم إن أُعطِى درهماً غزا، وإن مُنع درهماً مكث، فلا خير فى ذلك».

وكذا قال الأوزاعى(٣): «إذا كانت نيةُ الغازى على الغزو فلا أرى بأساً»(٤).

الثانى: أن يكون أصل العمل خالصاً لله، ثم تطرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطراً

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الإمارة، باب: بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن غزا فلم يغنم ٣/ ١٥١٤ ـ ١٥١٥ (١٩٠٦/ ١٥٣)، وأبو داود فى كتاب: الجهاد، باب: فى السرية تخفق ٣/ ٨ (٢٤٩٧)، والنسائى فى كتاب: الجهاد، باب: فى ثواب السرية التى تخفق ٦/ ١٧ ـ ١٨، وابن ماجه فى كتاب: الجهاد، باب النية فى القتال ٢/ ٩٣١ (٢٧٨٥)، وأحمد ٢/ ١٦٩.

(٢) هو الصحابى الجليل الحبر العابد الإمام، ابن الصحابى الجليل عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى، وأبوه أكبر منه بإحدى عشرة سنة، وأسلم قبل أبيه، وله مناقب وفضائل كثيرة، وحدَّث عن النبى ﷺ بالكثير الطيب، بلغ حديثه نحو السبعمائة، وكان مشهوراً بكتابة الحديث، وقرأ كتب أهل الكتاب. توفى سنة ثلاث وقيل خمس وستين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٢/ ٣٧٣، و٤/ ٢٦١، و٧/ ٤٩٤، التاريخ الكبير ٥/ ٥، المعرفة والتاريخ ١/ ٢٥١، والجرح والتعديل ٥/ ١١٦، حلية الأولياء ١/ ٢٨٣، أسد الغابة ٣/ ٣٤٩، تهذيب الكمال ١٥/ ٣٥٧، سير أعلام النبلاء ٣/ ٧٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٩، الإصابة ٤/ ١٦٥، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٩٤، شذرات الذهب ١/ ٧٣.

(٣) هو الإمام شيخ الإسلام وعالم أهل الشام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد، الأوزاعى، نسبة إلى محلة الأوزاع بدمشق، ولد فى حياة الصحابة سنة ثمان وثمانين، وكان إماماً يقتدى به، وأُريد على القضاء فأبى وامتنع، وكان قوالاً بالحق لا يخشى إلا الله، ومات سنة سبع وخمسين ومائة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٤٨٨، التاريخ الكبير ٥/ ٣٢٦، المعرفة والتاريخ ٢/ ٣٩٠، الجرح والتعديل ١/ ١٨٤، حلية الأولياء ٦/ ١٣٥، وفيات الأعيان ٣/ ١٢٧، تهذيب الكمال ١٧/ ٣٠٧، سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧، تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٨، تهذيب التهذيب ٦/ ٢١٦، طبقات الحفاظ صـ٧٩.

(٤) هذه النقول من جامع العلوم والحكم ١/ ٨٢.

ودفعه فلا يضره بغير خلاف، ولا ينقطع الإخلاص بهذه النية الطارئة، ما دام آخذاً فى دفع هذا الخاطر عن قلبه.

لكن إن استرسل مع هذا الخاطر، فقد اختلف العلماء: هل يُحْبَط به عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته؟

والذى عليه الجمهور(١) أنه إذا كان الإخلاص هو الباعث الأول فلا يضره ما عَرَض له بعد ذلك، ويُجَازى بنيته الأولى.

قال ابن رجب: «ويستدل لهذا القول بما خرَّجه أبو داود فى «مراسيله»(٢) عن عطاء الخراسانى؛ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن بنى سلمة كلهم يقاتل، فمنهم مَن يقاتل للدنيا، ومنهم من يقاتل نجدةً، ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله، فأيُّهم الشهيد؟ قال: «كلهم إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هى العليا».

وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو فى عمل يرتبط آخره بأوله، كالصلاة والصيام والحج، فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديد نية»(٣).

لكن مع ذلك فإن عليه أن يجتهد فى مدافعة هذا الخاطر ما استطاع، ثم عليه أن يداوم على الاستغفار والذكر، حتى يتطهر القلب من كل شركٍ خفىٍّ أو شبهة مستترة، وهذا ما علَّمنا إياه النبى ﷺ.

٨٦ ـ **فعن أبى على** ـ رجلٍ من بنى كاهل ـ قال:

خطبنا **أبو موسى الأشعرى** رضى الله عنه، فقال: يا أيها الناسُ اتقوا هذا الشركَ، فإنه أخفى من دبيب النمل. فقام إليه عبدُ الله بن حَزَن، وقيسُ بن المُضَارب، فقالا: والله لتخرجنَّ مما قلت، أو لنأتينَّ عمرَ، مأذوناً لنا أو غير مأذون، قال: بل أخرج مما قلتُ. خطبنا رسول الله ﷺ ذات يومٍ، فقال:

«أيها الناسُ، اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل» فقال له من شاء أن يقول: وكيف نتقيه، وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟

---

(١) ذكر ابن حجر فى الفتح ٢٨/٦ أن ذلك قول الجمهور.

(٢) فى باب فى فضل الجهاد: صـ١٧٩، وقال ابن حجر فى الفتح ٢٨/٦: «وروينا فى «فوائد أبى بكر بن أبى الحديد» بإسنادٍ ضعيفٍ عن معاذ بن جبل أنه قال: يا رسول الله، كل بنى سلمة يقاتل، فمنهم من يقاتل رياءً، الحديثَ».

(٣) جامع العلوم والحكم ٨٣/١.

قال: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه»[1].

فاعقلْ هذا، واستعنْ بذكر الله، ودوام على الاستغفار على وساوس الشيطان، وخطراتِ النفس يُصْلِح اللهُ نيَّتَك، ويتقبل عملك إن شاء الله.

وليكن رسولُ الله ﷺ قدوتَك في ذلك، فقد كان دائم الاستغفار لله في كل حين.

٨٧ ـ **فعن الأغرِّ المُزَنى** رضى الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال:

«إنه لَيُغَانُ[2] على قلبى، وإنى لأستغفرُ الله في اليوم مائة مرة[3]».

قال طلقُ بنُ حبيب العَنَزِىُّ[4] رحمه الله: «إنَّ حقوقَ الله تعالى أعظمُ من أن يقومَ بها العباد، وإن نعمَ الله أكثرُ من أن تُحْصَى، ولكنْ أَصْبِحُوا تائبين، وأَمْسوا تائبين»[5].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٤٠٣، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/٢٢٣: «رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير أبى علىٍّ، ووثقه ابن حبان» وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب ١/٧٦: «رواه أحمد والطبرانى، ورواته إلى أبى علىٍّ محتجٌ بهم فى الصحيح، أبو على وثقه ابن حبان، ولم أَرَ أحداً جرَّحه» وله شاهد من حديث حذيفة رضى الله عنه عن أبى بكر رضى الله عنه، أخرجه أبو يعلى فى مسنده ١/ ٦٠ ـ ٦١ (٥٨) وإسناده ضعيف (انظر المجمع ١٠/ ٢٤٤).

(٢) قال النووى: «قال أهل اللغة: **الغَيْن** بالغين المعجمة ـ والغَيْم بمعنى. والمراد هنا: ما يتغشَّى القلب. قال القاضى: **قيل المراد**: الفترات والغفلات عن الذى كان شأنه الدوامَ عليه، فإذا فتر عنه أو غفل عدّ ذلك ذنباً، واستغفر منه.

وقيل: هو همُّه بسبب أمته، وما اطلع عليه من أحوالها بعده، فيستغفر لهم.

وقيل: سببه اشتغاله بالنظر فى مصالح أمته وأمورهم، ومحاربة العدو ومداراته، وتأليف المؤلفة ونحو ذلك، فيشتغل بذلك من عظيم مقامه، فيراه ذنباً بالنسبة إلى عظيم منزلته، وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات وأفضل الأعمال، فهى نزول عن عالى درجته ورفيع مقامه، من حضوره مع الله تعالى ومشاهدته ومراقبته وفراغه مما سواه، فيستغفر لذلك.

وقيل: يحتمل أن هذا الغين هو السكينة التى تغشى قلبه، لقوله تعالى ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ ويكون استغفاره إظهاراً للعبودية والافتقار وملازمة الخشوع، وشكراً لما أولاه» (شرح النووى ١٧/ ٢٣ ـ ٢٤).

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب: الذكر والدعاء، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه ٤/ ٢٠٧٥ (٢٧٠٢/ ٤١)، وأبو داود فى كتاب: الوتر، باب، فى الاستغفار ٢/ ٨٤ ـ ٨٥ (١٥١٥)، وأحمد ٤/ ٢٦٠.

(٤) أحد العلماء العاملين، كان من زهاد البصرة، وهو تابعى سمع من ابن عباس وغيره، وكان طيب الصوت بالقرآن، حسن الموعظة، ثقةً فى حديثه، ومات قبل المئة انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢٧، التاريخ الكبير ٤/ ٣٥٩، الجرح والتعديل ٣/ ٤٩٠، حلية الأولياء ٣/ ٦٣، تهذيب الكمال ١٣/ ٤٥١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠١، البداية والنهاية ٩/ ١٠١، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٧.

(٥) الزهد لابن المبارك (٣٠٢)، مصنف ابن أبى شيبة ١٣/ ٤٨٨، حلية الأولياء ٣/ ٦٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠٢.

وصدق، فإن القلوب أشدُّ تقلُّباً من القدْر إذا اجتمعت غَلْياً، فما أحوجها للتوبة الدائمة والاستغفار المستمر، والاستعاذة الدائمة بالله جل جلاله من الوقوع فى النفاق والرياء.

عن جبير بن نفير[1]، أنه سمع أبا الدرداء[2] رضى الله عنه، وهو فى آخر صلاته، وقد فرغ من التشهد يتعوَّذ بالله من النفاق، فأكثر التعوُّذ منه، فقال جبير: وما لك يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟ فقال: «دعنا عنك، دعنا عنك، فوالله إن الرجل لَيُقْلَب عن دينه فى الساعة الواحدة، فيُخْلَع منه»[3].

وما ألطف الدعاء الذى كان يدعو به مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير رحمه الله: «اللهم إنى أستغفرك مما تُبْتُ إليك منه ثم عُدْتُ فيه، وأستغفرك مما جعلتُه لك على نفسى ثم لم أوفِّ به، وأستغفرك مما زعمتُ أنى أردتُ به وجهك، فخالط قلبى منه ما قد علمتَ»[4].

وكذلك الدعاء الذى كان يدعو به محمد بن سابق[5] رحمه الله: «اللهم إنى أستغفرك مما تبتُ إليك منه ثم عُدْتُ فيه، وأستغفرك للنعم التى أنعمتَ بها علىَّ فتقوَّيتُ

---

(١) هو التابعى الجبل جبير بن نفير بن مالك الحضرمى الحِمْصى، أدرك حياة النبى ﷺ، وحدَّث عن أبى بكر وعن كبار الصحابة، وبخاصة أبو الدرداء، وهو ثقة أخرج حديثه مسلم وأصحاب السنن. وتوفى سنة خمس وسبعين، وقيل: سنة ثمانين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٤٤٠، التاريخ الكبير ٢/ ٢٢٣، المعرفة والتاريخ ٢/ ٣٠٧، الجرح والتعديل ٢/ ٥١٢، حلية الأولياء ٥/ ١٣٣، أسد الغابة ١/ ٣٢٤، تهذيب الكمال ٤/ ٥١٠، سير أعلام النبلاء ٤/ ٧٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٩، الإصابة ١/ ٥٧١، تهذيب التهذيب ٢/ ٥٦، طبقات الحفاظ صـ١٦، شذرات الذهب ١/ ٨٨.

(٢) هو الصحابى الجليل الإمام القدوة قاضى دمشق أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس، ويقال: ابن مالك الأنصارى الخزرجى، حكيم هذه الأمة، روى عن النبى ﷺ مائة وتسعة وسبعين حديثا وجمع القرآن فى حياة النبى ﷺ، واشتغل بالعبادة، وتوفى سنة إحدى وثلاثين رضى الله عنه. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٩١، التاريخ الكبير ٧/ ٧٦، الجرح والتعديل ٧/ ٢٦، حلية الأولياء ١/ ٢٠٨، أسد الغابة ٤/ ٣١٨، تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٦٩، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٣٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤ الإصابة ٤/ ٦٢١، تهذيب التهذيب ٨/ ١٥٦، شذرات الذهب ١/ ٣٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٨٢ وقال الذهبى: إسناده صحيح.

(٤) شعب الإيمان للبيهقى ٥/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣ (٧١٦٧)، حلية الأولياء ٢/ ٢٠٧، جامع العلوم والحكم ١/ ٨٤.

(٥) هو محمد بن سابق التميمى مولاهم، أبو جعفر، أصله من فارس، ثم سكن بغداد، ومات بها، أخرج له الجماعة إلا ابن ماجه، وهو خيارٌ ثقة، مات سنة ثلاث عشرة ومائتين وقيل: سنة أربع عشرة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٢٤، التاريخ الكبير ١/ ١١١، المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٥٨، و٣/ ١٤٥، الجرح والتعديل ٧/ ٢٨٣، الثقات لابن حبان ٩/ ٦١، العبر ١/ ٣٦٥، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٥٥، تهذيب الكمال ٢٥/ ٢٣٣، تهذيب التهذيب ٩/ ١٥٤، شذرات الذهب ٢/ ٢٩.

بها على معاصيك، وأستغفرك من كل شيء أوجبتُ لك على نفسى ثم لم أُوَفِّ لك به، وأستغفرك لكل شيء أردتُ به وجهك، ثُم خالطها ما ليس لك رضا»[(١)].

فاللهم مصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك، ولا تَحُلْ بيننا وبين قلوبنا يا أرحم الراحمين.

ونختم التساؤلات بهذا السؤال المهم الذى قد يكون مُلِحًا على البعض:

ما هى علامات صحة النية وإخلاصها؟

وبعبارة أخرى: **إذا كانت النية وصحتها أمراً خفياً، فكيف أعرف من نفسى أن نيتى لهذا العمل صحيحة، وأنها صالحة، وأنها خالصة؟**

وأجيبك أيها الأخ الحبيب ـ فأقول:

مع أن صلاح النية وخلوصها أمرٌ يعلمه الله وحده، وعلى أساسه يقبل العمل أو يرده؛ إلا أن لذلك علاماتٍ ومظاهر، هى من أسباب لطف الله بعباده، وإدخال الطمأنينة على نفوسهم؛ لتنشّط للعمل، وتخف له وتنهض بتكاليفه وهناك بعض هذه العلامات:

١ ـ عدم استشراف الشهرة والمحمدة:

فالمخلص الحق لا يجد فى صدره حبًا واستشرافاً لثناء الناس عليه، ولا خوفاً وتحرجاً من ذمِّهم إياه، ولا يدفعه إعجابه بعمله إلى إرادة المحمدة، أو كراهة المذمة، أو طلب الشهرة فى الخلق، ومن ثَم لا يكون لاطلاع الناس أثرٌ فى تجويد العمل أو العكس، بل العبرة باطمئنان قلبه للعمل، وموافقته لصحيح الشرع، وبسكون إرادته إلى ابتغاء وجه الله وحده، سرًا كان العمل أو جهرة.

قال أيوب السختيانى وإبراهيم بن أدهم[(٢)]: «ماصدق عبد قط، فأحبّ الشهرة»[(٣)].

---

(١) شعب الإيمان ٥/ ٤٣٣ (٧١٦٨).

(٢) هو الإمام القدوة العارف سيد الزهاد أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور، العِجْلى، وقيل: التميمى الخراسانى البَلْخى، نزيل الشام، ولد فى حدود المئة، واشتغل بالعبادة، وكان فى الحديث ثقة، وتوفى سنة اثنتين وستين ومائة. انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير ١/ ٢٧٣، المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٥٥، الجرح والتعديل ٢/ ٨٧، حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧، الكامل فى التاريخ ٦/ ٥٦، تهذيب الكمال ٢/ ٢٧، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٨٧، البداية والنهاية ١٠/ ١٣٥، تهذيب التهذيب ١/ ٨٨، شذرات الذهب ١/ ٢٥٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠ عن أيوب، و٧/ ٣٩٣ عن إبراهيم، والبيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٦٦ (٦٩٧٤).

قال الذهبى معلّقاً: «علامة المخلص الذى قد يحب شهرةً وهو لا يشعر بها: أنه إذا عُوتب فى ذلك لا يَحْرُد[1] ولا يبرِّىء نفسه، بل يعترف، ويقول: رحم الله من أهدى إلىّ عيوبى، ولا يكون مُعْجباً بنفسه، ولا يشعر بعيوبها، بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داء مُزْمِن»[2].

وكذلك كان الصالحون رضى الله عنهم يكرهون الشهرة ويفرون منها، خوفاً من الوقوع فى الرياء، والاغترار بالتفاف الناس حوله.

فعن مجاهد أنه كان يقول: «لا تنوِّهوا بى فى الخلق»[3].

وكان أبو العالية الرِّياحى إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام فتركهم[4].

وقال أيوب السختيانى: «ليتق اللهَ رجلٌ، فإن زهد فلا يجعلن زهده عذاباً على الناس، فلأن يُخفى الرجل زهده خيرٌ من أن يعلنه»[5].

وكان رحمه الله يقوم الليل، فيخفى ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته، كأنه قام تلك الساعة»[6].

وكان فى مجلس، فجاءته عَبْرةٌ، فجعل يمتخط ويقول: ما أشد الزكام؟»[7].

فإذا وجد العبدُ فى صدره حبًا للشهرة، وميلاً إلى مدح الناس، وفرحاً بما أتى من الأعمال، أو كان الباعث له على العمل تحصيل شىء من ذلك لم يؤمن عليه أن يكون من المرائين الذين قال الله عز وجل فيهم: **﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾** [آل عمران: ١٨٨].

قال وهب بن مُنبِّه: «من خصال المنافق: أن يحب الحمد، ويبغض الذم»[8].

وقال أيضاً: «لكل شىء علامةٌ يُعْرَف بها، وتشهد له أو عليه... وللمنافق ثلاث

---

(١) يَحْرُد، بضم الراء: أى لا يتحول، يقال: حَرَد يحرُد حُرُوداً: إذا ترك قومه وتحول عنهم (الصحاح ٢/٤٦٤).

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/٣٩٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/٤٥٢.

(٤) حلية الأولياء ٢/٢١٨، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ٦/ ١٩.

(٦) سير أعلام النبلاء ٦/ ١٧.

(٧) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠

(٨) مصنف ابن أبى شيبة ١٣/ ٤٩٥ (١٧٠٢٦)، وحلية الأولياء ٤/٤١.

علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان عنده، ويحرص فى كل أموره على المحمدة»[1].

وقال الفضيل بن عياض: «لا يترك الشيطانُ الإنسانَ حتى يحتال له بكل وجه، فيستخرج منه ما يخبر به من عمله.

لعله يكون كثير الطواف، فيقول: ما كان أحلى الطواف الليلة!

أو يكون صائماً فيقول: ما أثقل السحور! وما أشد العطش! فإن استطعت أن لا تكون محدِّثاً، ولا متكلماً، ولا قارئاً.

إن كنت بليغاً قالوا: ما أبلغه، وأحسن حديثه، وأحسن صوته! فيعجبك ذلك، فتنتفخ وإن لم تكن بليغاً ولا حسن الصوت قالوا: ليس يحسن يحدِّث، وليس صوته بحسن؛ أحزنك ذلك، وشق عليك، فتكون مرائيا.

وإذا جلستَ فتكلَّمتَ، ولم تبال من ذمَّك ومن مدحك، من دون الله، فتكلم»[2].

وقد بيَّن لنا النبىُّ ﷺ عاقبة طلب الشهرة والمدحة والمحمدة بالعمل أوضح بيان وأتمه.

٨٨ ـ **فعن أبى هريرة** رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن أول الناس يُقْضَى يوم القيامة عليه رجلٌ استُشهد، فأُتى به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قد قاتلتُ فيك حتى استُشهدت قال: كذبت، ولكنَّك قاتلتَ لأن يُقالَ: هو جَرِىء، فقد قيل. ثم أُمِرَ به، فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار.

ورجلٌ تعلَّم العلمَ وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتى به، فعرّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلمَ وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلَّمتَ ليقال: عالم، وقرأتَ القرآن ليُقال: هو قارىء، فقد قيل. ثم أُمر به، فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار.

ورجلٌ وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأُتى به، فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن يُنفَق فيها إلا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبتَ، ولكنك فعلتَ ليقال: هو جَوَادٌ، فقد قيل. ثم أُمر به، فسُحب على

---

(١) حلية الأولياء ٤/٤٧.

(٢) حلية الأولياء ٨/٩١، وسير أعلام النبلاء ٨/٤٣٣.

وجهه حتى أُلقى فى النار»[1].

٨٩ ـ **وفى رواية عن شُفَىٍّ بن مَاتع الأَصْبَحى**، أنه دخل المدينة، فإذا هو برجلٍ قد اجتمع عليه الناسُ، فقال: من هذا؟ قالوا: أبو هريرة.

قال: فدنوتُ منه حتى قعدتُ بين يديه، وهو يحدِّث الناس، فلما سكت وخَلاَ قلت له: أسألك بحقٍّ وبحقٍّ لما حدثتنى حديثاً سمعتَه من رسول الله ﷺ وعَقِلْتَه وعلمتَه.

فقال أبو هريرة: أفعلُ، لأحدثنَّك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ أنا وهو، فى هذا البيت، ما معنا أحدٌ غيرى وغيرُه. ثم نشغ[2] أبو هريرة نشغةً، فمكثنا قليلاً، ثم أفاق، فقال: لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ أنا وهو فى هذا البيت، ما معنا أحد غيرى وغيره. ثم نشغ نشغةً أخرى، ثم أفاق ومسح عن وجهه، فقال: أفعل، لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ أنا وهو فى هذا البيت، ما معنا أحدٌ غيرى وغيره. ثم نشغ أبو هريرة نشغةً شديدةً، ثم مال خارًّا على وجهه، فأسندتُه طويلاً، ثم أفاق، فقال:

«حدثنى رسول الله ﷺ؛ أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد؛ ليقضى بينهم، وكلُّ أمة جاثية[3]، فأولُ من يُدْعى به رجلٌ جمع القرآن، ورجلٌ قُتل فى سبيل الله، ورجلٌ كثير المال. . .» فذكر الحديث بمعنى ما سبق، ثم قال:

«ثم ضرب رسولُ الله ﷺ على ركبتىّ، فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسْعَر بهم النار يوم القيامة».

ودخل رجلٌ (قيل: إنه شفى) على معاوية، فأخبره بهذا، فقال معاوية: قد فُعِل بهؤلاء هذا، فكيف بمن بقى من الناس؟

ثم بكى معاوية بكاءً شديداً، حتى ظننَّا أنه هالك، وقلنا: قد جاءنا هذا الرجل بشر. ثم أفاق معاوية، ومسح عن وجهه، وقال: صدق الله ورسوله ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ**

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ٣/١٥١٣ ـ ١٥١٤ (١٩٠٥/١٥٢) والنسائى فى كتاب: الجهاد، باب: من قاتل ليقال: فلان جرىء ٦/٢٣ ـ ٢٤، والبيهقى فى السنن الكبرى ٩/١٦٨، وفى شعب الإيمان ٥/٣٢٥ ـ ٣٢٦ (٦٨٠٥).

(٢) نَشَغَ: النَّشْغ فى الأصل: الشهيق حتى يكاد يبلغ به الغشى، وإنما يفعل الإنسان ذلك تشوقاً إلى شىء فائت، وأسفاً عليه، والمقصود هنا: شهق وغُشى عليه. (النهاية ٥/٥٨).

(٣) جاثية: أى جالسة على الركب. (تذكرة الأريب فى تفسير الغريب لابن الجوزى ٢/١٥٤).

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ . أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦][(١)].

فهذه طاعات ثلاثٌ من أجل الطاعات، لما خلتْ من الإخلاص لله عز وجل، وبُنيتْ على مراءاة الناس، وقصدِ محمدتهم وثنائهم، كانت عاقبة أصحابها بوراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولله درُّ الإمام ابن الجوزى[(٢)] رحمه الله إذ يقول:

«عجبتُ لمن يتصنّع للناس بالزهد، يرجو بذلك قربه من قلوبهم، وينسى أن قلوبهم بيد مَنْ يعمل له، فإن رضى عمله ورآه خالصاً لَفَتَ القلوب إليه، وإن لم يَرَه خالصاً أعرض بها عنه.

ومتى نظر العاملُ إلى التفات القلوب إليه فقد زاحم الشركُ نيّتَه؛ لأنه ينبغى أن يقنع بنظر من يعمل له.

ومن ضرورة الإخلاص: ألاَّ يقصد التفات القلوب إليه، فذاك يحصل لا بقصده، بل بكراهته لذلك.

وليعلم الإنسانُ أن أعماله كلها يعلمها الخلق جملةً وإن لم يطلعوا عليها، فالقلوب تشهد للصالح بالصلاح، وإن لم يُشاهَد منه ذلك.

فأما من يقصد رؤية الخلق بعمله فقد مضى العمل ضائعاً؛ لأنه غير مقبول عند الخالق ولا عند الخلق؛ لأن قلوبهم قد أُلفِتتْ عنه، فقد ضاع العلم، وذهب العمر»[(٣)].

٩٠ ـ ثم روى بسنده إلى **أبى سعيد الخدرى** رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه الترمذى وقال: حسن غريب ـ فى كتاب: الزهد، باب: ما جاء فى الرياء والسمعة ٤/ ٥٩١ ـ ٥٩٣ (٢٣٨٢) والبغوى فى شرح السنة (٤١٤٣)، وصححه ابن حبان ٢/ ١٣٥ ـ ١٣٧ (٤٠٨) وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٢٦ (٦٨٠٦، ٦٨٠٧).

(٢) هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسِّر، شيخ الإسلام أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على، المعروف بابن الجوزى، ينتهى نسبه إلى أبى بكر الصديق، ولد سنة عشر وخمسمائة، ورحل فى طلب العلم وسماعه وهو صغير، ونبغ فى فنونه المختلفة، حتى كان أعجوبة زمانه فى ذلك، وصنف مئات الكتب فى مختلف العلوم، وقد ترجمت له ترجمة طويلة فى مقدمة تحقيقى لكتابه القيم «صيد الخاطر» وتوفى رحمه الله سنة سبع وتسعين وخمسمائة انظر فى ترجمته: الكامل لابن الأثير ١٢/ ٧١، وفيات الأعيان ٣/ ١٤٠، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٥، العبر فى خبر من غبر للذهبى ٤/ ٢٩٧، البداية والنهاية ١٣/ ٢٨، غاية النهاية فى طبقات القراء ١/ ٣٧٥ (ت ١٥٩٢).

(٣) صيد الخاطر صـ٤٦٥.

قال: «لو أن أحدكم يعمل فى صخرةٍ صماء، ليس لها بابٌ ولا كُوَّةٌ، لخرج للناس عمله، كائناً ما كان»[1].

لكن، إذا عمل العبدُ العمل خالصاً لله، ثم ألقى الله له بذلك الثناء الحسن فى قلوب المؤمنين، والذكر الحسن على ألسنتهم، واستبشر هو بذلك وفرح به، فإن ذلك لا يضره، بل هو من فضل الله ورحمته ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** ﴾ [يونس: ٥٨].

وقد قيل: «ألسنة الخلق أقلام الحق»[2].

٩١ ـ وعن أبى زهير الثقفى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى خطبته بالنَّباءة أو النباوة ـ من الطائف:

«توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار، أو خياركم من شراركم ـ ولا أعلمه إلا قال: أهل الجنة من أهل النار ـ».

فقال رجل من المسلمين: بم يا رسول الله؟

قال: «بالثناء الحسن، والثناء السيء، أنتم شهداءُ بعضكم على بعض»[3].

وقد اعتبر النبىُّ ﷺ ذلك عاجل بشرى المؤمن.

٩٢ ـ فعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال:

قيل لرسول الله ﷺ أرأيت الرجل يعمل العملَ من الخير، ويحمده الناس عليه؟

قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»[4].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٨، وأبو يعلى ٢/٥٢١ (١٣٧٨)، وصححه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/٢٢٥. وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ٥/٣٥٩ (٦٩٤٠).

(٢) يحكى البعض هذه العبارة على أنها حديث نبوى، وهو خطأ، إنما هو من كلام بعض الصوفية، كما قال السخاوى فى «المقاصد الحسنة» صـ٨٤ (١٦٤).

(٣) صححه ابن حبان ١٦/٣٩٢ ـ ٣٩٣ (٧٣٨٤)، والحاكم ٤/٤٣٦ ووافقه الذهبى، وأخرجه أحمد ٣/٤١٦، و٦/٤٦٦، وابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: الثناء الحسن ٢/١٤١١ (٤٢٢١)، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/١٢٣، وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة ٣/٣٠١: «إسناده صحيح، رجاله ثقات».

ورواه أيضا سعد بن أبى وقاص، أخرجه البزار فى مسنده «البحر الزخار» ٣/٣٣٧ (١١٣٤)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/٢٧١ «رجاله رجال الصحيح غير الحسن بن عرفة، وهو ثقة» وقال ابن حجر فى «مختصر زوائد مسند البزار» ٢/٥٠٧ (٢٣٠٥): «صحيح».

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب، باب: إذا أثنى على الصالح فهى بشرى ولا تضره ٤/٢٠٣٤ (١٦٦/٢٦٤٢)، وأحمد ٥/١٥٦، ١٥٧، ١٦٨، وابن حبان ١٣/٨٢ (٥٧٦٨)، والبيهقى فى شعب الإيمان ٥/٣٧٣ (٦٩٩٩: ٧٠٠٢).

وفى رواية: «الرجل يعمل العمل لله، فيحبه الناسُ عليه»[1].

أى هذه البُشرى المعجَّلة له بالخير، وهى دليلٌ على رضا الله عز وجل ومحبته له، فيحبِّبه إلى خلقه، وذلك من أعظم نعم الله؛ أن يجمع القلوب على المخلص صاحب النية الحسنة، ويربطها به.

٩٣ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«إذا أحبّ الله عبداً نادى جبريل: إن اللهَ يحبُ فلاناً، فأحبَّه. فيحبُّه جبريلُ، فينادى جبريلُ فى أهل السماء: إن الله يحب فلاناً، فأحبوه. فيحبُّه أهل السماء، ثم يُوضع له القبول فى الأرض»[2].

وكذلك لو كان إماماً أوذا محلٍّ يُقتَدى به، وقَصَدَ بإظهار عمله دفعَ الغير للعمل، وحثهم على الخير، فإن ذلك لا يضره، بل يكون له أجر السر وأجر العلانية، ما دام قلبه مخلصاً لله، وليس الرياء من غرضه، كما قال تعالى ﴿**إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٧١].

٩٤ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال رجل: يا رسول الله، الرجل يعملُ العمل، فيُسِرُّه، فإذا اطُّلع عليه أعجبه.

قال: قال رسول الله ﷺ: «له أجران: أجر السرِّ، وأجر العلانية»[3].

قال الإمام الترمذى: «وقد فسَّر بعض أهل العلم هذا الحديث: إذا اطُّلع عليه فأعجبه، إنما معناه: أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير.

٩٥ ـ يقول النبى ﷺ: «أنتم شهداء الله فى الأرض»[4] فيعجبه ثناء الناس عليه

---

(١) عند ابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: الثناء الحسن ٢/ ١٤١٢ (٤٢٢٥).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة ٦/ ٣٠٣ (٣٢٠٩)، وفى كتاب: الأدب، باب: المقة من الله تعالى ١٠/ ٤٦١ (٦٠٤٠) وفى كتاب التوحيد باب: كلام الرب مع جبريل ١٣/ ٤٦١ (٧٤٨٥)، ومسلم فى كتاب: البر والصلة، باب: إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده ٤/ ٢٠٣٠ (١٥٧/٢٦٣٧)، وابن حبان ٢/ ٨٥ ـ ٨٧ (٣٦٤، ٣٦٥)، وأحمد ٢/ ٢٦٧، ٣٤١، ٤١٣، ٥٠٩، ٥١٤.

(٣) صححه ابن حبان ٢/ ٩٩ (٣٧٥) وله عليه تعليق طيب، وأخرجه الترمذى ـ وقال: حديث غريب فى كتاب: الزهد، باب: عمل السر ٤/ ٥١٤ (٢٣٨٤)، وابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: الثناء الحسن ٢/ ١٤١٢ (٤٢٢٦) والبيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٧٤ (٧٠٠٣).

(٤) جزء من حديث أنس بن مالك، أخرجه البخارى فى كتاب: الجنائز، باب: ثناء الناس على الميت ٣/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ (١٣٦٧)، وفى كتاب: الشهادات، باب: تعديل كم يجوز؟ ٥/ ٢٥٢ (٢٦٤٢)، ومسلم فى كتاب: الجنائز، باب: فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى ٢/ ٦٥٥ (٩٤٩/ ٦٠)، والترمذى فى=

لهذا، فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير، ويُكْرَم ويُعَظَّم على ذلك فهذا رياء.

وقال بعض أهل العلم: إذا اطُّلِع عليه فأعجبه؛ رجاء أن يُعْمَل بعمله، فتكون له مثلُ أجورهم، فهذا له مذهب أيضاً[1].

٩٦ ـ ومن ذلك ما **رواه أبو مسعود الأنصارى** رضى الله عنه قال:

جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ، فقال: إنى أعمل العمل فأُسرُّه، فيظهر، فأفرح به.

قال: «كُتِب لك أجران: أجر السر، وأجر العلانية»[2].

٩٧ ـ **عن حبيب بن أبى ثابت** رحمه الله، أن ناساً من أصحاب النبى ﷺ قالوا: يا رسول الله، إنا نعمل أعمالاً فى السر، فنسمع الناس يتحدثون بها، فيعجبنا أن نُذْكَر بخير.

فقال: «لكم أجران: أجر السر، وأجر العلانية»[3].

ومن الواضح البيِّن أن السائلين لم يقصدوا إعلان أعمالهم، ولم يسعوا إلى ذلك، بل كانوا مخلصين لله، فنشر الله لهم الثناء الحسن والذكر الجميل على ألسنة الخلق.

٢ ـ انشراح الصدر للعمل:

فالمخلص العامل لله يجد صدره منشرحاً للخير، ونفسَه مطمئنةً إليه، وغير مترددة عنده، وقلبَه مغتبطاً به، علم الناس به أو لم يعلموا، حمدوه عنده أو ذموه.

٩٨ ـ **عن النواس بن سَمْعان** رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟

فقال: «البِرُّ: حسنُ الخُلُق، والإثمُ: ما حاك فى صدرك، وكرهتَ أن يطَّلع عليه الناس»[4].

= كتاب: الجنائز، باب: ما جاء فى الثناء الحسن على الميت ٣/ ٣٦٤ (١٠٥٨)، والنسائى فى كتاب: الجنائز، باب: الثناء ٤/ ٤٩ـ ٥٠ وابن ماجه فى كتاب: الجنائز، باب: ما جاء فى الثناء على الميت ١/ ٤٧٨ (١٤٩١)، وأحمد ٣/ ١٧٩، ١٨٦، ١٩٧، ٢٤٥، ٢٨١.

(١) سنن الترمذى ٤/ ٥١٤ ـ ٥١٥.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٧/ ٢٦٣ (٧٢٣) وقال الهيثمى فى المجمع ٢/ ٢٧٠: «فيه أحمد بن أسد، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات، وبقية رجاله رجال الصحيح». وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٧٤ (٧٠٠٤).

(٣) مرسل أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ١٤/ ٥٨ (١٧٥٥٨) ويشهد له ما سبق من الأحاديث الصحيحة.

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تفسير البر والإثم ٤/ ١٩٨٠ (٢٥٥٣)، والترمذى فى كتاب: الزهد، باب: ما جاء فى البر والإثم ٤/ ٥٩٧ (٢٣٨٩)، والدارمى فى كتاب: الرقاق باب: فى البر والإثم ٢/ ٤١٥ (٢٧٨٩، ٢٧٩٠) وأحمد ٤/ ١٨٢. وابن حبان ٢/ ١٢٣ (٣٩٧)، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ١٩٢.

٩٩ ـ وعن وابصة بن معبد رضى الله عنه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فقال: «جئت تسأل عن البر والإثم؟» قلت: نعم. قال: «استفت نفسَك، استفت قلبَك يا وابصة» ثلاثاً «البرُّ: ما اطمأنتْ إليه النفسُ، واطمأنّ إليه القَلبُ، والإثمُ: ما حاك فى النفس، وتردّد فى الصدر، وإن أفتاك الناسُ وأفتَوْك»[١].

١٠٠ ـ **وعن أبى ثعلبة الخُشَنى** رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أخبرنى ما يحل لى، وما يحرم علىّ؟ فقال: «البرُّ: ما سكنتْ إليه النفسُ، واطمأن إليه القلبُ، والإثمُ: ما لم تسكن إليه النفسُ، ولم يطمئن إليه القلبُ، وإن أفتاك المفتون»[٢].

ومن علامات انشراح الصدر: الثبات على العمل، والمداومة عليه، والمسابقة إلى الخيرات، والمسارعة فى اغتنام العمر، والاستعداد للقاء الله عز وجل.

١٠١ ـ فقد سئل ﷺ عن هذه الآية:

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الأنعام ١٢٥]، كيف يشرح صدره يا رسول الله؟

فقال: «نورٌ يُقذَف فيه، فينشرح له».

قالوا: فهل لذلك من أمارة يُعرَف بها؟

قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافى عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت»[٣].

أما غير المخلص لله، فإن صدره لا ينشرح للخير إلا بقدر ما يحقق غرضه من

---

(١) أخرجه الدارمى فى كتاب: البيوع، باب: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ٢/ ٣٢٠ (٢٥٣٣)، وأحمد ٤/ ٢٢٧، ٢٢٨، وأبو يعلى ٣/ ١٦٠ ـ ١٦٢ (١٥٨٦، ١٥٨٧) وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٧٥ «فيه أيوب بن عبد الله بن مكرز، قال ابن عدى: لا يتابع على حديثه، ووثقه ابن حبان» والطبرانى فى الكبير ٢٢/ ١٤٧ ـ ١٤٩ (٤٠٢، ٤٠٣)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٩٤: «رجال أحد إسنادى الطبرانى ثقات».

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٩٤، والطبرانى فى الكبير ٢٢/ ٢١٩ (٥٨٥)، وأبو نعيم فى الحلية ٢/ ٣٠، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٧٦: «رجاله ثقات» **قلت**: وقد جوَّد ابن رجب إسناد أحمد فى «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٩٥.

(٣) هذا الحديث روى مرسلاً وموصولاً، فأخرجه ابن المبارك فى الزهد صـ١٠٦ (٣١٥)، وابن أبى شيبة فى المصنف ١٣/ ٢٢١ (١٦٢٦١) والطبرى فى التفسير ٨/ ٢٠، ٢١ عن أبى جعفر مرسلاً. وأخرجه ابن أبى شيبة (١٦٢٦٢) والبيهقى فى الزهد صـ٣٧١ (٩٧٢) والطبرى فى التفسير ٨/ ٢١ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه. وانظر طرقه فى «الدر المنثور» للسيوطى ٣/ ٤٤ .

مراءاة الناس وإسماعهم، فإذا لم يجد ذلك انقبض صدرُه عن الطاعة، واستثقل العمل، وقطع أسباب الخير التى كان عليها.

ومثلُ هذا يفضح نفسه، ويتعرض لمقت الله عز وجل، بل ولمقْت الناس، حين يكشف الله أمره عليهم، فيُحَقِّره فى أعينهم، وذلك هو الذى توعّده الله عز وجل بقوله ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ . وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾ [الماعون: ٤ : ٧].

ومثل هذا إذا قام إلى العمل قام متثاقلاً، لا ينهضه إليه إلا رؤية الناس إياه، أما الصدر فمنقبض عنه، والقلب فلا إخلاص فيه، كما وصف الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [النساء: ١٤٢].

وقد توعَّد النبىُّ ﷺ هذا الصنف بفضيحة الدنيا والآخرة.

١٠٢ ـ **فعن جندب بن عبد الله** رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ سمَّع سَمَّع الله به، ومن يُرَاء يُرَاء الله به»[١].

قال المنذرى: «معناه: من أظهر عمله للناس رياءً أظهر الله نيته الفاسدة فى عمله يوم القيامة، وفضحه على رءوس الأشهاد»[٢].

١٠٣ ـ **وعن عبد الله بن عمرو بن العاص** رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سَمَّع الناس بعمله سمَّع الله به سامع خلقه، وصغَّره وحقَّره»[٣].

٣ ـ السرور بالحسنة والعمل الصالح:

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الرقاق، باب: الرياء والسمعة ١١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ (٦٤٩٩)، ومسلم فى كتاب: الزهد، باب: من أشرك فى عمله غير الله ٤/ ٢٢٨٩ (٢٩٨٦/ ٤٧)، وابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: الرياء والسمعة ٢/ ١٤٠٧ (٤٢٠٧)، وأحمد ٤/ ٣١٣، والحميدى ٢/ ٣٤٢ (٧٧٨)، وابن حبان ٢/ ١٣٣ (٤٠٦) والبيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٣٠ (٦٨١٩).

(٢) الترغيب والترهيب ١/ ٦٥.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ١٦٢، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٢٤، والبيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٣١ (٦٨٢٢) وعزاه المنذرى فى الترغيب والترهيب ١/ ٦٥، والهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٢ للطبرانى فى الكبير، وقال المنذرى: «بأسانيد أحدها صحيح»، وقال الهيثمى: «أحد أسانيد الطبرانى فى الكبير رجال الصحيح» وفى الباب عن عوف بن مالك بإسناد حسن، أخرجه الطبرانى ١٨/ ٥٦ (١٠١). وعن أبى هند الدارى بإسناد جيد، أخرجه أحمد ٥/ ٢٧٠، والبزار ٤/ ٢١٦ (٣٥٦٤) والطبرانى ٢٢/ ٣١٩ (٨٠٣: ٨٠٥) وعن معاذ بن جبل بإسناد حسن أخرجه الطبرانى ٢/ ١١٩ (٢٣٧) وانظر: الترغيب والترهيب ١/ ٦٥ ـ ٦٦، ومجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

فالمخلص تسرُّه حسنتُه، فيستبشر بها، ويفرح بتوفيق الله إياه لأدائها، ولا يندم أبداً على فعلها، كما تسوءه سيئته حين تفلت منه، فيشمئز منها، ويتألم إذا ذكرها، ولا ترد بخاطره أن يكررها.

١٠٤ ـ **فعن عمر بن الخطاب** رضى الله عنه، وعن عامر بن ربيعة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «... مَنْ سَرَّتْه حسنته، وساءتْه سيئتُه، فذلكم المؤمن»[١].

١٠٥ ـ **وعن أبى أمامة الباهلى** رضى الله عنه قال: قال رجل: ما الإثم يا رسول الله؟

قال: «إذا حاك فى نفسك شىء فَدَعْه».

قال: فما الإيمان؟

قال: «إذا ساءتك سيئتُك، وسرَّتك حسنتُك، فأنت مؤمن»[٢] أما غير المخلص فإنه متى رأى أن غرضه لم يحصل وغايته لم تتحقق بما أتى من عملٍ صالحٍ، فإنه يندم ويتمنى أنه لم يفعله؛ إذ مدار عمله على المصلحة، وليس ابتغاء وجه الله.

«قال الحَليمى[٣] رحمه الله: «ومعنى هذا والله أعلم: أنَّ من عمل حسنةً فسرَّه أن وفقه الله تعالى لها ويسَّرها له حتى حصلت فى ميزانه، فجلس كما يجلس المهنىء فرحاً مسروراً بما يرجوه من رحمة الله وفضله. أو عمل سيئة فساءته، أن خلا بالله تعالى

---

(١) حديث عمر أخرجه الترمذى وقال: حسن صحيح غريب فى كتاب: الفتن، باب: ما جاء فى لزوم الجماعة ٤/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦ (٢١٦٥) وأحمد ١/ ١٨، ٢٦، والبيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٧١ (٦٩٨٩) وصححه ابن حبان ١٠/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧ (٤٥٧٦)، و١٢/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ (٥٥٨٦)، و١٥/ ١٢٢ (٦٧٢٨)، و١٦/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ (٧٢٥٤)، والحاكم ١/ ١١٤ ووافقه الذهبى وحديث عامر بن ربيعة أخرجه أحمد ٣/ ٤٤٦.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٦، وابن المبارك فى الزهد ص٢٨٤ـ (٨٢٥)، والطبرانى فى الكبير ٨/ ١٣٧ ـ ١٣٨ (٧٥٣٩، ٧٥٤٠)، وصححه ابن حبان ١/ ٤٠٢ (١٧٦)، والحاكم على شرط الشيخين ١/ ١٤، ووافقه الذهبى. وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٧١ (٦٩٩٠).

(٣) هو القاضى العلامة، رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخارى الشافعى، أحد الأذكياء الموصوفين، ومن أصحاب الوجوه فى مذهب الشافعى، وكان متقناً سيال الذهن، مناظراً، طويل الباع فى الأدب والبيان. ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وله مصنفات نفيسة، ويكثر البيهقى من النقل عنه فى «شعب الإيمان» وتوفى سنة ثلاث وأربعمائة. انظر فى ترجمته: الأنساب ٢/ ٢٥٠، المنتظم ٧/ ٢٦٤، وفيات الأعيان ٢/ ١٣٧، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٣٠، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣١، العبر ٣/ ٤٨، طبقات الشافعية للسبكى ٤/ ٣٣٣، البداية والنهاية ١١/ ٣٤٩، طبقات الحفاظ صـ٤٠٨، شذرات الذهب ٣/ ١٦٧.

ونفسه حتى عمل بما سوّله له الشيطان، وجلس كما يجلس المصاب مهموماً كئيباً حزيناً؛ حياءً من الله تعالى، وخوفاً من مؤاخذته؛ فذلك دليل صدق الإيمان وخلوص اعتقاده، فإن الثقة بالوعد والوعيد لا يكون إلا من قوة التصديق بالله ورسوله. قال أحمد رحمه الله: ولذا جاء هذا التفسير مرفوعًا بلفظ موجز، قال: إن المؤمن من إذا عمل حسنة رجا ثوابها، وإذا عمل سيئة خاف عقابها»[1].

تلك كانت بعض الأمارات المشجعة، وعلى الأخ المسلم أن يدرِّب نفسه عليها، ليتم له الإخلاص والصدق إن شاء الله تعالى.

(١) شعب الإيمان ٥/ ٣٧٢ عقب (٦٩٩٦).

خاتمة

فى نيات ينبغى استصحابها باستمرار

ينبغى للعبد الصالح الناصح أن ينوى الخير على الدوام، فالإنسان بخيرٍ ما نوى الخير.

وقد علمت ـ أيها الأخ الحبيب ـ أن الناس يحشرون على نياتهم، ويبعثون على ما ماتوا عليه، فمن وافته منيتُه ونيتُه صالحةٌ صادقةٌ بُعث على ذلك، وحُشر مع الصالحين. والموتُ أدنى إلى الإنسان من شراك نعله، والعاقلُ من تجهّز له بصلاح النية، وإرادة الخير، والكيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

وهاك بعض النيات التى لا ينبغى أن ينفك منها مسلمٌ صحيح الإسلام:

١ ـ نية ابتغاء الآخرة:

١٠٦ ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ كانت الآخرةُ همَّه جعل اللهُ غناه فى قلبه، وجمع له شملَه، وأتته الدنيا، وهى راغمة،[١] ومَنْ كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شملَه، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»[٢].

وفى رواية: «من كانت نيته الآخرة... ومن كانت نيتُه الدنيا»[٣].

١٠٧ ـ وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من كانت الدنيا همَّه فرَّق اللهُ عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له، ومن كانت الآخرةُ نيَّتَه جمع الله له أمرَه، وجعل غِناه فى قلبه، وأتتْه الدنيا وهى راغمة»[٤].

---

(١) **راغمة:** أى كارهة وذليلة. (انظر النهاية ٢/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب: صفة القيامة، باب: رقم (٣٠) ٤/ ٦٤٢ (٢٤٦٥).

(٣) هى رواية البزار، على ما ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ٤/ ١٢٢، وهى كذلك رواية الرامهرمزى فى «المحدث الفاصل» صـ١٦٦ ـ ١٦٧ (٩) لكن عن ابن عباس.

(٤) أخرجه ابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: الهم بالدنيا ٢/ ١٣٧٥ (٤١٠٥) وأحمد ٥/ ١٨٣، وقال البوصيرى فى «مصباح الزجاجة»: «إسناده صحيح رجاله ثقات»، وصححه ابن حبان ٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥ (٦٨٠)، وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب ٤/ ١٢١: «رجاله ثقات».

وفى رواية: «من كانت نيته الآخرة... ومن كانت نيته الدنيا»[1].

٢ ـ نية الجهاد فى سبيل الله:

لرفع راية الدين، وإعلاء كلمة الله، وعدم السماح لراية باطلة أن تعلو فوق راية الحق الذى جاء به معلِّم الإنسانية محمد ﷺ، وبهذه النية يفر المسلم من النفاق، ويدخل فى زمرة الصادقين.

١٠٨ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«مَنْ مات ولم يَغْزُ، ولم يُحدِّث به نفسه؛ مات على شعبة من نفاق»[2].

وقد سبق الحديث «من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه».

وما ألطف الدعاء الذى يدعو به الصالحون لأنفسهم وإخوانهم «وأحْيِها بمعرفتك، وأمِتْها على الشهادة فى سبيلك»

٣ ـ نية قيام الليل:

فقيام الليل شعار الصالحين، ودليل الإخلاص لرب العالمين، وأبعد الأعمال عن قصد المباهاة والرياء، ومن صدقتْ نيته فى قيام الليل أعانه الله على تحقيق ما نوى، وكتب له أجر القيام إن غلبته عينه فلم يستطع القيام.

١٠٩ ـ فعن أبى الدرداء رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«مَنْ أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل، فغلبتْه عيناه حتى أصبح، كُتب له ما نوى، وكان نومه صدقةً عليه من ربه عز وجل»[3].

١١٠ ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«ما من امرىء تكون له صلاة بليل يغلبه عليها نومٌ إلا كُتب له أجرُ صلاته، وكان نومه عليه صدقة»[4].

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٥/١٤٣ (٤٨٩١)، وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب ٤/١٢١: «بإسناد لا بأس به».

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الإمارة، باب: ذم من مات ولم يغز ٣/١٥١٧ (١٩١٠/١٥٨)، وأبو داود فى كتاب: الجهاد، باب: كراهية ترك الغزو ٣/ ١٠ (٢٥٠٢)، والنسائى فى كتاب: الجهاد، باب: التشديد فى ترك الجهاد ٦/٨، وأحمد ٢/ ٣٧٤.

(٣) أخرجه النسائى فى كتاب: قيام الليل، باب: من أتى فراشه وهو ينوى القيام فنام ٣/٢٥٨، وابن ماجه فى كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء فيمن نام عن حزبه من الليل ١/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨ (١٣٤٤).

(٤) أخرجه أبو داود فى كتاب: التطوع، باب: من نوى القيام فنام ٢/ ٣٤ (١٣١٤)، والنسائى فى كتاب: قيام الليل، باب: من كانت له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم ٣/٢٥٧.

والآن أيها الأخ الحبيب:

تعال يسأل كل منا نفسه عن مدى تحقيقه لهذه المعانى فى نياتنا، وفى أعمالنا:

هل نحن إذ نؤدى ما نؤدى من أعمال ـ وما أكثرها ـ نبتغى رضا الله وحده؟.

هل يدفعنا إلى العمل حب وشوق وانبعاث نفس وانشراح صدر؟.

هل يجد الأخ. وهو يهم بالذهاب إلى الصلاة، النيات التى ينبغى ذكرها: أداء الفرض، وإرضاء الرب، والنزول فى ضيافة الله، والاعتكاف، ولقاء الإخوان، واستنزال رحمات الله، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وغيرها؟

بمعنى، هل يجد فى نفسه انبعاثا وشوقا لتحقيق ذلك كله؟

إذا زار الأخ أخاه، فهل وجد فى النفس الشوق إلى لقائه، وهل أحسَّ بالراحة فى الحديث إليه، وهل سعد بالاطمئنان عليه، وهل نوى إسعاده بالسؤال عن حاله، وقبول ضيافته، وهل وجد لديه حبا فى نصحه وتذكيره، وقبول ذلك منه أيضا، وهل دعا له بظهر الغيب؟

لقد كان الأخ يقطع الأميال بالمئات، فى زيارة أخيه، لا يعبأ بما يلقى، متجشماً مشقة السفر الطويل، ثم يكون غرضه من ذلك كله مجرد الرؤية أو الاطمئنان لا أكثر، وذلك دليل على الاعتمال القوى للشوق والحب فى قلوب الإخوان، فهل عواطفنا متساوقة مع هذه الآفاق الإيمانية الرفيعة؟[1].

إذا ذهب الأخ إلى لقاء أخ أو إخوة له فى الله، فى أى تَجَمُّع، فهل يحس من نفسه بأن أشواقه تسبقه إليه؟ وهل ينوى الاستفادة من كل عناصر التجمع على اختلاف مستوياتهم وأعمارهم وإمكاناتهم؟ وهل ينوى الإفادة لهم؟ وهل يحتسب وقته وماله وجهده عند الله؟ وهل يجهز روحه ويحفز همته لتسمو إلى المستوى اللائق لمثل هذا اللقاء؟ وهل يعد أرض قلبه لاستنزال واستمطار فيض رحمة الله؟.

إذا قرأ الأخ ورده القرآنى اليومى، فهل يرى قلبه متعلقا بجلال القرآن وأنواره؟ وهل ينوى حرث أرض قلبه لينزل عليها ماء الوحى، فتهتز وتنبت من كل زوج بهيج؟

---

(١) أخرج الطبرانى بإسناد منقطع عن عون قال: قال عبد الله لأصحابه حين قدموا عليه: هل تجالسون؟ قالوا: ليس نترك ذلك. قال: فهل تزاورون؟ قالوا: نعم، يا أبا عبد الرحمن، إن الرجل منا ليفقد أخاه فيمشى فى طلبه إلى آخر الكوفة، حتى يلقاه. قال: فإنكم لن تزالوا بخير ما فعلتم ذلك.
(الطبرانى فى الكبير ٩/ ٢٢٦ (٨٩٧٩) وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٧٥): "إسناده منقطع"). .

وهل أدرك أن القرآن سر حياة قلبه ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى رقم: ٥٢] فحرص على إعطاء هذا القلب حظَّه الطيب من سر الحياة؟ وهل يعد نفسه لحسن الاستجابة لما فى القرآن، فيكون وقافا عند أحكامه، مستجيبا لدعوته؟.

أذكر أن أخاً سأل أخاه الأكبر أن يضع له برنامجاً دراسياً، عملياً، غير نظرى، فقال له أخوه: اقرأ القرآن. فعجب منه، لأنه يقرأ القرآن ـ أصلا ـ كل يوم، فقال أخوه: بل اقرأ القرآن كما ينبغى، أحضر عند القراءة قلمك وأوراقك، ثم اقرأ، فإذا مررت بآية فيها أمر لله فدونها فى ورقة "الأوامر" وإذا مررت بآية فيها نهى لله فدونها فى ورقة "النواهى"، وإذا مررت بآية فيها وصية فدونها فى ورقة "الوصايا"، وإذا مررت بآية فيها أدب فدونها فى ورقة "الآداب"، وإذا مررت بآية فيها صفة للمؤمنين فدونها فى ورقة «أوصاف المؤمنين"، وكذلك فافعل بالمنافقين والمشركين، وهكذا دون كل آية فى بابها.

فإذا انتهيت من قراءة وردك اليومى فأمسك بورقة "الأوامر"، فانظر كم حققت منها، وبورقة "النواهى"، فانظر كم اجتنبت منها، وبورقة "الوصايا" فانظر كم نفَّذت منها، وبورقة الآداب، فانظر كم تحققتَ بها، وبورقات الأوصاف فانظر كم من صفات المؤمنين حَصَّلتَ، وكم من صفات المنافقين والكافرين تخلصت منها.

فإذا استقام لك هذا ـ وما أصعب استقامته ـ فلن تعوزك البرامج، ولن تحتاج إلى المناهج.

إذا قرأ الأخ أذكار الصباح والمساء فرديا أو فى جماعة، وكذلك أذكار الأحوال كلها، فهل استحضر نية التقرب، وهل استشعر لذة الذكر، وهل وجد فى قلبه استئناساً بذكر الله، وهل نوى بكل ذكر معناه، وهل وجد فى القلب خضوعاً وانكساراً أمام عظمة الله، وهل نوى أن يملأ بالذكر فراغ قلبه، وأن يؤنس به وحشة روحه.

لقد كان الإمام ابن تيمية يقعد بعد صلاة الفجر، فيذكر الله حتى تطلع الشمس، ويقول لتلامذته: "هذه غَدْوتى، ولو لم أتغدَّ بها ما حييت". فهل أحسسنا أو استشعرنا مثل هذه الأحاسيس عند ابتدائنا للذكر.

إذا طُلب من الأخ أن يقوم بعمل ما، فهل استشعر ثوابه، فاستحضر له نية خالصة؟ وهل وجد فى قلبه حب دينه، فدفعه الحب إلى العمل؟ وهل ابتغى رضا الله، فانطلق يعمل العمل احتسابا لوجهه؟.

إذا زار الأخ المقابر ليتعظ ويتذكر، إذا وقف على الآثار والأطلال، إذا عاين

الأحداث ورمق الأحوال، إذا سافر أو أقام، إذا أكل أو شرب، أو قام أو قعد، أو نام أو استيقظ، أو لعب أو جد، أو أصيب أو ابتلى، أو وَعَظ. أو ذُكِّر، أو أو أو...

إذا فعل الأخ كل ذلك وأكثر من ذلك، فهل استحضر له نيته، وهل أخلص فيه وجهته، وهل مالت نفسه إلى الصالح من القول والعمل ميل الجائع إلى الطعام الشهى؟.

كل هذه الأسئلة وغيرها نتوجه بها إلى قلوبنا، نستفتيها، ونستهديها، فنُصلح ما فسد، ونُقَوِّم ما اعوجَّ، ونحرك ما سكن، ونُنْعش ما خَمَد، ونُخَلِّص ما أصابه شَوْب.

وليس ذلك بيسير، ولكنه الجهاد الدائم فى الله ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (العنكبوت ٦٩).

وبعد

أيها الأخ الحبيب:

فهذه بعض الخواطر حول "النية والإخلاص" لم يُقْصَد بها استيفاء الموضوع، ولا بحثه، بل المقصود: التذكير ببعض المعانى العملية، والذكرى تنفع المؤمنين.

والمأمول أن ينفع الله بها كاتبها وقارئها وسامعها، إنه من وراء القصد، وهو الهادى إلى سواء السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ينظر فى الموضوع:

* كتاب النية والإخلاص من "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالى.

* كتاب الرياء من كتاب "الرعاية لحقوق الله" للحارث المحاسبى.

* كتاب النية وكتاب الإخلاص وكتاب الرقاق من دواوين السنة المشهورة.

* الهداية الربانية فى شرح الأربعين النووية/ الحديث الأول/ للأستاذ/ عبد الخالق حسن عبد الوهاب.

* الحديث الأول من "جامع العلوم والحكم" لابن رجب الحنبلى.

* الحديث السابع والعشرون من كتاب «توجيهات نبوية» للدكتور/ السيد نوح.

الباب الثانى

آداب المجالسة

ويشتمل على ثلاثة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: آداب اختيار المجلس

الفصل الثانى: آداب اختيار الجليس

الفصل الثالث: آداب المجالسة

الخاتمة: جملة آداب متفرقة

الفصل الأول

آداب اختيار المجلس

إن على المسلم أن يتخيَّر المكان الذى يجلس فيه، وأن يتعرّف على طبيعة هذا المكان، وصفة هذا المجلس؛ حتى يميز ما ينبغى الجلوس فيه مما ينبغى تجنبه وعدم الجلوس فيه.

فقد نهى الإسلام عن الجلوس فى بعض الأماكن؛ لما يترتب على الجلوس فيها من فتنة وشر، كما حضَّ على الجلوس فى بعض المجالس المباركة التى لا تخلو من ألوان الخير والبر على النحو التالى:

أولا: من الأماكن التي نهى عن الجلوس فيها:

١ ـ الأسواق:

١١١ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«أحبُّ البلادِ إلى الله تعالى مساجدُها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»[١].

١١٢ ـ ولعل سبب إيراد هذا الحديث **ما رواه عبد الله بن عمر** رضى الله عنهما، أن رجلاً سأل النبى ﷺ: أى البقاع خيرٌ، وأى البقاع شرٌّ؟

قال: **«خيرُ البقاع المساجدُ، وشرُّ البقاع الأسواق»**[٢].

١١٣ـ وفى رواية: أن النبى ﷺ قال:

«لا أدرى حتى أسأل جبريل» فسأل جبريل، فقال: «لا أدرى حتى أسأل ميكائيل. فجاء فقال: «خير البقاع المساجد، وشرها الأسواق»[٣].

١١٤ ـ وعن جبير بن مُطْعِم رضى **الله** عنه، أن رجلاً قال: يا رسول **الله**، أىُّ البلدان أحبُّ إلى الله، وأىٍّ البلدَان أبغضُ إلى الله؟**

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: المساجد، باب: فضل الجلوس فى مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ١/ ٤٦٤ (٢٨٨/٦٧١)، وابن حبان ٤/ ٤٧٧ (١٦٠٠)، والبغوى فى شرح السنة (٤٦٠)، وابن خزيمة (١٢٩٣)، والبيهقى ٣/ ٦٥.

(٢) عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/ ٦ للطبرانى فى الكبير، وقال: «فيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، ولكنه اختلط فى آخر عمره، وبقية رجاله موثقون».

(٣) صححه ابن حبان ٤/ ٤٧٦ (١٥٩٩)، وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٣/ ٦٥، والحاكم ١/ ٩٠ وسكت عنه هو والذهبى، وفيه أن جبريل قال: «لا أدرى حتى أسأل ربى».

قال: «لا أدرى حتى أسأل جبريل عليه السلام».

فأتاه، فأخبره جبريل «أن أحبَّ البقاع إلى الله المساجدُ، وأبغضَ البقاع إلى الله الأسواق»(١).

١١٥ ـ وفى رواية عنه رضى الله عنه، أن رجلاً أتى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، أىُّ البلاد شر؟ فقال: «لا أدرى». فلما أتاه جبرئيل قال: يا جبرئيلُ، أى البلاد شر؟ قال: «لا أدرى حتى أسأل ربى». فانطلق جبرئيل، فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم جاء، فقال: «يا محمد، إنك سألتنى أى البلاد شر، وإنى قلت: لا أدرى، وإنى سألتُ ربى، فقلت: أى البلاد شر؟ قال: أسواقها»(٢).

وسرُّ النهى عن الجلوس فى الأسواق: أنها محلُّ الشياطين، فيها ينصبون شباكهم، ويتصيَّدون الناس فى غفلاتهم، بما يزيِّنون لهم من غشٍّ وخداعٍ، وأيمانٍ كاذبة، وتدليسٍ واحتيال، وأكلٍ للربا وللباطل، وإخلاف للوعد، وإعراضٍ عن ذكر الله، واحتيالٍ غير مشروعٍ لأكل أموال الناس بالباطل، ولذلك كان النبىُّ ﷺ ينصح أصحابه بعدم الجلوس والمكث فيها.

١١٦ ـ فعن سلمان الفارسى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال له:

«لا تكن أولَ من يدخل السوقَ، ولا آخرَ من يخرج منها، ففيها باض الشيطان وفرَّخ».

وفى رواية: «فإنها معركة ـ أو قال: مربض ـ الشيطان، وبها رايتُه»(٣).

وكذلك كان سلمان(٤) رضى الله عنه يوصى أصحابه، فيقول لأبى عثمان

---

(١) أخرجه ـ بهذا اللفظ ـ البزار، انظر: كشف الأستار ٢/ ٨١ (١٢٥٢)، وقال الهيثمى ٢/ ٦: «فيه عبد الله ابن محمد بن عقيل، وهو مختلف فى الاحتجاج به»، **قلت**: حديثه حسن عند الجمهور.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم ١/ ٨٩ ـ ٩٠ وصححه وسكت عنه الذهبى وصححه ٢/ ٧ وتعقبه الذهبى، وأخرجه أحمد ٤/ ٨١، وأبو يعلى ١٣/ ٤٠٠ (٧٤٠٣)، والطبرانى فى الكبير ٢/ ١٢٨ (١٥٤٥، ١٥٤٦) وقال الهيثمى فى المجمع ٤/ ٧٦: «رجال أحمد وأبى يعلى والبزار رجال الصحيح، خلا عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو حسن الحديث، وفيه كلام».

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٦/ ٢٤٨ (٦١٨٨) و٢٥٢ (٦١٣١)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/ ٧٧: «فى الرواية الأولى القاسم بن يزيد، فإن كان هو الجَرْمى فهو ثقة، وبقية رجاله رجال الصحيح، وفى الثانية يزيد بن سفيان، وهو ضعيف».

(٤) هو سلمان ابن الإسلام، أبو عبد الله الفارسى، سابق الفرس إلى الإسلام، صحب النبى ﷺ وخدمه وحدَّث عنه، ونسبه النبى إلى بيت النبوة، وكان لبيباً حازماً من عقلاء الرجال وعبادهم ونبلائهم. روى عن النبى ﷺ ستين حديثا، وتوفى فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه. انظر فى ترجمته:=

النَّهْدى[1] رحمه الله: «لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رايته»[2].

قال الإمام النووى: «شبَّه السوق وفعلَ الشيطان بأهلها، ونيله منهم، بالمعركة؛ لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل، كالغش والخداع، والأيمان الخائنة، والعقود الفاسدة، والنَّجَش[3]، والبيع على بيع أخيه، والشراء على شرائه، والسَّوْم[4] على سَوْمه، وبَخْس المكيال والميزان.

قوله: «وبها ينصب رايته» إشارة إلى ثبوته هناك، واجتماع أعوانه إليه؛ للتحريش بين الناس، وحملهم على هذه المفاسد المذكورة ونحوها، فهى موضعه وموضع أعوانه»[5].

وهذا توجيه إلى قلة المكث فى السوق، والإسراع بقضاء الحاجة منه من غير جلوس وانتظار، ما لم توجد حاجةٌ داعية إلى ذلك.

فإذا دعت الحاجة إلى الجلوس فى السوق والمكث فيه فلا بأس بذلك.

= الطبقات الكبرى ٤/ ٥٤، التاريخ الكبير ٤/ ١٣٥، الجرح والتعديل ٤/ ٢٩٦، حلية الأولياء ١/ ١٨٥، تاريخ بغداد ١/ ١٦٣، أسد الغابة ٢/ ٤١٧، تهذيب الكمال ١١/ ٢٤٥، سير أعلام النبلاء ١/ ٥٠٥، تهذيب التهذيب ٤/ ١٢١، الإصابة ٣/ ١١٨، شذرات الذهب ١/ ٤٤.

(١) هو الإمام الحجة عبد الرحمن بن مل ـ بضم الميم وفتحها ـ وقيل: ابن ملى بن عمرو بن عدى البصرى، مُخَضْرَمٌ مُعَمَّر، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم فى عهد النبى ﷺ ولم يلقه، وغزا فى خلافة عمر وبعدها غزوات، وحدَّث عن كبار الصحابة، وعاش نحو مائة وثلاثين سنة، ومات سنة خمس وتسعين، وقيل: سنة مائة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٩٧، الجرح والتعديل ٤/ ٢٨٣، أسد الغابة ٣/ ٤٩٧، تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٢، تهذيب الكمال ١٧/ ٤٢٤، تاريخ الإسلام ٤/ ٨٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٦١، الإصابة ٣/ ١١٨، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٤٩، طبقات الحفاظ صـ٢٥، شذرات الذهب ١/ ١١٨.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها ٤/ ١٩٠٦ (٢٤٥١/ ١٠٠).

(٣) **النَّجَش**: مدح السلعة؛ لينفِّقها ويروِّجها، أو يزيد فى ثمنها وهو لا يريد شراءها، ليقع غيره فيها. (النهاية ٥/ ٢١).

(٤) **السَّوْم**: المساومة، وهى المجاذبة بين البائع والمشترى على السلعة وفصل ثمنها، والمنهى عنه: أن يتساوم المتبايعان ويتقارب الانعقاد، فيجىء رجل آخر يريد أن يشترى تلك السلعة ويخرجها من يد المشترى الأول بزيادة على ما استقر الأمر عليه بين المتساومين، ورضيا به قبل الانعقاد (النهاية ٢/ ٤٢٥).

(٥) شرح النووى ١٦/ ٧.

يقول ابن الحاج[1] فى «المدخل»: «وينبغى له أن لا يكثر من الجلوس فى السوق، إلا أن تدعو ضرورة شرعية إلى ذلك؛ لأن السوق محل عامة الناس غالباً، ممن لا علم عنده، ومحل الشياطين، فينبغى للمؤمن ألا يكثر من ذلك، اللهم إلا أن يكون مرجوعاً إليه، فيما يأمر به أو ينهى عنه، فجلوسه ـ والحالة هذه ـ رحمةٌ بأهل السوق، سيما فى حق معارفه وإخوانه، إذ بسبب جلوسه فى السوق تتبين به المصالح والمفاسد، وقد يكون أهل السوق أو بعضهم غافلين عنها، فينتبهون إليها بسببه»[2].

قلت: وعليه عندئذ أن يلتزم الآداب التالية:

١ ـ المحافظة على ذكر الله: حتى لا يقع فريسة للشيطان، ويلتزم خاصة بالذكر الوارد عند دخول السوق.

١١٧ ـفعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شىء قدير؛ كتب الله له ألفَ ألف حسنة، ومَحَا عنه ألفَ ألف سيئة، ورفع له ألفَ ألف درجة».

وفى رواية: «وبنى له بيتاً فى الجنة»[3].

١١٨ ـ وعن بريدة بن الحَصيب رضى الله عنه قال:

كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق (وفى رواية: إذا خرج إلى السوق) قال: «بسم الله، اللهم إنى أسألك خير هذه السوق، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرِّها، وشرِّ ما فيها. اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرةً، أو صفقةً خاسرة»[4].

---

(١) هو شيخ الأندلس ومفتيها، وقاضى الجماعة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف المالكى المعروف بابن الحاج، كان من جلّة العلماء، معدوداً فى المحدثين والأدباء، بصيراً بالفتوى، عادلاً فى قضائه، كثير الخشوع والذكر. قتل ظلما يوم الجمعة وهو ساجد فى صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وله إحدى وسبعون سنة. انظر فى ترجمته: الصلة لابن بشكوال ٢/ ٥٨٠، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦١٤، العبر ٤/ ٧٩، شذرات الذهب ٤/ ٩٣.

(٢) المدخل ٤/ ٦٩.

(٣) أخرجه الترمذى ـ وقال: غريب ـ فى كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا دخل السوق ٥/ ٤٩١ (٣٤٢٨، ٣٤٢٩)، وابن ماجه فى كتاب: التجارات، باب: الأسواق ودخولها ٢/ ٧٥٢ (٢٢٣٥)، والدارمى فى كتاب الاستئذان، باب: ما يقول إذا دخل السوق ٢/ ٣٧٩ (٢٦٩٢)، وأحمد ١/ ٤٧، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة صـ٩٥ (١٨٢)، وصححه الحاكم ١/ ٥٣٨ على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى، لكن فيه «عن ابن عمر» لم يذكر عمر.

(٤) أخرجه الحاكم ١/ ٥٣٩ وقال: «أقربها بشرائط هذا الكتاب حديث بريدة»، وتعقبه الذهبى بأن فيه=

٢ ـ الإكثار من السلام على أهل السوق: فإن ذلك يعتبر تنبيهاً لهم، وتذكيراً للغافلين منهم.

عن الطفيل بن أبيّ بن كعب، أنه كان يأتى عبدَ الله بن عمر رضى الله عنهما، فيغدو معه إلى السوق. قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمرَّ عبدُ الله بن عمر على سَقَّاطٍ، ولا صاحب بيعة[١]، ولا مسكينٍ، ولا أحدٍ إلا سلَّم عليه.

قال الطفيل: فجئتُ عبد الله بن عمر يوماً، فاستتبعنى إلى السوق، فقلت له: وما تصنع فى السوق، وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس فى مجالس السوق؟ قال: وأقول: اجلس بنا ههنا نتحدث.

قال: فقال لى عبد الله بن عمر: «يا أبا بطن ـ وكان الطفيل ذا بطن ـ إنما نغدو من أجل السلام، نسلِّم على من لقينا»[٢].

٣ ـ ألا تلهيه التجارة والسوق عن الصلاة، وأن يدع البيع والشراء عند النداء بالصلاة، وبخاصة صلاة الجمعة، كما قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (الجمعة: ٩) ويحذر أن يكون ممن ﴿ **إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً** ﴾ [الجمعة: ١١].

ولا شك أن الداخل إلى السوق إذا التزم بالصلاة والذكر حفظه الله بذلك من الفتنة، وحماه من الوقوع فى الزلل، ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يأتون المسجد فيصلون فيه قبل دخول السوق.

١١٩ ـ فعن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال:

«كنا نغدو إلى السوق على عهد رسول الله ﷺ، فنمر على المسجد، فنصلى فيه»[٣].

= أبا عمرو، لا يعرف، ومحمد بن عيسى المدائنى متروك. وأخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة صـ٩٤ ـ ٩٥ (١٨١)، والطبرانى فى الأوسط، وفيه محمد بن أبان الجعفى وهو ضعيف. (مجمع الزوائد ٤/ ٧٧).

(١) **السَّقَّاط** ـ بفتح السين والقاف، ويروى بتشديد القاف ـ: هو الذى يبيع سقط المتاع، وهو رديئه وحقيره (النهاية ٢/ ٣٧٩).

والبيعة ـ بكسر الباء ـ: الحالة من البيع، كالرِّكبة والقعدة (النهاية ١/ ١٧٤).

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ فى كتاب: السلام، باب: جامع السلام ٢/ ٧٣٣ (٦) وقال النووى فى رياض الصالحين (٨٥٠) «بإسناد صحيح»، وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد صـ٢٩٧ (١٠٠٦).

(٣) أخرجه النسائى فى كتاب: المساجد، باب: صلاة الذى يمر على المسجد ٢/ ٥٥.

٤ ـ الالتزام بأدب الجلوس فى السوق: من ردِّ السلام، وغض البصر، ودلالة الحيران، وهداية الأعمى، وإعانة المظلوم، ونحوها.

١٢٠ ـ فعن وحشى بن حرب رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال:

«لعلكم ستفتحون بعدى مدائن عظاماً، وتتخذون فى أسواقها مجالس، فإذا كان ذلك فردُّوا السلام، وغضوا من أبصاركم، واهدوا الأعمى، وأعينوا المظلوم»(١).

ويلتحق بذلك سائر آداب وحقوق الطريق التى سأذكرها بعد؛ فإن السوق فى منزلة الطريق.

٥ ـ الحذر من إحداث الفتن والخصومات بين المسلمين: ذلك أن السوق بحاله التى سبق ذكرها ترتفع فيه الأصوات، وتسهل فيه الفتنة والوقيعة بين المتبايعين، ولذا وجب على من اضطر للجلوس فيه ألا يكون عوناً للشيطان فى إحداث هذه الفتن.

١٢١ ـ عن ابن مسعود رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«... وإياكم وهَيْشَاتِ الأسواق»(٢).

قال النووى: «هى بفتح الهاء، وإسكان الياء، وبالشين المعجمة، أى اختلاطها، والمنازعة والخصومات، وارتفاع الأصوات، واللغط، والفتن التى فيها»(٣).

ومن البدهى أن عليه كذلك أن يلتزم بأحكام الشرع وآدابه فى البيع والشراء وغيرهما من ألوان المعاملات الجارية فى الأسواق.

وعلى هذه الآداب كان النبى ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم والسلف الصالح من الأمة يمشون فى الأسواق ويدخلونها، من غير أن يجعلوها مجالس يطيلون القعود فيها لغير فائدة أو حاجة شرعية، والله أعلم.

٢ ـ الطرقات والأفنية وما فى معناها:

الطرقات من المنافع العامة للأمة، يحتاج الناس أجمعون إلى استخدامها والمرور فيها؛ لقضاء مصالحهم، والخروج إلى معايشهم وأسفارهم.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٢/١٣٨ (٣٦٧) وقال الهيثمى فى المجمع ٨/٦٢: «رجاله كلهم ثقات، وفى بعضهم ضعف».

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها ١/٣٢٣ (٤٣٢/١٢٣)، وأبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: من يستحب أن يلى الإمام فى الصف ١/١٨١ (٦٧٥)، وأحمد ١/٤٥٧.

(٣) شرح النووى ٤/١٥٦.

ولذلك حرص الإسلام أعظم الحرص على الحفاظ عليها صالحة لهذه الأغراض المشروعة الطبيعية، ولم يجعل أمر صيانتها والمحافظة عليها مجرد واجب حكومى تقوم به الدولة، بل دعا الأفراد إلى أن يكونوا أصحاب الدور الأكبر فى هذا، وحذَّر أعظم تحذير من إلقاء الأذى فيها، ورغَّب أشد ترغيب ليس فى الامتناع عن الأذى فقط، بل فى إزالة الأذى، حتى لا يؤدى هذا الأذى إلى إعاقة السير فيها، أو عدم تمكين الناس من السير فيها بسهولة.

ـ **فمن ذلك أنه نهى عن قضاء الحاجة على الطريق** أو فى أماكن استراحة المسافرين فى الطريق، واعتبر ذلك من الأمور الجالبة للَّعنة على فاعليها.

١٢٢ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«اتقوا اللَّعَّانَيْن»

قالوا: وما اللَّعَّانان يا رسول الله؟

قال: «الذى يتخلَّى فى طريق الناس، أو فى ظلهم»(١).

١٢٣ ـ وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اتقوا المَلاَعِنَ الثلاث: البراز فى الموارد، وقارعة الطريق، والظل»(٢).

١٢٤ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت النبىَّ ﷺ يقول:

«اتقوا الملاعن الثلاث».

قيل: ما المَلاَعِنُ يا رسول الله؟

قال: «أن يقعد أحدكم فى ظلٍّ يُستَظَلُّ فيه، أو فى طريقٍ، أو فى نقع ماء»(٣).

١٢٥ ـ وعن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال:

«من آذى المسلمين فى طرقهم وجبتْ عليه لعنتُهم»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الطهارة، باب: النهى عن التخلى فى الطرق والظلال ١/ ٢٢٦ (٢٦٩/٦٨)، وأبو داود فى كتاب: الطهارة، باب: المواضع التى نهي النبى ﷺ عن البول فيها ١/ ٧ (٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود فى الموضع السابق ١/ ٧ (٢٦)، وأخرجه ابن ماجه ـ وفيه قصة بين معاذ وعبد الله بن عمرو ـ فى كتاب: الطهارة، باب: النهى عن الخلاء على قارعة الطريق ١/ ١١٩ (٣٢٨)، وفى الزوائد: إسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٢٩٩، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ٢٠٤: «فيه ابن لهيعة، ورجل لم يسم» **قلت**: يشهد له ما قبله وما بعده من أحاديث الباب.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٣/ ١٧٩ (٣٠٥٠) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ٢٠٤: «إسناده حسن» وكذلك قال المنذرى فى الترغيب والترهيب ١/ ١٣٤.

١٢٦ـوعن محمد بن سيرين قال: قال رجلٌ لأبى هريرة: أَفْتَيْتَنَا فى كل شىء، يوشك أن تفتينا فى الخِرَاء. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من سَلَّ سَخِيمتَه على طريقٍ من طرق المسلمين، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين»(١).

١٢٧ ـ وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إياكم والتَّعْريسَ(٢) على جَوَادِّ الطريق(٣)، والصلاةَ عليها؛ فإنها مأوى الحيات والسِّباع، وقضاءَ الحاجة عليها؛ فإنها من الملاعن»(٤).

قال الإمام أبو سليمان الخطَّابى: «المراد باللاعنين: الأمرين الجالبيْن للَّعن، الحامليْن الناسَ عليه، والداعييْن إليه، وذلك أن من فعلهما شُتم ولُعن، يعنى عادة الناس لعنه، فلما صارا سبباً لذلك أضيف اللَّعنُ إليهما. قال: وقد يكون اللاعن بمعنى الملعون، والَملاَعن: موضع اللعن.

قال النووى: «فعلى هذا يكون التقدير: اتقوا الأمرين الملعون فاعلهما»(٥).

ـ وإنما كان الأمر بهذه الشدة؛ لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر بالطريق ونتنه واستقذاره.

ـ بل أمر النبىُّ ﷺ بإزالة الأذى عن الطريق، أيًّا كان هذا الأذى وحرص على تأكيد هذا الذوق الحضارى الكريم، وتثبيته فى نفوس المسلمين.

١٢٨ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«بينما رجلٌ يمشى بطريقٍ وجد غصن شوكٍ على الطريق، فأخَّره، فشكر الله له، فغفر له»(٦).

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الصغير ٢/١٨، وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/٢٠٤ إليه فى الأوسط وقال: «فيه محمد بن عمرو الأنصارى، ضعَّفه يحيى بن معين، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات»، وقال المنذرى نحو ذلك فى الترغيب والترهيب ١/١٣٤.

(٢) **التعريس**: نزول المسافر آخر الليل نزلةً للنوم والاستراحة (النهاية ٣/٢٠٦)

(٣) **الجوادّ**: الطرق، جمع جادة، وهى سواء الطريق ووسطه، وقيل: هى الطريق الأعظم التى تجمع الطرق، ولابد من المرور عليه. (النهاية ١/٢٤٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه فى كتاب، باب: الطهارة، باب: النهى عن الخلاء على قارعة الطريق ١/١١٩ (٣٢٩) وقال البوصيرى: «إسناده ضعيف» وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب ١/١٣٥: «رواته ثقات».

(٥) شرح النووى ٣/١٦١.

(٦) أخرجه البخارى فى كتاب: الأذان، باب: فضل التهجير إلى الظهر ٢/١٣٩ (٦٥٢)، وفى كتاب:=

١٢٩ ـ وفى رواية: «فقال ـ أى الرجل ـ: **والله** لأُنَحِّيَنَّ هذا عن المسلمين؛ لا يؤذيهم. فأُدْخِل الجنة».

١٣٠ ـ وفى رواية: «لقد رأيت رجلاً يتقلَّب فى الجنة، فى شجرةٍ قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى الناس».

١٣١ ـ وفى رواية: «إن شجرةً كانت تؤذى المسلمين، فجاء رجلٌ، فقطعها، فدخل الجنة»[١].

ويلتحق بذلك كل لونٍ من ألوان الأذى، شجراً كان أو شوكاً أو حجراً، أو جيفةً أو قذراً، أو ما فى معنى ذلك.

١٣٢ ـ فعن أبى بَرْزَة الأسلمى رضى الله عنه قال: قلت: يا نبىَّ **الله**، علِّمنى شيئاً أنتفع به.

قال: **«اعزل الأذى عن طريق المسلمين»**[٢].

واعتبر النبىُّ ﷺ إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وعدَّه من شعب الإيمان.

١٣٣ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«الإيمان بضع وستون أو قال: بضع وسبعون ـ شعبة، فأعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[٣].

ومن الأذى الذى تنبغى إزالته: الأذى النفسى والمعنوى الذى قد يحدث من

= المظالم، باب: من أخذ الغصن وما يؤذى الناس فى الطريق فرمى به ٥/١١٨ (٢٤٧٢)، ومسلم فى كتاب: البر والصلة، باب: فضل إزالة الأذى عن الطريق ٤/٢٠٢١ (١٢٧/١٩١٧)، والترمذى فى كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى إماطة الأذى عن الطريق ٤/٣٤١ (١٩٥٨). وابن ماجه فى كتاب: الأدب، باب: إماطة الأذى عن الطريق ٢/١٢١٤ (٣٦٨٢)، وابن حبان ٢/٢٩٥ (٥٣٦).

(١) هذه الروايات أخرجها مسلم فى نفس الموضع (١٢٨/١٩١٧: ١٣٠)، وانظر: أحمد ٢/٢٨٦، ٣٤١، ٤٠٤، ٥٣٣، وابن حبان (٥٣٧: ٥٤٠).

(٢)أخرجه مسلم فى الموضع السابق (٢٦١٨/ ١٣١ ـ ١٣٢)، وابن ماجه فى كتاب: الأدب، باب: إماطة الأذى عن الطريق ٢/ ١٢١٤ (٣٦٨١)، وابن حبان ٢/٢٩٨ ـ ٢٩٩ (٥٤١)

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان ١/٥١ (٩)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان ١/ ٦٣ (٣٥/٥٨)، وأبو داود فى كتاب: السنة، باب: فى رد الإرجاء ٤/٢١٩ (٤٦٧٦)، والترمذى فى كتاب: الإيمان، باب: ما جاء فى استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه ٥/ ١٠ (٢٦١٤)، والنسائى فى كتاب: الإيمان، باب: ذكر شعب الإيمان ٨/ ١١٠.

الجالسين على الطريق، من تضييق على المارِّين، أو احتقارهم بغيبةٍ أو نميمة أو غمزٍ أو لمزٍ.

وقد يكون الجلوس على الطريق مانعاً للعفيفات من النساء من الخروج فى أشغالهن، وقد يكون الجلوس قريباً من دارِ إنسانٍ، أو من باب بيته، فيتأذى بذلك، أو يكون الجلوس بحيث يكشف الجالس من أحوال بعض الناس ما يكرهون، إلى غير ذلك من ألوان التعرُّض للإثم والفتن.

ولهذا حذَّر النبىُّ ﷺ من الجلوس فى الطرقات، إلاَّ إذا عرف الجالس حقَّ الطريق وقام به.

١٣٤ ـ فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إياكم والجلوسَ على الطرقات».

فقالوا: ما لنا بُدٌّ، إنما هى مجالسُنا نتحدث فيها.

قال: «فإذا أتيتم إلى المجالس، فأعطوا الطريق حقَّها»

قالوا: وما حقُّ الطريق؟

قال: «**غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، وأمرٌ بالمعروف، ونهىٌ عن المنكر**»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «وقد تبيَّن من سياق الحديث أن النهى عن ذلك للتنزيه؛ لئلاَّ يضعف الجالسُ عن أداء الحق الذى عليه.

وأشار بغض البصر: إلى السلامة من التعرض للفتنة بمن يمر من النساء وغيرهن، وبكفِّ الأذى: إلى السلامة من الاحتقار والغيبة ونحوها، وبردِّ السلام: إلى إكرام المارِّ، وبالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: إلى استعمال جميع ما يُشْرَع، وترك جميع ما لا يُشْرَع.

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: المظالم، باب: أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات ١١٢/٥ (٢٤٦٥)، وفى كتاب: الاستئذان، باب: قول الله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا...**﴾ الآية ١١/ ٨ (٦٢٢٠)، ومسلم فى كتاب: اللباس والزينة، باب: النهى عن الجلوس فى الطرقات، وإعطاء الطريق حقه ٣/ ١٦٧٥ (٢١٢١/ ١١٤)، وفى كتاب: السلام، باب: من حق الجلوس على الطريق رد السلام ٤/ ١٧٠٤ (٢١٢١/ ٣)، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: الجلوس فى الطرقات ٤/ ٢٥٦ (٤٨١٥)، وأحمد ٣/ ٣٦، ٤٧، ٦١، وابن حبان ٢/ ٣٥٦ (٥٩٥)، والبيهقى فى السنن الكبرى ٧/ ٨٩، و١٠/ ٩٤.

وفيه: حجة لمن يقول بأن سدّ الذرائع بطريق الأولى؛ لا على الحتم؛ لأنه نهى أولاً عن الجلوس حسماً للمادة، فلما قالوا: «ما لنا منها بدٌّ» ذكر المقاصد الأصلية للمنع، فعُرف أن النهى الأول للإرشاد إلى الأصلح.

ويؤخذ منه: أن دفع المفسدة أولى من جلب المصلحة؛ لندبه أولاً إلى ترك الجلوس، مع ما فيه من الأجر لمن عمل بحق الطريق، وذلك أن الاحتياط لطلب السلامة آكدُ من الطمع فى الزيادة»[1].

وقال النووى: «ينبغى أن يجتنب الجلوس فى الطرقات لهذا الحديث، ويدخل فى كفِّ الأذى: اجتنابُ الغيبة، وظنِّ السَّوْء، واحتقار بعض المارِّين، وتضييق الطريق. وكذا إذا كان القاعدون من يهابهم المارُّون، أو يخافون منهم، ويمتنعون عن المرور فى أشغالهم بسبب ذلك؛ لكونهم لا يجدون طريقاً إلا ذلك الموضع»[2].

وقال أيضاً: «وقد أشار النبىُّ ﷺ إلى علة النهى؛ من التعرُّض للفتن والإثم، بمرور النساء وغيرهن، وقد يمتد نظرٌ إليهنَّ، أو فكرٌ فيهن، أو فى غيرهن من المارِّين، ومن أذى الناس باحتقار من يمرُّ، أو غيبة، أو غيرها، أو إهمال ردِّ السلام فى بعض الأوقات، أو إهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ونحو ذلك من الأسباب التى لو خَلاَ فى بيته لسلم منها.

ويدخل فى الأذى: أن يضيِّق الطريق على المارِّين، أو يمتنع النساء ونحوهن من الخروج فى أشغالهن؛ بسبب قعود القاعدين فى الطريق، أو يجلس بقرب دار إنسانٍ يتأذَّى بذلك، أو حيث يكشف من أحوال الناس شيئاً يكرهونه»[3].

قلت: ويلتحق بالطريق كل ما فى معناه، كالأفنية، وهى: حريم الدار والأماكن المتسعة أمامها أو حولها، وكذلك المساطب[4] التى يبنيها أهل الريف أمام بيوتهم، والحوانيت، والمقاهى، والشرفات المطلة على الطريق.

فلا يصح ـ مثلاً ـ أن يقف الرجل فى شرفة منزله المطلة على الطريق، دون أن يلتزم بتلك الحقوق، كما لا يليق بالمرأة العفيفة أن تقف أو تجلس فى شرفة منزلها أو فناء

---

(١) فتح البارى ٥/ ١١٣.

(٢) شرح النووى ١٤/ ١٠٢.

(٣) شرح النووى ١٤/ ١٤٢

(٤) قال الفيروز آبادى فى «القاموس المحيط» ١/ ٨٢ مادة (س ط ب): «هى الدكاكين يقعد عليها، جمع مَسْطَبَة، وتكسر».

دارها أو فى أى مكان يطل على الطريق، بحيث ترى الناسَ ويرونها، فيرون منها ما لا يصح أن يُرَى، أو تفعل هى ما يخالف هذه الآداب، بزعم أنها فى بيتها، وأن لها أن تفعل فيه ما تشاء.

١٣٥ ـ عن أبى طلحة رضى الله عنه قال: كنا قعوداً بالأفنية[١] نتحدث، فجاء رسول الله ﷺ، فقام علينا، فقال: «ما لكم ولمجالس الصُّعُدات[٢]؟ اجتنبوا مجالس الصعدات.

فقلنا: إنما قعدنا لغير ما بأس، قعدنا نتذاكر ونتحدث.

قال: «إمّا لا[٣] فأدُّوا حقَّها: غض البصر، وردّ السلام، وحسن الكلام»[٤].

وحسنُ الكلام يدخل فيه «حسنُ كلامهم فى حديثهم بعضهم لبعض، فلا يكون فيه غيبةٌ، ولا نميمةٌ، ولا كذبٌ، ولا كلامٌ ينقص المروءة، ونحو ذلك من الكلام المذموم. ويدخل فيه: كلامُهم للمارِّ، من ردِّ السلام، ولطف جوابهم له، وهدايته للطريق، وإرشاده لمصلحته، ونحو ذلك»[٥].

حق الطريق إذا لم يكن من الجلوس بُد:

متى اضطر الإنسان للجلوس على الطريق أو ما فى معناه، فإن عليه أن يقوم بحق الطريق، وقد سبق من حقوقه: غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وحسنُ الكلام.

وليست تلك هى كلَّ الحقوق، فإن ثمة حقوقاً أخرى كثيرة أوضحتها الأحاديث النبوية الكثيرة، وهاك بعضها:

١٣٦ـ عن البراء بن عازب رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ مرَّ بناسٍ من

---

(١) جمع فناء ـ بالكسر والمد ـ قال النووى: «هو حريم الدار ونحوها، وما كان فى جوانبها وقريباً منها (شرح النووى ١٤/ ١٤١) وقال ابن الأثير: «الفناء: هو المتسع أمام الدار» (النهاية ٣/ ٤٧٧).

(٢) الصُّعُدات ـ بضم الصاد والعين ـ: الطرقات، وإحداها صعيد، كطريق، يقال: صعيدٌ، وصُعُد، وصُعُدات، كطريق وطُرُق وطُرُقات، على وزنه ومعناه (شرح النووى ١٤/ ١٤٢).

(٣) يعنى إن لم تتركوها. (شرح النووى ١٤/ ١٤٢).

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب: السلام، باب: من حق الجلوس على الطريق رد السلام ٤/ ١٧٠٣ ـ ١٧٠٤ (٢١٦١/ ٢)، وأحمد ٤/ ٣٠

(٥) شرح النووى ١٤/ ١٤٢ ـ ١٤٣

الأنصار، وهم جلوسٌ فى الطريق فقال:

«إن كنتم لابُدَّ فاعلين، فرُدُّوا السلام، وأعينوا المظلوم، واهدوا السبيل»(١).

١٣٧ ـ وفى رواية: «إن أبيتم إلا أن تجلسوا فاهدوا السبيل، وردوا السلام، وأغيثوا الملهوف»(٢).

١٣٨ ـ **وعن أبى هريرة** رضى الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن أن تجلسوا بأفنية الصُّعُدات. قالوا: يا رسول الله، إنا لا نستطيع ذلك، ولا نطيقه.

قال: «إمَّا لا فأدوا حقَّها».

قالوا: وما حقُّها يا رسول الله؟

قال: «ردُّ التحية، وتشميتُ العاطس إذا حمد الله، وغضُّ البصر، وإرشاد السبيل»(٣).

١٣٩ ـ **وعن عمر بن الخطاب** رضى الله عنه فى مثل هذه القصة:

قال: «وتغيثوا الملهوف، وتهدوا الضال»(٤).

١٤٠ ـ **وعن عمر** رضى الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال:

«إياكم والجلوس فى الصُّعُدات، فإن كنتم لابد فاعلين، فأعطوا الطريق حقه».

قيل: وما حقه؟

قال: «غضُّ البصر، ورد السلام ـ أحسبه قال: وإرشاد الضالّ»(٥).

١٤١ ـ **وعن ابن عباسٍ** رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن غريب ـ فى كتاب: الاستئذان، باب: ما جاء فى الجالس على الطريق ٥/ ٧٤ (٢٧٢٦)، والدارمى فى كتاب: الاستئذان، باب: فى النهى عن الجلوس فى الطرقات ٢/ ٣٦٦ (٢٦٥٥)، وأحمد ٤/ ٢٨٢، ٢٩٦، ٣٠١، والطيالسى صـ٩٧ (١١٢)، وأبو يعلى ٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ (١٧١٧، ١٧١٨).

(٢) صححه ابن حبان ٢/ ٣٥٨ (٥٩٧).

(٣) صححه ابن حبان ٢/ ٣٥٧ (٥٩٦)، والحاكم ٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ووافقه الذهبى، وأشار إليه أبو داود مختصراً فى كتاب: الأدب، باب: الجلوس فى الطرقات ٤/ ٢٥٦ (٤٨١٦)، وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد صـ٢٩٩ (١٠١٤).

(٤) أخرجه أبو داود فى الموضع السابق (٤٨١٧).

(٥) أخرجه البزار: انظر كشف الأستار ٢/ ٤٢٥ (٢٠١٨) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٦٢: «رجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن سنان الهروى، وهو ثقة».

«لا تجلسوا فى المجالس، فإن كنتم لابد فاعلين فردُّوا السلامَ، وغُضُّوا الأبصارَ، واهدوا السبيل، وأعينوا على الحَمُولة»[1].

والحمولة ـ بفتح الحاء المهملة ـ: ما يحتمل عليه الناسُ من الدوابّ، سواء كانت عليها الأحمال أو لم تكن، كالرَّكوبة، والحُمولة ـ بالضم ـ: الأحمال[2].

١٤٢ ـ وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه قال: قال أهل العالية: يا رسول الله، لابُدَّ لنا من مجالس.

قال: «فأدوا حق المجالس».

قالوا: وما حق المجالس؟

قال: «ذكرُ الله كثيرًا، وأرشدوا السبيل، وغُضُّوا الأبصار»[3].

جملة آداب الطريق وحقوقه من خلال النصوص السابقة:

(١) غض البصر	(٢) كف الأذى
(٣) رد السلام والتحية	(٤) الأمر بالمعروف
(٥) النهى عن المنكر	(٦) حسن الكلام
(٧) إرشاد السبيل	(٨) إغاثة الملهوف
(٩) إعانة المظلوم	(١٠) تشميت العاطس
(١١) الإعانة على الحمولة	(١٢) ذكر الله كثيراً
(١٣) دلالة الحيران	(١٤) هداية الضالّ

قال ابن حجر: «ومجموع ما فى هذه الأحاديث أربعة عشر أدباً، وقد نظمتُها فى ثلاثة أبيات، وهى:

جمعتُ آدابَ مَنْ رام الجلوس على الطر ... يق من قول خير الخلق إنسانا

افشِ السلامَ، وأَحْسِنْ فى الكلام ... م، وشَمِّتْ عاطساً، وسلاماً رُدَّ إحسانا

(١) أخرجه البزار ٢/ ٤٢٥ (٢٠١٩)، وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٦٢: «فيه محمد بن أبى ليلى، وهو ثقة سيء الحفظ، وبقية رجاله وثقوا».

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ١/ ٤٤٤.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٦/ ٨٧ (٥٥٩٢)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٦٢: «فيه أبو بكر بن عبد الرحمن الأنصارى، تابعى لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا».

فى الحملِ عاونْ، ومظلوماً أَعِنْ، وأَغِثْ لَهفانَ، اهدِ سبيلاً، واهدِ حَيْرانا
بالعُرفِ مُرْ، وانْهَ عن نكْرٍ، وكُفَّ أذىً وغُضَّ طرْفاً، وأكثر ذكرَ مولانا

وقد اشتملتْ على معنى علة النهى عن الجلوس فى الطرق: من التعرض للفتن، بخطور النساء الشوابّ، وخوف ما يلحق من النظر إليهن من ذلك، إذ لم يُمْنَع النساءُ من المرور فى الشوارع لحوائجهن.

ومن التعرُّض لحقوق الله، وللمسلمين، مما لا يلزم الإنسان إذا كان فى بيته، وحيث لا ينفرد، أو يشتغل بما يلزمه من رؤية المناكير، وتعطيل المعارف، فيجب على المسلم الأمرُ والنهىُ عند ذلك، فإن ترك ذلك فقد تعرَّض للمعصية.

وكذا يتعرض لمن يمرّ عليه ويسلِّم عليه، فإنه ربما كثر ذلك، فيعجز عن الرد على كل مارٍّ، وردُّه فرضٌ، فيأثم. والمرءُ مأمورٌ بأن لا يتعرض للفتن وإلزام نفسه ما لَعَلَّه لا يَقْوَى عليه.

فندبهم الشارع إلى ترك الجلوس حسماً للمادة، فلما ذكروا له ضرورتهم إلى ذلك؛ لما فيه من المصالح: من تعاهد بعضهم بعضاً، ومذاكراتهم فى أمور الدين ومصالح الدنيا، وترويح النفس بالمحادثة فى المباح؛ دلَّهم على ما يزيل المفسدة من الأمور المذكورة.

ولكل من الآداب المذكورة شواهد فى أحاديث أخرى»[1].

٣ ـ أماكن اللهو والخوض فى آيات الله:

نهى الحق تبارك وتعالى ورسولُه المؤمنين عن مجالسة الخائضين فى آياته والمستهزئين بها.

وذلك يعنى البعد عن الأماكن المعدَّة لهذا الغرض السيء الأثيم، كنوادى الماسونية بمسمياتها المختلفة من روتارى وليونز وغيرها، والنوادى المشبوهة التى ترعى أفكاراً هدامة، تدعو إلى طرح الدين ونبذ الشريعة، ويُكْفَر فيها بالله، ويستهزأ فيها بدينه وبأحكام شرعه، كالجمعيات النسائية المتحررة، والأحزاب القائمة على مناهضة الدين.

ويلتحق بذلك: أماكن اللهو والعبث الماجن والغفلة والمعصية، كحانات الخمور، ودور الخيالة (السينما) الماجنة، وقاعات الأفراح المختلطة، ونوادى الفساد المختلطة،

---

(١) فتح البارى ١١/١١ ـ ١٢.

ونحوها من الأماكن التى ترتكب فيها المنكرات، ويحصل فيها الصدُّ عن ذكر الله، فإن ذلك ينزع من المؤمن إيمانه.

١٤٣ ـ **عن جابر بن عبد الله** رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدْ على مائدة يُشرَبُ عليها الخمر»(١).

١٤٤ ـ **وعن عمر بن الخطاب** رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدْ على مائدة يدار عليها الخمر...» الحديث(٢).

١٤٥ ـ **وعن ابن عباس** رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشربْ الخمر، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدْ على مائدة يُشْرَب عليها الخمر...» الحديث(٣).

ولعل أحداً يظن أنه لا إثم عليه بمجرد الجلوس فى هذه الأماكن، ما لم يشارك أهلها فى فسادهم وإلحادهم وفسقهم.

وهذا وهمٌ خاطىءٌ، وفيه إثمان: إثمُ الجلوس فى المجالس المنهى عنها، وإثم ترك النهى عن المنكر والأمر بالمعروف، ومن هذا الباب أُتى بنو إسرائيل، واستوجبوا لعنة الله على لسان داود وعيسى بن مريم.

١٤٦ ـ **فعن عبد الله بن مسعود** رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ أولَ ما دخل النقص على بنى إسرائيل: كان الرجلُ يلقى الرجل فيقول: يا هذا، اتق اللهَ ودَعْ ما تصنع؛ فإنه لا يحلُّ لك. ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشَريبه وقعيده.

فلما فعلوا ذلك ضرب اللهُ قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ**

---

(١) أخرجه الدارمى فى كتاب: الأدب، باب: النهى عن القعود على مائدة يدار عليها الخمر ٢/١٥٣ (٢٠٩٢) وهو جزء من حديث أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن غريب ـ فى كتاب: الأدب، باب: ما جاء فى دخول الحمام ٥/١١٣ (٢٨٠١)، وأحمد ٣/٣٣٩، وصححه الحاكم ٤/٢٨٨ على شرط مسلم، ووافقه الذهبى.

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد ١/ ٢٠، وقال الهيثمى فى المجمع ١/٢٧٧: «فيه رجل لم يسم»، ويشهد له الحديث الذى قبله.

(٣) جزء من حديث أخرجه الطبرانى فى الكبير ١١/١٩١ (١١٤٦٢) وقال الهيثمى فى المجمع ١/٢٧٨: «فيه يحيى بن أبى سليمان المدنى، ضعّفه البخارى، وأبو حاتم، ووثقه ابن حبان»

بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله ﴿فَاسِقُونَ﴾ [المائدة، ٧٨: ٨١] ثم قال:

«كلا، والله لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهوُنَّ عن المنكر، ولتأخذُنَّ على يدى الظالم، ولَتَأطُرُنَّه على الحق أطْراً، ولَتقصُرنَّه على الحق قصراً»(١).

زاد فى رواية: «أو ليضربنّ اللهُ بقلوب بعضكم على بعض، ثم لَيَلْعَنَنَّكم كما لعنهم»(٢).

ومن ثَمَّ فينبغى على المسلم الحذرُ من الجلوس فى مثل هذه الأماكن، حتى ينجو من الإثم، وينأى عن الزلل.

٤ـ ظهور الدواب:

فإن الحيوان ـ وإن كان أعجميًّا ـ ينبغى الرفقُ به، وعدمُ اتخاذ ظهره مجلساً للحديث، دون اعتبار لكونه مخلوقاً يحس ويألم ويتعب.

١٤٧ ـ فعن معاذ بن أنسٍ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«اركبوا هذه الدوابَّ سالمةً، ولا تتخذوها كراسى»(٣).

١٤٨ ـ وفى رواية: «اركبوا هذه الدوابَّ سالمةً، وايتدعوها سالمةً، ولا تتخذوها كراسى»(٤).

١٤٩ ـ وفى رواية: «لا تتخذوا الدوابَّ كراسىَّ، فرُبَّ مركوبةٍ هى أكثر ذكراً لله تعالى من راكبها»(٥).

١٥٠ ـ وفى رواية: أنه ﷺ مرَّ على قومٍ، وهم وقوفٌ على دوابٍّ لهم ورواحل،

---

(١) تأطرنّه على الحق: يعنى تعطفوه عليه (النهاية ١/ ٥٣)، وتقصرنه على الحق: تلزمونه إياه، وتحبسونه عليه (النهاية ٤/ ٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهى ٤/ ١٢١ ـ ١٢٢ (٤٣٣٦، ٤٣٣٧)، والترمذى ـ وقال: حسن غريب ـ فى كتاب: التفسير، باب: ومن سورة المائدة ٥/ ٢٥٢ (٣٠٤٨)، وابن ماجه فى كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٢/ ١٣٢٧ ـ ١٣٢٨ (٤٠٠٦)

وله شاهد من حديث أبى موسى الأشعرى، عزاه الهيثمى فى المجمع ٧/ ٢٦٩ للطبرانى، وقال: «رجاله رجال الصحيح».

(٣) أخرجه الدارمى فى كتاب: الاستئذان، باب: فى النهى عن أن يتخذ الدواب كراسى ٢/ ٣١٢ (٢٦٦٨).

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٤٤٠، و٤/ ٢٣٤، والطبرانى فى الكبير ٢٠/ ١٩٣ (٤٣١)، والبيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ٢٢٥، وصححه الحاكم ١/ ٤٤٤، و٢/ ١٠٠، ووافقه الذهبى.

(٥) أخرجه أحمد ٣/ ٤٤١.

فقال لهم: «اركبوها سالمةً، ودَعُوها سالمةً، ولا تتخذوها كراسى لأحاديثكم فى الطرق والأسواق، فرُبَّ مركوبةٍ خيرٌ من راكبها، وأكثر ذكراً لله تبارك وتعالى منه»[1].

والإسلام بذلك قد سبق كل دعاوى الرفق بالحيوان التى يتفاخر بها كثيرٌ من الناس، فإنه قد جعل ذلك مرتبطاً بدين المسلم وخُلُقه.

ثانياً: من الإماكن التى يُسْتَحبُّ الجلوس فيها:

١ـ المساجد:

إذ هى بيوت الطاعات، ومنزل الرحمات، ومحلُّ البركات، وهى أفضل البقاع، كما سبق فى الحديث.

والجالس فى المسجد لا يخلو عن خيرٍ يشتغل به يقرِّبه إلى الله، بل إن مجرد جلوسه فى المسجد رحمةٌ عليه وبركة، فإن كان فى انتظار صلاة كان فى صلاة، وإن كان فى مجلس ذكر أو علم فهو السعيد الذى لا يشقى بإذن اللهً، وكلما كثرت النيات الحسنة فى ذلك عظم أجره، وازداد خيراً، كما سبق ذكره فى الباب السابق عن الإمام الغزالى رحمه الله.

وقد وصف الله عز وجل أهل المساجد المعمرِّين لها، والمعتادين الجلوس فيها بأفضل الأوصاف، وأكملها، فقال تعالى: **﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ . رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [النور: ٣٦، ٣٨].

وقال تباركت أسماؤه: **﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾** [التوبة: ١٠٨].

وأكّد النبىُّ ﷺ عظيم أجر محبى المساجد والمتعلقين ببيوت الله:

١٥١ ـ **فعن أبى هريرة** رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: الإمام العادل، وشابٌ نشأ فى عبادة

---

[1] أخرجه أحمد ٣/ ٣٣٩، ٣٤٠، والطبرانى فى الكبير ٢٠/ ١٩٣ (٤٣٢) وفيه: زبان بن فايد، ورشدين ابن سعد، وابن لهيعة، ضعفاء، غير أن أصل الحديث صحيح بالطرق السابقة.

الله عز وجل، ورجلٌ قلبُه مُعَلَّقٌ بالمساجد. . .» الحديث[١].

وفى رواية: «. . . ورجلٌ قلبه مُعَلَّقٌ بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه»[٢].

١٥٢ ـ**وعن أبى هريرة** رضى الله عنه أيضاً، عن النبى ﷺ قال:

«ما توطَّن رجلٌ المساجدَ للصلاة والذكر إلا تبشبش[٣] الله تعالى إليه، كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم»[٤].

١٥٣ ـ **وفى رواية عنه**: «ما من رجلٍ كان توطَّن المساجدَ، فشغله أمرٌ أو علةٌ، ثم عاد إلى ما كان، إلا يتبشبشُ الله إليه، كما يتبشبشُ أهل الغائب بغائبهم إذا قدم»[٥].

١٥٤ ـ**وعن أبى هريرة** رضى الله عنه أيضاً، عن النبى ﷺ قال:

«. . . جليس المسجد على ثلاثِ خصال: أخٍ مستفادٍ، أو كلمةٍ محكمةٍ، أو رحمةٍ منتظرة»[٦].

وقال قتادة[٨]: «كان يقال: قلّ ما ترى المسلم إلا فى ثلاثٍ: فى مسجدٍ يعمره، أو

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الأذان، باب: من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة ٢/ ١٤٣ (٦٦٠)، وفى كتاب: الزكاة، باب: الصدقة باليمين ٣/ ٢٩٣ (١٤٢٣)، وفى كتاب: الرقاق، باب: البكاء من خشية الله ١١/ ٣١٢ (٦٤٧٩)، وفى كتاب: المحاربين، باب: فضل من ترك الفواحش ١٢/ ١١٢ (٦٨٠٦)، ومسلم فى كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة ٢/ ٧١٥ (١٠٣١/ ٩١)، والنسائى فى كتاب: القضاة، باب: الإمام العادل ٨/ ٢٢٢، ٢٢٣، وأحمد ٢/ ٤٣٩.

(٢) هى رواية مسلم السابقة.

(٣) **تبشبش**: فرح، والبَشُّ: فرح الصديق بالصديق، واللطف فى المسألة الإقبال عليه، وقد بَشِشتُ به أَبَشُّ، وهذا مثل ضربه لتلقِّيه إياه ببره وتقريبه وإكرامه. (النهاية ١/ ١٣٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه فى كتاب: المساجد، باب: لزوم المساجد وانتظار الصلاة ١/ ٢٦٢ (٨٠٠) وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة: «إسناده صحيح رجاله ثقات» .وأخرجه أحمد ٢/ ٣٢٨، ٥٥٣، والطيالسى صـ٣٠٧ (٢٣٣٤)، وصححه ابن خزيمة ٢/ ٣٧٩ (١٥٠٣) وابن حبان ٤/ ٤٨٤ (١٦٠٧) و٦/ ٥٥ (٢٢٧٨) والحاكم ١/ ٢١٣ على شرط الشيخين، ووافقة الذهبى.

(٥) أخرجه ابن خزيمة، على ما ذكره المنذرى فى «الترغيب والترهيب» ١/ ٢١٨.

(٦) أخرجه أحمد ٢/ ٤١٨، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/ ٢٢: «فيه ابن لهيعة وفيه كلام».

(٧) هو الإمام الحافظ أبو الخطاب قتادة بن دعامة السَّدُوسى البصرى الضرير، ولد فى سنة ستين، ولقى بعض الصحابة وسمع منهم ومن كبار التابعين، وكان من أوعية العلم، يضرب به المثل فى قوة الحفظ، وهو حجة بالإجماع إذا بيَّن السماع، ومات سنة سبع وعشرين ومائة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢٩، التاريخ الكبير ٧/ ١٨٥، المعرفة والتاريخ ٢/ ٢٧٧، الجرح والتعديل ٧/ ١٣٣، وفيات الأعيان ٤/ ٨٥، تهذيب الكمال ٢٣/ ٤٩٨، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩، تاريخ الإسلام ٤/ ٢٩٥، تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٢، تهذيب التهذيب ٨/ ٣١٥، طبقات الحفاظ صـ٤٧، شذرات الذهب ١/ ١٥٣.

بيت يُكِنُّه، أو ابتغاء رزقٍ من فضل الله»[١].

وعلى جليس المسجد أن يلتزم الأدب اللائق ببيوت الله، فلا يدخلها إلا طاهراً من الحدث الأكبر، ولا يدخلها وفى فمه رائحة كريهة من ثوم أو بصل أو كراث أو دخان أو نحو ذلك، ولا يرفع الصوت فيها لغير مصلحة شرعية، ولا ينشد فيها الضالة، ولا يجعلها سوقاً يبيع فيها ويشترى، ولا يمارى أو يجادل فيها، ولا يبصق فيها، ولا يؤذى المصلين بالتشويش عليهم، إلى غير ذلك من الآداب التى جاءت بها النصوص الشرعية[٢].

٢ ـ أماكن الذكر ودراسة العلم والحكمة:

لا شك أن الأماكن التى يُدَرَّسُ فيها العلمُ، ويُتْلَى فيها الذكرُ، وتُنْشَرَ فيها الحكمةُ، ويجتمع فيها العلماءُ والعُبَّادُ والذاكرون، لا شك أنها محفوفة بالبركات، مشمولة بالرحمات، سواء كانت دور علم مخصصةً لذلك، أو كانت بيوتاً، أو كانت مساجد، أو كانت خلاءً، فإنها إنما تشرف وتزكو بما يكون فيها من خير.

قال ابن مسعود[٣] رضى الله عنه: «نعم المجلسُ مجلسٌ يُنْشَر فيه الحكمةُ، وتُرجَى فيه الرحمة»[٤].

وقال وهب بن مُنَبِّه: «مجلسٌ يُتنازَع فيه العلم أحبُّ إلىَّ من قدره صلاةً، لعل أحدهم يسمع الكلمة، فينتفع بها سنةً، أو ما بقى من عمره»[٥].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى كتاب الجامع فى آخر المصنف ١١/ ٢١ (١٩٧٨٧).

(٢) انظر: الترغيب والترهيب للمنذرى ١/ ١٩٩: ٢٠٥ الترهيب من البصاق فى المسجد وإلى القبلة ومن إنشاد الضالة فيه، وغير ذلك مما يذكر هنا، و ١/ ٢٢٢: ٢٢٥ الترهيب من إتيان المسجد لمن أكل بصلاً أو ثوماً أو كراثاً أو فجلاً ونحو ذلك مما له رائحة كريهة.

(٣) هو الإمام الحبر فقيه الأمة الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى المكى المهاجرى البدرى، أحد السابقين الأولين والنجباء العاملين والأذكياء المعدودين والفقهاء المبرزين، وروى ثمانمائة وأربعين حديثاً، وكان من أعلم الناس بكتاب الله وأسباب النزول، وكان النبى يستقرئه القرآن، ويأمر بالأخذ عنه، وتوفى رضى الله عنه فى خلافة عثمان رضى الله عنه. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ١٠٦، الجرح والتعديل ٥/ ١٤٩، حلية الأولياء ١/ ١٢٤، تاريخ بغداد ١/ ١٤٧، أسد الغابة ٣/ ٣٨٤، تهذيب الكمال ١٦/ ١٢١ تاريخ الإسلام ٢/ ٢٤، سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١، تذكرة الحفاظ ١/ ٣١، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٤ الإصابة ٤/ ١٩٨ طبقات الحفاظ صـ٥، شذرات الذهب ١/ ٣٨.

(٤) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: من هاب الفتيا مخافة السقط ١/ ٩٩ (٢٨٧)، والطبرانى فى الكبير ٩/ ٢١١ (٨٩٢٥) وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٦٧: «إسناده حسن» وأخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ٢٢٤ (٢٤٤).

(٥) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: فى فضل العلم والعالم ١/ ١٠٧ (٣٢٥).

وبيَّن النبى ﷺ قيمة هذه المجالس، وعظيم فضلها فى أحاديث كثيرة، وهاك بعضها:

١٥٥ ـ **عن أبى هريرة** رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«... وما اجتمع قومٌ فى بيتٍ من بيوت الله، يتلُون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلاَّ نزلتْ عليهم السكينةُ، وغَشيتهم الرحمةُ، وحفتْهم الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده»[(١)].

١٥٦ ـ **وعن أبى سعيد الخدرى** وأبى هريرة رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال:

«لا يقعد قومٌ يذكرون الله عز وجل إلا حفَّتْهم الملائكة، وغشيتْهم الرحمةُ، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[(٢)].

١٥٧ ـ **وعن أبى سعيد الخدرى** رضى الله عنه قال:

خرج معاوية على حلقةٍ فى المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إنى لم أستحلفكم تهمةً لكم، وما كان أحدٌ بمنزلتى من رسول الله ﷺ أقلَّ حديثاً عنه منى، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا. قال: «آلله، ما أجلسكم إلا ذاك؟». قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: «أمَا إنى لم أستحلفكم تهمةً لكم، ولكنه أتانى جبريلُ، فأخبرنى أن الله عز وجل يُبَاهى بكم الملائكة»[(٣)].

١٥٨ ـ **وعن أنس بن مالك** رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال:

«ما من قومٍ اجتمعوا يذكرون الله، لا يريدون بذلك إلا وجهه؛ إلا ناداهم منادٍ من

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٤/ ٢٠٧٤ (٣٨/٢٦٩٩)، وأبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: فى ثواب قراءة القرآن ٢/ ٧١ (١٤٥٥)، والترمذى فى كتاب: القراءات باب: ٥/ ١٩٥ ـ ١٩٦ (٢٩٤٥)، وابن ماجه فى المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/ ٨٢ (٢٢٥)، وأحمد ٢/ ٢٥٢، ٤٠٧.

(٢) أخرجه مسلم فى الموضع السابق (٢٧٠٠/ ٣٩)، والترمذى فى كتاب: الدعوات، باب: ما جاء فى القوم يجلسون فيذكرون الله عز وجل، ما لهم من الفضل ٥/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠ (٣٣٧٨)، وابن ماجه فى كتاب: الأدب، باب: فضل الذكر ٢/ ١٢٤٥ (٣٧٩١)، وأحمد ٢/ ٤٤٧، و ٣/ ٣٣، ٤٩، ٩٢، ٩٤.

(٣) أخرجه مسلم فى الموضع السابق (٢٧٠١/ ٤٠)، والترمذى فى الموضع السابق (٣٣٧٩)، والنسائى فى كتاب: القضاة، باب: كيف يستحلف الحاكم ٨/ ٢٤٩.

السماء: أن قوموا مغفوراً لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتكم حسنات»[1].

١٥٩ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ مرَّ بمجلسَيْن فى مسجده، فقال:

«كلاهما على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله، ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم، ويعلِّمون الجاهل، فهم أفضل، وإنما بُعِثْتُ معلِّما».

قال: ثم جلس فيهم[2].

١٦٠ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«يقول الرب عز وجل يوم القيامة: سيعلم أهلُ الجمع مَنْ أهل الكرم» قيل: ومَنْ أهل الكرم يا رسول الله؟

قال: «مجالس الذكر فى المساجد»[3].

١٦١ ـ وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قلتُ: يا رسولَ الله، ما غنيمة مجالس الذكر؟

قال: «غنيمةُ مجالس الذكر: الجنةُ الجنة»[4].

١٦٢ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»

قلت: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: «المساجد».

قلت: وما الرتع؟ قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر»[5].

١٦٣ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٤٢، وأبو يعلى ٧/ ١٦٧ (٤١٤١)، وعزاه الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٧٦ للبزار والطبرانى فى الأوسط أيضا، وقال: «فيه ميمون المرئى، وثقه جماعة، وفيه ضعف، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح» وتشهد له الأحاديث المتقدمة وغيرها من أحاديث الباب.

(٢) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: فى فضل العلم والعالم ١/ ١١١ ـ ١١٢ (٣٤٩)، وابن ماجه فى المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/ ٨٣ (٢٢٩)، والطيالسى صـ٢٩٨ (٢٢٥١)، وفى إسنادهم: عبد الرحمن بن يزيد بن أنعُم الإفريقى، وهو ضعيف

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٦٨، ٧٦، وأبو يعلى ٢/ ٣١٣ (١٠٤٦) و ٥٣٢ (١٤٠٣)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٧٦: «رواه أحمد بإسنادين، أحدهما حسن».

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ١٧٧، ١٩٠، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٧٨: «إسناد أحمد حسن».

(٥) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن غريب ـ فى كتاب: الدعوات، باب: رقم (٨٣) ٥/ ٥٣٢ (٣٥٠٩).

«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا».

قال: وما رياض الجنة؟ قال: «حِلَق الذكر»[1].

بل إن من عظيم فضيلة هذه المجالس: شهودَ الملائكة إياها، وإفضاءَها إلى غفران ذنوب الجالسين فيها، وضمان سعادتهم.

١٦٤ ـ **فعن أبي هريرة** رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن لله ملائكةً يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادَوْا: هلمُّوا إلى حاجتكم قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا.

قال: فيسألهم ربُّهم عز وجل ـ وهو أعلم منهم ـ: ما يقول عبادى؟ قال: تقول: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوْنى؟ قال: فيقولون: لا، والله ما رأوك قال: فيقول: كيف لو رأونى؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادة، وأشدَّ لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحا.

قال: يقول: فما يسألونى؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا، والله يا ربِّ ما رأوْها. قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصًا، وأشدَّ لها طلباً، وأعظمَ فيها رغبة.

قال: يقول: فممَّ يتعوَّذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا، والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً، وأشدَّ لها مخافة.

قال: فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرتُ لهم.

قال: يقول مَلَكٌ من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة.

قال: «هم الجلساء لا يشقى جليسهم».

وفى رواية: «قال: فيقولون: يا رب، فيهم فلانٌ، عبدٌ خَطَّاءٌ، إنما مرَّ فجلس معهم. قال: فيقول: وله غفرتُ، هم القومُ لا يشقى بهم جليسُهم»[2].

---

(١) أخرجه الترمذى وقال: حسن غريب ـ فى الموضع السابق (٣٥١٠)، وأحمد ٣/ ١٥٠ وفى الباب عن جابر بن عبد الله، وعن العلاء بن زياد. انظر: المطالب العالية لابن حجر ٢/ ٢٤١ (٣٣٨٠، ٣٣٨٣).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الدعوات، باب: فضل ذكر الله عز وجل ١١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ (٦٤٠٨)، ومسلم فى كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل مجالس الذكر ٤/ ٢٠٦٩ ـ ٢٠٧٠ (٢٦٨٩/ ٢٥)، والترمذى فى كتاب: الدعوات، باب: ما جاء أن لله ملائكة سياحين فى الأرض ٥/ ٥٧٩ (٣٦٠٠)، =

لهذه الفضائل السابقة وغيرها كان الصحابة رضوان الله عليهم يتنادون ويتحاضون على هذه المجالس الكريمة، فهذا معاذ بن جبل[(١)] رضى الله عنه يقول للأسود بن هلال[(٢)] رحمه الله: «اجلس بنا نؤمنْ ساعة»[(٣)].

وفى رواية: كان معاذ بن جبل يقول للرجل من إخوانه: «اجلس بنا نؤمنْ ساعة» فيجلسان، فيذكران الله تعالى ويحمدانه[(٤)].

وقد سبق حديث عبد الله بن رواحة الذى أثنى عليه النبى ﷺ بقوله: «يرحم الله ابن رواحة؛ إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة عليهم السلام»[(٥)].

= وأحمد ٢/ ٢٥١، ٢٥٢، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٨٢.

(١) هو السيد الإمام أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو الأنصارى، الخزرجى، البدرى، شهد العقبة، وهو شاب صغير دون العشرين، وهو أحد من جمع القرآن فى عهد النبى ﷺ، وكان أعلم الناس بالحلال والحرام، واستعمله النبى ﷺ على اليمن، وكان أحد المفتين فى عهد النبى ﷺ، وتوفى سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة، وهو ابن ثمان وثلاثين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ١٢٠، التاريخ الكبير ٧/ ٣٥٩، الجرح والتعديل ٨/ ٢٤٤، حلية الأولياء ١/ ٢٢١، أسد الغابة ٥/ ١٩٤، تهذيب الكمال ٢٨/ ١٠٥، تاريخ الإسلام ٢/ ٣١٩، سير أعلام النبلاء ١/ ٤٤٣، تذكرة الحفاظ ١/ ١٩، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٦٩، الإصابة ٦/ ١٠٧، طبقات الحفاظ صـ٦، شذرات الذهب ١/ ٢٩.

(٢) هو أبو سلام الأسود بن هلال المحاربى الكوفى، من كبراء التابعين، أدرك أيام الجاهلية. وثقه يحيى بن معين، وأخرج له الشيخان وأبو داود والنسائى. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ١١٩، التاريخ الكبير ١/ ٤٤٩، الجرح والتعديل ١/ ٢٩٢، تهذيب الكمال ٣/ ٢٣١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٧، الإصابة ١/ ٣٤١ (٤٥٩)، تهذيب التهذيب ١/ ٢٩٩.

(٣) أخرجه البخارى معلَّقاً فى أول كتاب: الإيمان ١/ ٤٥.

(٤) ذكرها ابن حجر وعزاها لأحمد وأبى بكر (فتح البارى ١/ ٤٨).

(٥) انظر الحديث رقم (٤٦) فى الباب الأول.

الفصل الثانى

آداب اختيار الجليس

من المعلوم الواضح أن الطباع تُعْدِى، وأن الجليس له تأثيرٌ كبير فى جليسه، وأن انتقال الأخلاق بالمصاحبة والمجالسة أيسر وأسهل وأقل كلفةً من وسائل التأثير والتغيير المختلفة، فإن الطباع سرَّاقة.

١٦٥ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«المرء على دين خليله، فلينظرْ أحدكم من يُخالِلْ»[(١)].

ولذلك حرص الإسلام على توجيه المسلم إلى مجالسة مَن تنفع مجالستُه، وإلى تجنُّب صحبة ومخالطة مَنْ لا خير فى مجالسته، فليس الناس شكلاً واحداً، ولا لوناً واحداً، ولكنهم أنحاءٌ شتى، وطبائع متفاوتة، وأخلاق متباينة، وقد قيل:

يشقى رجالٌ، ويشقى آخرون بهم ... ويُسعِد اللهُ أقواماً بأقوامِ

كما قيل:

الناس شتَّى إذا ما أنت ذقتهم ... لا يستوون كما لا يستوى الشجرُ

هـذا لـه ثمرٌ حـلـوٌ مـذاقته ... وذاك ليـس لـه طـعـم ولا ثمر

وهاك الحديث عن الصنفين:

أولاً: من تنبغى صحبته ومجالسته:

١ ـ أهل الخير والدين والصلاح:

دعا الإسلام إلى صحبة أهل الخير، ومجالسة أهل الصلاح والفضل، الذين تعين مجالستُهم على المواظبة على الطاعات، وتبعث على التنافس فى الخيرات، وتسد على الشيطان أبواب الإغواء والإغراء، وتشغل القلب بخواطر الخير، فيصبح المسلم نافعاً لنفسه ولغيره، وتتزكى فى نفسه فطرة الخير، فيصلح نفسه، ويسهم فى بناء مجتمعه على أكرم الأسس وأفضلها، ماديًّا ومعنويًّا، ويُعمِّق فى نفسه ومجتمعه معانى الجماعية

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس ٤/ ٢٥٩ (٤٨٣٣)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب الزهد، باب: رقم (٤٥) ٤/ ٥٨٩ (٢٣٧٨)، وأحمد ٢/ ٣٠٣، ٣٣٤، وصححه الحاكم ٤/ ١٧١، ووافقه الذهبى. وصححه النووى فى رياض الصالحين (٣٦٧).

التى تحمى الأمة من الانهيار، وتحفظها من التردِّى.

فصحبة أولئك الأخيار ومجالستُهم خيرٌ لا حدَّ له، وفضلٌ على كل حال، وأقلُّ المنافع فى مجالستهم: أن جليسهم لا يقع فى الشر والذنوب، إذا لم يلتمس أسباب الخير والغفران.

١٦٦ ـ **عن أبى موسى الأشعرى** رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«مَثَلُ الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير[١]، فحاملُ المسك إما أن يُحْذيَك[٢]، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»[٣].

١٦٧ ـ **وعن أنس بن مالك** رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَثَلُ الجليس الصالح كحامل المسْك، إن لم يصبْك منه شىءٌ أصابك من ريحه، ومَثَلُ جليس السوء كمثل صاحب الكير، إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه»[٤].

وقال الفُضيل بن عياض رحمه الله: «إذا خالطتَ فخالطْ حَسَنَ الخُلُق، فإنه لا يدعو إلا إلى خير، وصاحبه منه فى راحة، ولا تخالط سىءَ الخلُق، فإنه لا يدعو إلا إلى شر، وصاحبه منه فى عَنَاء»[٥].

وقال عبد الواحد بن زيد[٦] رحمه الله: «جالسوا أهلَ الدين من أهل الدنيا، ولا

---

(١) **الكير**: كيرُ الحداد، وهو المبنى من الطين، وقيل: الزِّقُّ الذى يُنفخ به النار (النهاية ٤/ ٢١٧).

(٢) **يحَذيك**: يعطيك، يقال: أحذيتُه، أُحذيه، إحذاءً، وهى الحُذْيا والحَذِيَّة (النهاية ١/ ٣٥٨) وانظر: الصحاح ٦/ ٢٣١٠).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: البيوع، باب: فى العطار وبيع المسك ٤/ ٣٢٣ (٢١٠١)، وفى كتاب: الذبائح والصيد، باب: المسك ٩/ ٦٦٠ (٥٥٣٤)، ومسلم فى كتاب: السلام، باب: استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ٤/ ٢٠٢٦ (٢٦٢٨/ ١٤٦)، وأحمد ٤/ ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨، والقضاعى فى مسند الشهاب (١٣٨٠)، وابن حبان ٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١ (٥٦١)، و٣٤١ (٥٧٩).

(٤) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس ٤/ ٢٥٩ (٤٨٢٩: ٤٨٣١)، وصححه الحاكم ٤/ ٢٨٨ ووافقه الذهبى. وقال فى سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٨٧ بعد أن رواه بإسناده: «هذا الإسناد صحيح غريب».

(٥) أخرجه ابن حبان فى روضة العقلاء» صـ٦٤.

(٦) هو الشيخ الزاهد القدوة أبو عبيدة عبد الواحد بن زيد البصرى، من أصحاب الحسن البصرى، كان ممن غلبت عليه العبادة حتى غفل عن الإتقان، فكثرت المناكير فى حديثه، وله مواعظ حسنة، وهو معدود فى كبار العُبَّاد. مات بعد الخمسين ومائة. انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير ٦/ ٦٢، المعرفة والتاريخ ٢/ ١٢٢، الجرح والتعديل ٦/ ٢٠، كتاب المجروحين لابن حبان ٢/ ١٥٤، حلية الأولياء ٦/ ١٥٥،=

تجالسوا غيرهم، فإن كنتم لابد فاعلين، فجالسوا أهل المروءات، فإنهم لا يرفثون فى مجالسهم»[1].

وصدق الذى قال:

عليك بإخوان الثقات؛ فإنهم قليلٌ، فَصِلْهُم دون من كنتَ تصحب

ونفسَك أكرِمْها وصُنْها؛ فإنها متـى مـا تجـالس سِفْلَة النـاس تغضب

وكذلك قيل:

اصحبْ خيارَ الناس أين لقيتَهم خيرُ الصحابة من يكون ظريفا

والنـاس مثـلُ دراهـم ميَّزْتَهـا فـرأيت فيـها فضـةً وزيـوفـا

وقد أمر اللهُ عز وجلَّ نبيَّه ﷺ بصحبة أولئك الأخيار، فقال عز وجل: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وأخبر عز وجل عن نبىِّ الله سيدنا موسى أنه قطع رحلةً طويلة ليجالس العبد الصالح، فقال عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ إلى قوله: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا . قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٠، ٦٦].

وحثَّ النبى ﷺ على صحبة هذا الصنف دون غيره:

١٦٨ ـ **فعن أبى سعيد الخدرى** رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«لا تصاحبْ إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقىّ»[2].

ونصح لقمانُ الحكيمُ ابنَه بمجالستهم، فقال له: «يا بنىّ، اختر المجالس على عينيك، وإذا رأيتَ قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإنك إن تكن عالماً ينفعْك علمك،

= تاريخ الإسلام ٦/٢٤٣، سير أعلام النبلاء ٧/١٧٨، ميزان الاعتدال ٢/٦٧٢.

(١) روضة العقلاء صـ١٠٢ ـ ١٠٣، والرفث: كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة. (النهاية ٢/٢٤١).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس ٤/٢٥٩ (٤٨٣٢)، والترمذى فى كتاب الزهد، باب: ما جاء فى صحبة المؤمن ٤/ (٢٣٩٥)، وأحمد ٣/٣٨، والطيالسى صـ٢٩٤ (٢٢١٣)، وصححه ابن حبان ٢/٣١٤ ـ ٣١٥ (٥٥٤، ٥٥٥) و ٣٢٠ (٥٦٠) والحاكم ٤/١٢٨، وقال النووى فى رياض الصالحين: «بإسناد لا بأس به».

وإن تكن جاهلاً يعلّموك، ولعلّ الله أن يطّلع عليهم برحمة فيصيبَك معهم، وإذا رأيتَ قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علماً، وإن تكن جاهلاً زادوك غيًّا - أو عيًّا [١] - ولعل الله أن يطّلع عليهم بعذابٍ فيصيبك معهم»[٢].

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «جالسوا التوّابين؛ فإنهم أرق أفئدة»[٣].

وقال نافع بن جبير بن مطعم لعلى بن الحسين[٤] رحمه الله: إنك تجالس أقواماً دوناً. قال: «آتى من أنتفع بمجالسته فى دينى»[٥].

ذلك أن زين العابدين رحمه الله كان يجلس إلى زيد بن أسلم[٦] مولى عمر بن الخطاب - وقيل: كان يجالس أسلم أبا زيد - فكُلِّم فى ذلك، وقيل له: تدع قريشاً، وتجالس عبد بنى عدى! فيقول: «إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه فى دينه»[٧].

وكان السلف الصالح يحرصون غاية الحرص على طلب الجليس الصالح، ويُلحّون فى الدعاء أن يرزقهم إياه.

١٦٩ - فعن علقمة بن قيس النَّخَعى[٨] رحمه الله قال: «قدمت الشام، فصليت

---

(١) **الغى** - بالغين المعجمة -: الجهل، **والعَىّ** - بالعين المهملة -: خلاف البيان. (مجمل اللغة لابن فارس ٢/ ٦٨٠ و ٦١١.

(٢) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ١/ ١١٧ (٣٧٧) وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٤٣٩ - ٤٤٠ (٦٧٨ - ٦٧٩) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه ابن حبان فى روضة العقلاء صـ٣١.

(٤) هو السيد الإمام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى العلوى المدنى، ولد سنة ثمان وثلاثين، وكان مع أبيه يوم كربلاء وكان موعوكاً فلم يقاتل ولم يتعرضوا له، وتوفى سنة اثنتين وتسعين على الصحيح، رحمه الله. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ٢١١، التاريخ الكبير ٦/ ٢٦٦، المعرفة والتاريخ ١/ ٣٦٠، الجرح والتعديل ٥/ ١٧٨، حلية الأولياء ٣/ ١٣٣، وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٦، تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٨٣، تاريخ الإسلام ٤/ ٣٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٠، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦، البداية والنهاية ٩/ ١٠٣، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٦٨، طبقات الحفاظ صـ٣٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٨.

(٦) هو الإمام الحجة القدوة أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوى العمرى المدنى الفقيه، كان أبوه أسلم مولى عمر بن الخطاب، وكان من العلماء العاملين، وله تفسير، وحديثه أخرجه الجماعة. وتوفى سنة ست وثلاثين ومائة انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير ٣/ ٢٨٧، الجرح والتعديل ٣/ ٥٥٤، حلية الأولياء ٣/ ٢٢١، تهذيب الكمال ١٠/ ١٢، تاريخ الإسلام ٥/ ٢٥١، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٦، تذكرة الحفاظ ١/ ١٣٢، تهذيب التهذيب ٣/ ٣٤١، طبقات الحفاظ صـ٥٣، شذرات الذهب ١/ ١٩٤.

(٧) انظر القصة فى الطبقات الكبرى ٥/ ٢١٦، وحلية الأولياء ٣/ ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٨ و ٥/ ٣١٦.

(٨) هو فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها الإمام الحافظ المجتهد أبو شبلٍ علقمة بن قيس بن عبد الله النَّخَعى الكوفى، عم الأسود بن يزيد وخال إبراهيم النخعى فقيهى الكوفةً، ولد فى عهد النبى ﷺ، وعداده فى المخضرمين، ولازم ابن مسعود، وذاع صيته فى العلم، وكان يفتى والصحابة موجودون، وأخرج =

ركعتين، ثم قلت: اللهم يسِّرْ لى جليساً صالحاً فأتيتُ قوماً، فجلستُ إليهم، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبى، قلت: من هذا؟ قالوا: **أبو الدرداء** فقلت: إنى دعوتُ الله أن ييسِّر لى جليساً صالحاً، فيسَّرك لى. قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة...» فذكر الحديث فى فضيلة عمار وحذيفة وابن مسعود وقراءة سورة الليل(1).

١٧٠ - وعن خيثمة بن عبد الرحمن بن أبى سبرة(2) رحمه الله قال: «أتيتُ المدينة، فسألتُ الله أن ييسِّر لى جليساً صالحاً، فيسَّر لى **أبا هريرة** رضى الله عنه، فجلستُ إليه، فقلت له: إنى سألت الله أن ييسِّر لى جليساً صالحاً، فوُفِّقْتَ لى. فقال: ممن أنت؟ قلت: من الكوفة، جئت ألتمس الخير...» فذكر الحديث فى مناقب سعد أبى وقاص، وابن مسعود وحذيفة وعمار وسلمان رضى الله عنهم(3).

١٧١ - وعن حريث بن قبيصة(4) رحمه الله قال: قدمت المدينة، قال: قلتُ: اللهم يسِّرْ لى جليساً صالحاً، فجلست إلى **أبى هريرة** رضى الله عنه. قال: فقلت: إنى دعوت الله عز وجل أن ييسِّر لى جليساً صالحاً، فحدَّثنى بحديثٍ سمعتَه من رسول الله ﷺ...» الحديث فى أول ما يحاسب العبد عليه الصلاة(5).

= حديثه الجماعة، توفى سنة إحدى أو اثنتين وستين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/٨٦، التاريخ الكبير ٧/٤١، المعرفة والتاريخ ٢/٥٥٢، الجرح والتعديل ٥/٤٠٤، حلية الأولياء ٢/٩٨، تاريخ بغداد ١٢/٢٩٦، تهذيب الكمال ٢٠/٣٠٠، تاريخ الإسلام ٣/٥٠، سير أعلام النبلاء ٤/٥٣، تذكرة الحفاظ ١/٤٥، البداية والنهاية ٨/٢١٧، الإصابة ٥/١٠٥، تهذيب التهذيب ٧/٢٤٤، طبقات الحفاظ صـ١٢، شذرات الذهب ١/٧٠.

(1) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمار وحذيفة ٧/٩٠ - ٩١ (٣٧٤٢، ٣٧٤٣)، وأحمد ٦/٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١.

(2) تابعى جليل ثقة كان أبوه وجده صحابيين، وكان فقيهاً من فقهاء الكوفة، وكان من العلماء العُبَّاد، حدث عن كثيرين من الصحابة، وهو ثقة، أخرج الجماعة أحاديثه. وتوفى بعد سنة ثمانين من الهجرة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/٢٨٦، التاريخ الكبير ٣/٢١٥، الجرح والتعديل ٣/٣٩٣، حلية الأولياء ٤/١١٣، تهذيب الكمال ٨/٣٧٠، تاريخ الإسلام ٣/٢٤٧، سير أعلام النبلاء ٤/٣٢٠، تهذيب التهذيب ٣/١٥٤.

(3) أخرجه الترمذى - وقال: حسن صحيح غريب - فى كتاب: المناقب، باب: مناقب عبد الله بن مسعود ٥/٦٧٤ (٣٨١١).

(4) هو التابعى الجليل حُرَيث بن قَبِيصة، ويقال: قَبِيصة بن حريث، الأنصارى البصرى، ذكره ابن حبان فى الثقات، وقال: مات فى طاعون الجارف سنة سبع وستين، وروى له أصحاب السنن الأربعة. انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير ٧/١٧٦، الجرح والتعديل ٧/١٢٥، الثقات لابن حبان ٥/٣١٩، تهذيب الكمال ٢٣/٤٧٥، تهذيب التهذيب ٨/٣١٠.

(5) أخرجه النسائى فى كتاب: الصلاة، باب: المحاسبة على الصلاة ١/٢٣٢.

وهؤلاء الصالحون لهم علامات يعرفون بها، وأماراتٌ تميزهم عن غيرهم.

وللخير أهل يعرفون بهديهم   إذا اجتمعت عند الخطوب الجوامع

وهذه الصفات والعلامات مذكورة فى آيات كثيرة وأحاديث عديدة منها قوله تعالى **﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾** . . . الآيات إلى آخر سورة الفرقان.

ورأس هذه العلامات: الإخلاص لله، وابتغاء وجهه بكل أعمالهم، بل بكل مشاعرهم، فلا يتلونون لصديق، ولا يتغيرون لجليس، ولا يدعون الوفاء لجليسهم فى السر أو فى العلانية، يعتبرون مجالستهم عبادة يتقربون بها إلى الله، فإذا أحبوا فلله، وإذا أبغضوا فلله، وإذا والَوْا فلله، وإذا عادَوْا فلله، وإذا تجالسوا فلله، وإذا تزاوروا فلله، وإذا تكلموا فلله، وإذا سكتوا فلله، يجتمعون على الحب فى الله، ويتفرقون عليه. ولذلك استوجبوا محبة الله تبارك وتعالى.

١٧٢ ـ **فعن معاذ بن جبل** رضى الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«قال الله تبارك وتعالى: وجبتْ محبتى للمتحابين فىَّ، والمتجالسين فىّ، والمتزاورين فىَّ، والمتباذلين فىَّ»[١].

فإذا رُزقتَ جليساً من هذا الصنف فاشدد يديك به وعض على صحبته بالنواجذ.

٢ ـ أهل العلم والعقل والحجى:

وهم العلماء العقلاء، فالعقل أفضل ما وهب الله لعباده من النعم، ولا يصح للعاقل أن يدنسه بمجالسة الحمقى، بل عليه أن يحفظ هذا العقل وهذه النعمة بمجالسة العلماء العقلاء.

قال أبو حاتم بن حبان[٢]: «وأفضل مواهب الله لعباده العقلُ، ولقد أحسن الذى

---

(١) أخرجه مالك فى كتاب: الشعر، باب: ما جاء فى المتحابين فى الله صـ٩٥٤ (١٦) وقال ابن عبد البر: إسناده صحيح. وأخرجه أحمد ٥/ ٢٢٩، ٢٤٧، والطبرانى ٢/ ٨١ (١٥٢، ١٥٣)، والبغوى فى شرح السنة (٣٤٦٣)، والقضاعى فى مسند الشهاب (١٤٤٩، ١٤٥٠)، وصححه ابن حبان ٢/ ٢٣٥ (٥٧٥)، والحاكم على شرط الشيخين ٤/ ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ووافقه الذهبى.

(٢) هو الإمام الحافظ العلامة، شيخ خراسان أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمى الدارمى البُسْتى، صاحب المصنفات المشهورة. ولد سنة بضع وسبعين ومائتين، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار، وتوفى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. انظر فى ترجمته: الأنساب ١/ ٣٤٨، الكامل ٨/ ٥٦٦، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٢٠، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٩٢، العبر ٢/ ٣٠٠، البداية والنهاية ١١/ ٢٥٩، طبقات الحفاظ صـ٣٧٤، شذرات الذهب ٣/ ١٦.

يقول:

وأفضل قَسْم الله للمرء عقلُه	فليس من الخيرات شيءٌ يقاربُه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقلَه	فقد كملت أخلاقُه ومآربُه
يعيش الفتى فى الناس بالعقل إنه	على العقل يَجرى علمُه وتجاربُه
يزيد الفتى فى الناس جودةُ عقله	وإن كان محظوراً عليه مكاسبُه[1]

وقال أيضا: «أنشدنى على بن محمد البسامى:

إن المكارمَ أبوابٌ مُصنَّفةٌ	العقلُ أولُها والصمت ثانيها
والعلم ثالثها، والحلم رابعُها	والجودُ خامسها، والصدق ساديها
والصبر سابعها، والشكر ثامنها	واللين تاسعها، والصدق عاشيها»[2]

وقال أيضاً: «مجالسة العقلاء لا تخلو من أحد معنين: إمَّا تذكُّر الحالة التى يحتاج العاقلُ إلى الانتباه لها، أو الإفادة بالشىء الخطير الذى يحتاج الجاهل إلىٰ معرفتها»[3].

والمقصود بالعاقل: «الذى يفهمُ الأمورَ على ما هى عليه، إمَّا بنفسه، وإمَّا إذا فُهِّم»[4]. ولقد أوصى لقمانُ الحكيم ولده بمجالسة العلماء، فقال: «يا بنى، جالس العلماء، وزاحِمْهم بركبتيك؛ فإن الله يحيى القلوب بنور الحكمة، كما يحيى الأرض الميتة بوابل السَماء»[5].

١٧٣ ـ **ورواه أبو أمامة الباهلىُّ** مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ لقمان قال لابنه: عليك بمجالس العلماء، واستمع لكلام الحكماء، فإن الله يحيى القلب الميت بنور الحكمة، كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر»[6].

---

(١) روضة العقلاء صـ١٧.

(٢) السابق صـ٢٤.

(٣) السابق صـ٢٥ ـ ٢٦.

(٤) إحياء علوم الدين صـ٩٤٨.

(٥) أخرجه مالك بلاغاً فى كتاب: العلم صـ١٠٠٢ (١)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٤٣٩ (٦٧٦، ٦٧٧) عن مالك، وعن سليمان التيمى، وعن سليمان المحاربى.

(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٨/ ٢٣٦ (٧٨١٠)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١٢٥: «فيه عبيد الله ابن زَحْر وعلى بن يزيد، وكلاهما ضعيف». وأخرجه ابن المبارك فى الزهد صـ٤٨٧ (١٣٨٧).

١٧٤ ـ **وعن أبى جحيفة وهب بن عبد الله السُّوَائى** رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«جالِس العلماء، وسائِل الكبراء، وخالِط الحكماء»[(١)].

ويروى ذلك موقوفاً على أبى جحيفة [(٢)] رضى الله عنه من قوله[(٣)]، وهو أصح.

١٧٥ ـ **وعن ابن عباسٍ** رضى الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله، أى جلسائنا خير؟ قال: «مَنْ ذكَّركم الله رؤيتُه، وزاد فى علمكم منطقُه، وذكَّركم بالآخرة عمله»[(٤)].

وروى مثل ذَلك سفيان بن عيينة[(٥)] عن عيسى بن مريم عليه السلام[(٦)].

وقد كان الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ على جلالة قدره ـ يتخذ من هؤلاء العلماء العقلاء جلساءه وأهلَ مشاورته، دون نظر إلى أسنانهم.

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٢/ ١٢٥ (٣٢٣ ـ ٣٢٤)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١٢٥: «فيه عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعى، وهو منكر الحديث».

(٢) هو الصحابى الجليل أبو جحيفة وهب بن عبد الله السُّوائى، ويقال له: وهب الخير، من صغار الصحابة، ولما توفى النبى ﷺ كان مراهقاً، وكان صاحب شرطة عل بن أبى طالب رضى الله عنه، وأحاديثه فى الكتب الستة وغيرها، وتوفى سنة أربع وسبعين على الصحيح. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ٦٣، الجرح والتعديل ٩/ ٢٢، تاريخ بغداد ١/ ١٩٩، أسد الغابة ٥/ ٤٦٠، تهذيب الكمال ٣١/ ١٣٢، تاريخ الإسلام ٢/ ٢١٨، سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٠٢، الإصابة ٦/ ٤٩٠، تهذيب التهذيب ١١/ ١٤٥، شذرات الذهب ١/ ٨٢.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٢/ ١٣٣ (٣٥٤)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٢٥: «الموقوف صحيح الإسناد»، وأخرجه ابن حبان فى «روضة العقلاء» صـ١٧٦، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٥٠٨ (٨١٤).

(٤) أخرجه أبو يعلى ٤/ ٣٢٦ (٢٤٣٧)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٢٦: «فيه مبارك بن حسان، وقد وُثق، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وعزاه ابن حجر فى «المطالب العالية» ٣/ ٩٣ (٣٢٣٣) إلى عبد بن حميد وأبى يعلى، وقال البوصيرى عن إسناد عبد بن حميد: «رواته ثقات».

(٥) هو الإمام الكبير حافظ العصر أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران، الهلالى الكوفى المكى، ولد سنة سبع ومائة، وطلب الحديث وهو غلام، ولقى الكبار، وانتهى إليه علوُّ الإسناد، وحدث عنه بعض شيوخه، ومن كبار تلاميذه الشافعى وأحمد، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة رحمه الله. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ٤٩٧، التاريخ الكبير ٤/ ٩٤، المعرفة والتاريخ ١/ ١٨٥، الجرح والتعديل ١/ ٣٢، و٤/ ٢٢٥، حلية الأولياء ٧/ ٢٧٠، تاريخ بغداد ٩/ ١٧٤، وفيات الأعيان ٢/ ٣٩١، تهذيب الكمال ١١/ ١٧٧، سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٢، تهذيب التهذيب ٤/ ١٠٤، شذرات الذهب ١/ ٣٥٤.

(٦) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم، ١/ ٥٠٨ (٨١٥)، وعزاه السخاوى فى «المقاصد الحسنة» صـ١٧١ (٢٦٢) والعجلونى فى «كشف الخفاء» ١/ ٣٢٩ (١٠٥٩) إلى العسكرى.

١٧٦ ـ **فعن ابن عباس** رضى الله عنهما قال:

«... وكان القراءُ أصحابَ مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شبانا...» فذكر الحديث فى استئذان الحر بن قيس لعمه عيينة بن حصن فى الدخول على عمر وإغلاظه له فى القول وحلم عمر وعفوه»(١).

وقد أوصى سلف الأمة الصالح بمجالسة هذا الصنف من الناس وحض عليه، فعن عبد الله بن مسعودٍ رضى الله عنه قال: «المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة»(٢).

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: «لولا ثلاث ما أحببت البقاء: ساعةُ ظمإ الهواجر، والسجودُ فى الليل، ومجالسةُ أقوامٍ ينتقون جيد الكلام كما يُنتَقى أطايبَ الثمر»(٣).

وقال طاوس بن كيسان رحمه الله لابنه: «يا بنيَّ صاحب العقلاءَ تنسبْ إليهم، وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم، واعلم أن لكل شىء غاية، وغايةُ المرء: حُسْنُ عقله»(٤).

وقال الشعبى(٥) رحمه الله: «جالسوا العلماء، فإنكم إن أحسنتم حمدوكم، وإن أسأتم تأوَّلوا لكم وعذروكم، وإن أخطأتم لم يعنِّفوكم، وإن جهلتم علموكم وإن شهدوا لكم نفعوكم»(٦).

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: التفسير. سورة الأعراف، باب: خذ العفو وأْمُر بالعرف ٨/ ٣٠٤ (٤٦٤٢)، وفى كتاب: الاعتصام، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ١٣/ ٢٥٠ (٧٢٨٦).

(٢) جزء من كلامه رضى الله عنه، أخرجه الطبرانى فى الكبير ٩/ ١١٠ (٨٥٥٣)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٢٦: «رجاله موثقون»، وأخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ١٣٤، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٩.

(٤) حلية الأولياء ٤/ ١٣، وتهذيب الكمال ١٣/ ٣٦٨.

(٥) هو الإمام علاَّمة العصر، عامر بن شراحيل بن عبد الهمْدانىُّ، الشعبىُّ، قيل: إنه ولد فى خلافة عمر رضى الله عنه، ورأى عليًا وسمع منه ومن كبار الصحابة، وكان عالمًا ثقةً حجةً فقيهاً، غاية فى الذكاء والفطنة، شديد الحملة على الرأى والقائلين به، عظيم التمسك بالأثر، رافضاً للمقاييس. ومات سنة أربع وقيل خمس وقيل ست ومائة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٤٦، التاريخ الكبير ٦/ ٤٥٠، المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٩٢، الجرح والتعديل ٥/ ٣٢٢، حلية الأولياء ٤/ ٣١٠، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٧، وفيات الأعيان ٣/ ١٢، تهذيب الكمال ١٤/ ٢٨، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٤، تهذيب التهذيب ٥/ ٥٧، طبقات الحفاظ صـ٣٢، شذرات الذهب ١/ ١٢٦.

(٦) جامع بيان العلم ١/ ٥٢١ (٨٤٧).

فمتى ظفرت بجليسٍ عاقلٍ لبيبٍ من أهل العلم فاتخذه نديماً، ولا تفرِّط فى صحبته، فهو عدة الدنيا وذخيرة الآخرة.

ثانياً: من تكره مجالسته وينبغى اجتنابه:

١ ـ الفاسقون المستهزئون بآيات الله:

فإن مجالسَ هؤلاء فسادٌ فى العقل والدين، ومجالستُهم إعانةٌ لهم على الفساد والانحراف، وعملهم إهدارٌ لطاقات الخير، وإضرارٌ بمصالح الأمة، وتهديدٌ لسلامها وأمنها الاجتماعى، وتفكيك لبنيانها ووحدتها.

ثم هم ـ وقد عصوا الله تعالى ولم يخافوه ـ لا تُؤمن غوائلهم، ولا يوثق بصداقتهم، فإنهم يتغيرون ويتلونون بتغير الأغراض والمصالح، ولذلك كان القرآن صريحاً غاية الصراحة فى التحذير من مجالستهم، والتنفير من مصاحبتهم، فقال عز وجل: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** ﴾ (النساء ١٤٠)، وقال جل وعلا: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ (الأنعام ٦٨).

قال قتادة رحمه الله فى هذه الآية: «نهى اللهُ ورسولُه ﷺ أن يُجَالَس أهل الاستهزاء بكتاب الله، إلا ريثما ينسى، نيعرض إذا ذكر»[١].

ذلك أن هذا الخوض منهم فى آيات الله، والاستهزاء منهم بدينه وشريعته أمرٌ قد استوجبوا به الخلود فى سقر، كما حكى الله على لسانهم ﴿ **وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**﴾ (المدثر ٤٥). فمن تابعهم وجالسهم على هذا فإنه مثلهم، وهذا شأن المنافقين الذين توعدّهم الله أن يحشروا مع الكافرين فى جهنم جميعاً، ولا يقبل منهم عذرٌ ولا تبرير ﴿**قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ . وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ (التوبة ٦٤ : ٦٦).

وقد سبق الحديث فى مثل الجليس السوء، فهو لا نفع فيه البتة، بل مجالسته شرٌ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٨٠، وانظر تفسير الطبرى ٧/٢٢٨.

على كل حال، ومن يصحب صاحب السوء لا يَسْلَمْ، كما أن من يدخل مداخل السوء يتهم.

ولذلك أوصى عمير بن حبيب بن خماشة[1] رضى الله عنه ولده، فقال: «يا بَنِىَّ، إياكم ومجالسة السفهاء، فإن مجالستهم داءٌ، من يَحْلُم عن السفيه يُسَرَّ بحلمه، ومن يُجبْه يندمْ، ومَنْ لا يُقرَّ بالقليل مما يأتى به السفيه يقرَّ بالكثير...»[2].

وهذا النوع من الجلساء لا وفاء عنده، فهو ينشر سيئات جليسه، ويطوى حسناته، وربما باع جليسه بالتافه الحقير من متاع الدنيا، ثم إن صحبته ومجالسته تهوِّن أمر المعصية على الإنسان، وتبطل نَفْرة القلب عنها، فالوحدة خير من مجالسته.

١٧٧ ـ عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«الوحدة خيرٌ من الجليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، وإملاء الخير خيرٌ من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر»[3].

وهو مروى عن أبى الدرداء رضى الله عنه من قوله بلفظ «لصاحبٌ صالحٌ، خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومُمْلِى الخير خيرٌ من الساكت، والساكت خير من مُمْلى الشر»[4].

وقال جعفر الصادق[5] رحمه الله: «لا تصحب خمسة: الكذابَ؛ فإنك منه على

---

(١) كانت له صحبة، وبايع النبى ﷺ عند احتلامه، وقيل: إنه بايع تحت الشجرة، وهو جد أبى جعفر الخطمى، المحدث، وليست له رواية فى كتب السنة عن النبى ﷺ. انظر فى ترجمته: أسد الغابة ٤/ ٢٨٩، الإصابة ٤/ ٥٩٢ (٦٠٤٤).

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٧/ ٥٠ ـ ٥١ (١٠٨)، وعزاه الهيثمى فى المجمع ٨/ ٦٤ إليه أيضا فى الأوسط، وقال: «رجاله ثقات»، وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٤/ ٢٩٠، وعزاه ابن حجر فى الإصابة ٤/ ٥٩٣ لأبى نعيم.

(٣) أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب ٢/ ٢٣٧ (١٢٦٦)، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤، وقال الذهبى: «لم يصح ولا صححه الحاكم»، وقال ابن حجر فى الفتح ١١/ ٣٣١: «سنده حسن، لكن المحفوظ أنه موقوف عن أبى ذر، أو عن أبى الدرداء».

(٤) أخرجه ابن حبان فى روضة العقلاء صـ١٠١.

(٥) هو الإمام الصادق شيخ بنى هاشم أبو عبد الله، جعفر بن محمد بن على زين العابدين بن سيد شباب أهل الجنة الحسين بن على بن أبى طالب، وأمه: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، وأمها جدته أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق. ولد سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة، وكان من جلة علماء المدينة، وأخرج الجماعة حديثه، إلا البخارى خرج له فى الأدب المفرد، لا فى الصحيح. ومات سنة ثمان وأربعين ومائة. انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير ٢/ ١٩٨، الجرح والتعديل ٢/ ٤٨٧، حلية الأولياء ٣/ ١٩٢، وفيات الأعيان ١/ ٣٢٧، تهذيب الكمال ٥/ ٧٤، تاريخ الإسلام ٦/ ٤٥، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥، ميزان الاعتدال ١/ ٤١٤، تهذيب التهذيب ٢/ ٨٨، شذرات الذهب ١/ ٢٠.

غرور، وهو مثل السراب، يقرب منك البعيد، ويبعد منك القريب، والأحمقَ؛ فإنك لست منه على شيء، يريد أن ينفعك فيضرك، والبخيلَ؛ فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، والجبانَ؛ فإنه يُسلمك ويفر عند الشدة، والفاسقَ؛ فإنه يبيعك بأكلةٍ أو أقل منها».

فقيل له: وما أقل منها؟ قال: «الطمعُ فيها، ثم لا ينالها»(١).

٢ ـ المبتدعة وأصحاب الأهواء:

وهم القدرية وأصحاب البدع فى العقيدة، أو فى العبادات، ويلحق بهم العلمانيون والشيوعيون وأصحاب الفلسفات المادية التى انحرفت عن جادّة الشرع، ونصبت عقولها آلهةً تحتكم إليها من دون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

إن مجالسة هؤلاء فيها خطر سرَاية البدعة وتعدِّى شؤمها إلى من يجالسهم، ولا يأمن المجالس لهؤلاء من الانغماس فى ضلالاتهم، أو التشكُّك فى الحق وتلبيسه بالباطل.

وقد تبرأ الصحابة من المبتدعة، واعتبروهم خطرًا على دين الأمة وعقيدتها.

١٧٨ ـ فعن يحيى بن يَعْمَرَ قال: كان أول من قال فى القدر بالبصرة مَعْبَدٌ الجُهَنىُّ(٢) فانطلقتُ وأنا وحميدُ بن عبد الرحمن الحميرىُّ حاجَّيْن أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر. فوفِّق لنا **عبدُ الله ابن عمر** داخلاً المسجد، فاكتنفتُه أنا وصاحبى، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبى سيكلُ الكلام إلىَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قِبَلَنا ناسٌ يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، ـ وذكر من شأنهم ـ وأنهم يزعمون أن لا قَدر وأن الأمر أُنُف.

فقال: «إذا لقيتَ أولئك فأخبرهم أنى برىءٌ منهم، وأنهم برآءُ منِّى، والذى يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أُحُد ذهباً، فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر» ثم قال: حدثنى عمر بن الخطاب. . . فذكر الحديث الطويل فى الإسلام والإيمان

---

(١) إحياء علوم الدين صـ٩٥٠.

(٢) هو معبد بن عبد الله بن عويمر ـ وقيل: ابن عبد الله ـ بن عُكيم الجهنى، نزيل البصرة، وأول من تكلم فى القدر فى زمن الصحابة، وكان من علماء الوقت على بدعته، وحذَّر التابعون من بدعته، وكان ممن ثار مع ابن الأشعث، وقتله الحجاج قبل سنة ٩٠. انظر فى ترجمته: التاريخ الكبير ٧/٣٩٩، الجرح والتعديل ٧/ ٢٨٠، المجروحين ٣/ ٣٥، تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٤٤، تاريخ الإسلام ٣/ ٣٠٤، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٥، ميزان الاعتدال ٤/ ١٤١، البداية والنهاية ٩/ ٣٤، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٠٣

والإحسان[1].

١٧٩ـ وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم الحديث»[2].

قال محمد بن الحنفية[3] رحمه الله: «لا تجالسْ أصحاب الخصومات؛ فإنهم يخوضون فى آيات الله»[4].

وقال الحسن البصرىُّ ومحمد بن سيرين[5] رحمهما الله: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم»[6].

وقال أبو الجوزاء الرَّبْعى[7] رحمه الله: «لأَنْ أجالس الخنازير أحبُّ إلىَّ من أن

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١/٣٦ـ ٣٨ (٨/١) وأبو داود فى كتاب: السنة، باب: فى القدر ٤/ ٢٣٢ـ ٢٣٣ (٤٦٩٥)، والترمذى فى كتاب: الإيمان، باب: ما جاء فى وصف جبريل للنبى ﷺ الإيمان والإسلام ٥/ ٦ (٢٦١٠)، والنسائى فى كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: نعت الإسلام ٨/ ٩٧ـ ١٠١، وابن ماجه فى المقدمة، باب: فى الإيمان ١/ ٢٤ـ ٢٥ (٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: السنة، باب: فى القدر ٤/ ٢٢٨ (٤٧١٠) و٢٣٠ (٤٧٢٠)، وأحمد ١/ ٣٠، والحاكم ١/ ٨٥ وسكت عليه هو والذهبى.

(٣) هو السيد الإمام أبو القاسم وأبو عبد الله محمد بن الإمام على بن أبى طالب القرشى الهاشمى المدنى، أخو الحسن والحسين، والحنفية أمة كانت من سبى اليمامة زمن أبى بكر الصديق، وهى خولة بنت جعفر الحنفية. ولد فى العام الذى مات فيه أبو بكر، وهو من كبراء التابعين، وزعمت الشيعة أنه المهدى، وأنه لم يمت، وأنه حى فى شعب رضوى، وكان هو ينكر ذلك عليهم فى حياته. ومات سنة ثمانين أو إحدى وثمانين رحمه الله انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ٩١، التاريخ الكبير ١/ ١٨٢، المعرفة والتاريخ ١/ ٥٤٤، الجرح والتعديل ٨/ ٢٦، حلية الأولياء ٣/ ١٧٤، وفيات الأعيان ٤/ ١٦٩، تهذيب الكمال ٢٦/ ١٤٧، تاريخ الإسلام ٣/ ٢٩٤، سير أعلام النبلاء ٤/ ١١٠، تهذيب التهذيب ٩/ ٣١٥، شذرات الذهب ١/ ٨٨.

(٤) أخرجه الدارمى فى المقدمة باب: كراهية أخذ الرأى ١/ ٨٢ (٢١٥) وفى باب: اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة ١/ ١٢١ (٤٠٠).

(٥) هو الإمام شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن سيرين الأنصارى، البصرى، مولى أنس بن مالك، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وسمع من كثير من الصحابة، وكان عالماً بتفسير الرؤيا، وثقة فى الحديث، كثير العبادة والذكر، ومات سنة عشر ومائة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ١٩٣، التاريخ الكبير ١/ ٩٠، المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٤، الجرح والتعديل ٦/ ٢٨٠، حلية الأولياء ٢/ ٢٦٣، تاريخ بغداد ٥/ ٣٣١، وفيات الأعيان ٤/ ١٨١، تاريخ الإسلام ٤/ ١٩٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٣، تهذيب التهذيب ٩/ ١٩٠، شذرات الذهب ١/ ١٣٨.

(٦) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة ١/ ١٢١ (٤٠١)

(٧) هو أوس بن عبد الله الربعى البصرى، التابعى من كبار العلماء، حدَّث عن عائشة وابن عباس وابن عمرو، وكان أحد العُبَّاد الذين قاموا على الحجاج، فقيل: إنه قتل يوم الجماجم، وهو ثقة، أخرج الجماعة حديثه. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢٣، التاريخ الكبير٢/ ١٦، الجرح والتعديل =

أجالس أحداً من أهل الأهواء»[1].

وقال أبو قِلاَبة الجَرْمى[2] رحمه الله: «لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإنى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم، أو يُلْبِسوا عليكم ما كنتم تعرفون»[3].

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: «ليكن مجلسُك مع المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة[4]».

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «من أحبَّ صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه، ولا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله عملٌ، ونظرُ المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب، ونَظَرُ الرجل إلى صاحب بدعةٍ يورث العَمَى، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يُعْطَ الحكمة»[5].

ويلتحق بمن سبق: المنجمِّون والمشعوذون ومدعو العلم بالغيب من الدجالين.

١٨٠ ـ فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال لى النبى ﷺ:

«يا علىُّ، أسبغ الوضوءَ، وإن شقَّ عليك، ولا تأكل الصدقة، ولا تُنْزِ الحمير على الخيل[6]، .ولا تجالس أصحاب النجوم»[7].

= ١/ ٣٠٤، حلية الأولياء ٣/ ٧٨، تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٤٤، تاريخ الإسلام ٣/ ٣١٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧١، تهذيب التهذيب ١/ ٣٣٥، شذرات الذهب ١/ ٩٣.

(١) حلية الأولياء ٣/ ٧٨، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٢. وانظر الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢٤.

(٢) هو الإمام شيخ الإسلام أبو قلابة عبد الله بن زيد بن عمرو الجَرْمى البصرى، من ثقات التابعين، وكان من أئمة الهدى، كثير الحديث، وترك كتبا كثيرة، وابتلى فى أطرافه وبصره وبقى حامداً شاكراً، ومات سنة ست أو سبع ومائة، وحديثه مخرج عند الجماعة انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ١٨٣، التاريخ الكبير ٥/ ٩٢، المعرفة والتاريخ ٢/ ٦٥، الجرح والتعديل ٤/ ٥٧، حلية الأولياء ٢/ ٢٨٢، تهذيب الكمال ١٤/ ٥٤٢، تاريخ الإسلام ٤/ ٢٢١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٦٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٨٨، تهذيب التهذيب ٥/ ١٩٧ طبقات الحفاظ ص٣٦، شذارت الذهب ١/ ١٢٦.

(٣) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة ١/ ١٢٠ (٣٩١)، وابن سعد فى الطبقات ٧/ ٢٨٤، وأبو نعيم فى الحلية ٢/ ٢٨٧، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٢، و١١/ ٢٨٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٩ . (٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٥.

(٦) **لا تُنْز الحمير على الخيل**: أى لا تحملها عليها للنسل، يقال: نزوت على الشىء، أنزو نزواً: إذا وثبت عليه. قال الخطابى: «يشبه أن يكون المعنى فيه ـ والله أعلم ـ: أن الحمر إذا حملت على الخيل قلَّ عددها، وانقطع نماؤها، وتعطلت منافعها، والخيلُ يُحتاج إليها للركوب والركض والطلب والجهاد وإحراز الغنائم، ولحمها مأكولٌ، وغير ذلك من المنافع، وليس للبغل شىء من هذه، فأحب أن يكثر نسلها، ليكثر الانتفاع بها. (النهاية فى غريب الحديث ٥/ ٤٤).

(٧) أخرجه عبد الله بن أحمد فى زياداته فى المسند ١/ ٧٨، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ٢٣٦: «فيه القاسم=

ولا شك أن مجانبة هؤلاء الفاسدين والمبتدعة يحفظ الإنسان من كثير من ألوان الزيغ والانحراف العقدى والفكرى والعملى، ويحمى الأمة من الوقوع فى الفتن المدمرة، التى هلكت بسببها كثير من الأمم السابقة.

قال النووى فى التعليق على حديث الجيش الذى يغزو الكعبة فيخسف بأولهم وآخرهم: «فيه من الفقه: التباعدُ من أهل الظلم والتحذير من مجالستهم ومجالسة البغاة ونحوهم من المبطلين؛ لئلا يناله ما يعاقبون به. وفيه: أن من كثر سواد قومٍ جرى عليه حكمهم فى ظاهر عقوبات الدنيا»[1].

وينبغى التنبُّه إلى أن النهى عن مجالسة الأصناف المذكورة لا يعنى تركهم وشأنهم، أو التخلِّى عن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فذلك واجبٌ شرعىٌّ يأثم المسلمُ بالقعود عنه، وإنما المقصود: النهىُ عن اعتياد مجالستهم ومجاملتهم وممالأتهم على ما هم فيه، خوفاً أو حياءً أو لا مبالاة، وعن الائتناس بهم والميل إليهم، بما يكثر سوادهم، ويُشجِّعهم ويُشَجِّع غيرهم على متابعة مناكرهم، مثلما حدث مع بنى إسرائيل، كما سبق بيانه.

٣ـ الحَمْقَى والجهال:

لاشك أن الحمقى والجهال تكون مجالستهم شراً على كل حالٍ، إلا إذا قصد جليسهم القيام بواجب التوجيه والتعليم لهم، حتى قيل:

عدوُّك ذو العقل أبقى علـ ... ـيك من الجاهل الوامق[2] الأحمقِ
وذو العقل يأتى جميل الأمو ... رِ ويقصد للأرشدِ الأوفقِ

وقيل:

ولَمَنْ يعادى عاقلاً خير له ... من أن يكون له صديق أحمقُ
فارغب بنفسك أن تصادق أحمقاً ... إن الصديق على الصديق مُصَدَّقُ

وقيل:

لا تصحب الجاهـ ... ـل إياك وإياه
فكم من جاهل أردى ... حليماً حين آخاه

= ابن عبد الرحمن، وفيه ضعف».

(١) شرح النووى ١٨/٧.

(٢) **الوامق**: المحب، من وَمِق يَمِق ـ بكسر الميم ـ مِقَةً، أى أحبه (انظر: الصحاح ١٥٦٨/٤).

يقاس المرء بالمر ... ء إذ ما هو ما شاه
وللشيء من الشي ... ء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلـ ... ـب دليل حين يلقاه

ولعل الجاهل الأحمق يورِّط جليسه بمشورته في هلكة لا يقدر عليها عدوه، ثم صاحبه في عَنَاء من صحبته، فإن اعتزله فقد عرض نفسه للشتم والسَّبِّ منه، وإن كان فوق جليسه حقَّره، وإن كان دونه غمزه، ويرى في نفسه أنه أعقل الخلق، حتى ليصعب تفهيمُه حقيقة حاله؛ لأنه يتصور أنه أعقل من رُكِّبت فيه الروح.

وإنَّ عَنَاءً أن تفهِّم جاهـــلاً ... فيحسب جهلاً أنه منك أعلمُ
وتشخص أبصار الرِّعاع تعجُّباً ... إليه، وقالوا: إنه منك أفهـــمُ

وصدق معاوية بن قرة[1] رحمه الله حين قال: «لا تجالسْ بعلمك السفهاء، ولا تجالسْ بسَفَهك العلماء»[2].

وقال وهب بن مُنبِّه: «الأحمق كالثوب الخَلَق، إن رفأته من جانب انخرق من جانب آخر، مثل الفخَّار المكسور، لا يُرَقَّع، ولا يُشْعَب، ولا يُعاد طينا»[3].

أخذ الشاعر هذا المعنى فقال:

احذر الأحمق أن تصحبه ... إنما الأحمقُ كالثوب الخلقْ
كلما رقَّعته من جانبٍ ... حركته الريحُ وَهَناً فانخرقْ
أو كصدع في زجاج فاحش ... هل ترى صدع زجاج يلتصقْ
كحمار السَّوْء إن أقضمتَه ... رَمَحَ الناس، وإن جاع نَهَقْ
وإذا جالسته في مجلسٍ ... أفسدَ المجلسَ منه بالخرقْ
وإذا نهنهته كي يرعوى ... زاد شراً، وتمادى في الحُمُقْ

---

(١) هو الإمام العالم الثبت أبو إياس، معاوية بن قُرة المزني، والد القاضي إياس الذي كان يضرب به المثل في الذكاء، سمع من كثير من الصحابة، وكان ثقة صالحاً، ومات سنة ثلاث عشرة ومائة، وهو ابن ست وسبعين سنة. انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢١، التاريخ الكبير ٧/ ٣٣٠، الجرح والتعديل ٨/ ٣٧٨، تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٠، تاريخ الإسلام ٤/ ٣٠٤، سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٣، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٩٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٤.

(٣) روضة العقلاء ص١٢٢.

فكن - أيها الأخ الحبيب - ممن قال الله عز وجل فيهم ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص ٥٥).

ويرحم الله شيخ المحدثين شعبة بن الحجاج[١]، إذ يقول: «عقولنا قليلة، فإذا جلسنا مع من هو أقل منا عقلاً ذهب ذلك القليل، وإنى لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل عقلاً فأمقته»[٢].

(١) هو الإمام الحافظ أمير المؤمنين فى الحديث أبو بِسْطام شعبة بن الحجاج بن الورد، الأزدى العَتَكى مولاهم الواسطى، عالم أهل البصرة وشيخها، سمع من جماعة من التابعين، فقد ولد سنة ثمانية، وكان شديد الحملة على التدليس والمدلسين، وكان لا يحدث إلا عن ثقة، وتوفى سنة ستين بالبصرة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٨٠، التاريخ الكبير ٤/ ٢٤٤، المعرفة والتاريخ ٢/ ٢٧٣، الجرح والتعديل ١/ ١٢٦، و٤/ ٣٦٩، حلية الأولياء ٧/ ١٤٤، تاريخ بغداد ٩/ ٢٥٥، الكامل فى التاريخ ٦/ ٥٠، وفيات الأعيان ٢/ ٤٦٩، تهذيب الكمال ١٢/ ٤٧٩، تاريخ الإسلام ٦/ ١٩٠، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٢، تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٣، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٧، طبقات الحفاظ ص٨٣، شذرات الذهب ١/ ٢٤٧.

(٢) روضة العقلاء ص٢٤ـ ٢٥.

الفصل الثالث

آداب الجلسة

كما أن السنة قد وضعت أداباً لاختيار مكان الجلسة، وآداباً وسننا لاختيار الجليس والصاحب؛ فإنها كذلك قد رسَّخت مبادىء وآداباً كريمةً خاصةً بالجلسة نفسها، فى هيئتها، وفي مادتها، وفى ابتدائها، وفى اختتامها، وفى وقتها، وفى طريقة الحديث فيها، وفى آداب نقل وقائعها، ونحو ذلك مما يتعلق بالمجالس نفسها.

وهاك أهمّ هذه الآداب فى ضوء السنة المطهَّرة:

(١) إخلاص النية لله : وذلك بأن يقصد المسلم بجلسته وجه الله تعالى، على النحو الذى سبق ذكره فى الباب السابق.

والجلسة لا تخلو أن تكون فى عبادة أو فى مباح:

فإن كانت فى عبادة كجلسة علم، أو إصلاح بين الناس، أو أمرٍ بالمعروف، أو نهى عن المنكر، أو نحو ذلك من الطاعات؛ فإنَّ إخلاص النية فيها واجبٌ شرعى؛ لأن الأعمال بالنيات، وقد قال تعالى **﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً﴾** (النساء ١١٤).

وجاءت السنة بالنهى عن طلب العلم - وهو أحد العبادات - للمباهاة والمماراة والتفاخر والوجاهة، وبالوعيد على ذلك لمن أتى مجالس العلم غير مخلصٍ لله فى نيته.

١٨١ - فعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«مَنْ تعلَّم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلَّمه إلا ليصيب به عَرَضاً من الدنيا، لم يجد عَرْف[1] الجنة يوم القيامة»[2].

(١) **عَرْف الجنة**: بفتح العين المهملة: يعنى ريحها - انظر: رياض الصالحين (١٣٩١) وجامع العلوم والحكم ١/ ٧٨.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٣٨، وأبو داود فى كتاب: العلم، باب: فى طلب العلم لغير الله تعالى ٣/ ٣٢٣ (٣٦٦٤)، وابن ماجه فى المقدمة فى باب: الانتفاع بالعلم والعمل به ١/ ٩٢ - ٩٣ (٢٥٢)، وصححه ابن حبان ١/ ١٤٧ (٧٨)، والحاكم ١/ ٨٥ ووافقه الذهبى وصححّ النووى إسناده فى رياض الصالحين =

١٨٢ ـ وعن كعب بن مالك رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«مَنْ طلب العلمَ ليُجَارِىَ به العلماء، أو يُمَارِىَ به السفهاء، أو يصرفَ به وجوهَ الناس إليه؛ أدخله الله النار»(١).

١٨٣ ـ وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال:

«لا تعلَّموا العلم لتُباهوا به العلماء، ولا لتُماروا به السفهاء، ولا تخيَّروا به المجالسَ، فمن فعل ذلكَ فالنارُ النارُ»(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا تعلَّموا العلم لثلاث: لتماروا به السفهاء، وتجادلوا به العُلماء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقَّولكم ما عند الله؛ فإنه يدوم ويبقى، وينفذ ما سواه»(٣).

وقال إبراهيم النخعى(٤) رحمه الله: «من ابتغى شيئاً من العلم يبتغى به وجه الله عز وجل آتاه الله منه ما يكفيه».

ويلحق بالعلم كل طاعة من الطاعات، فإذا كانت الجلسة فى شىءٍ من ذلك وجب تعاهد النية والإخلاص لله عزّ وجل.

وأما إن كانت الجلسة فى مباحٍ، كزيارة صديق، أو تناول طعام، أو اجتماع على شىء فيه ترويحٌ للنفس، ونحو ذلك، فإن العاقل يحول تلك الجلسة بحسن القصد إلى طاعة، كما سبق فى الباب السابق.

= (١٣٩١).

(١) أخرجه الترمذى ـ وقال: غريب ـ فى كتاب: العلم، باب: ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا ٥/ ٣٢ (٢٦٥٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه فى المقدمة، باب: الانتفاع بالعلم والعمل به ١/ ٩٣ (٢٥٤) وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة: «رجال إسناده ثقات» وصححه ابن حبان ١/ ١٤٧ (٧٧) والحاكم ١/ ٨٦ وقد سبق حديث أبى هريرة فى أول ثلاثة تسعر بهم جهنم، وفيهم رجل تعلم العلم وقرأ القرآن ليقال عالم وقارىء.
وفى الباب: عن ابن عمر وحذيفة عند ابن ماجه (٢٥٣، ٢٥٩) بإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: العمل بالعلم ١/ ٩٢ (٢٥٥)، والفقه والمتفقه ١/ ٨٠.

(٤) هو الإمام الحافظ فقيه العراق أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النَّخَعى الكوفى، أدرك جماعة من الصحابة، ولم يحدث عنهم بشىء، وكان مفتى أهل الكوفة، موصوفاً بالصلاح والفقه، وحديثه عند الجماعة، ومات سنة ست وتسعين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٧٠، التاريخ الكبير ١/ ٣٣٣، المعرفة والتاريخ ٢/ ١٠٠، الجرح والتعديل ٢/ ١٤٤، حلية الأولياء ٤/ ٢١٩ وفيات الأعيان ١/ ٢٥، تهذيب الكمال ٢/ ٢٣٣، تاريخ الإسلام ٣/ ٣٣٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٠، تذكرة الحفاظ ١/ ٦٩، البداية والنهاية ٩/ ١٤٠، تهذيب التهذيب ١/ ١٥٥، طبقات الحفاظ صـ٢٩، شذرات الذهب ١/ ١١١.

فالذى يزور صديقه حبًّا فى الله، لا يبتغى من وراء الزيارة مغنماً ولا مصلحةً؛ يكتب الله ذلك فى ميزان حسناته، ويجعله من أحبته.

١٨٤ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبىِّ ﷺ:

«أن رجلاً زار أخاً له فى قرية أخرى، فأرصد الله له على مَدْرَجته مَلَكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لى فى هذه القرية. قال: هل لك من نعمة تَرُبُّها[(١)] عليه؟ قال: لا، غير أنى أحببتُه فى الله تعالى. قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك، كما أحببتَه فيه»[(٢)].

١٨٥ ـ وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ عاد مريضاً، أوزار أخاً له فى الله، ناداه مُنَادٍ: بأن طبتَ، وطاب ممشاكَ، وتبوَّأْتَ من الجنة منزلا»[(٣)].

(٢) التحلق:

إذا كانت الدائرة هى أكمل الأشكال الهندسية، فإن الحلقة هى أفضل هيئات المجالس وأكملها، وأيسرُها فى التواصل بين الجالسين، وأظهرها فى بيان الوحدة التى تجمعهم، وأسهلها فى إقبال بعضهم على بعض.

ولذلك كان الهدى النبوى الكريم فى هيئة المجلس أن يكون على هيئة الحلقة، أيًّا كان غرض المجلس، فإذا كانوا على طعام أمرهم بالتحلق:

١٨٦ ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه، فى حديثه عن وليمة رسول الله ﷺ حين تزوّج زينب بنت جحش، أن النبى ﷺ قال لأصحابه:

«لِيتحلَّقْ عشرةٌ عشرةٌ، وليأكلْ كلُّ إنسانٍ مما يليه»[(٤)].

---

(١) يقال: **أرصده** لكذا: إذا وكّله بحفظه، والمدرجة، بفتح الميم والراء: تربُّها: تقوم بها، وتسعى فى صلاحها (نفسه) الطريق. (رياض الصالحين: ٣٦١).

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: البر والصلة، باب: فى فضل الحب فى الله ٤/١٩٨٨ (٣٨/٢٥٦٧) وأحمد ٢/٢٩٢، ٤٠٨، ٤٦٢، ٥٠٨، والبخارى فى الأدب المفرد، باب: فضل الزيارة صـ١١١ (٣٥٠)، والبغوى فى شرح السنة (٣٤٦٥)، وابن حبان ٢/٢٣١ ـ ٢٣٢ (٥٧٢) و ٣٣٧ (٥٧٦).

(٣) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن غريب ـ فى كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى زيارة الإخوان ٤/٣٦٥ (٢٠٠٨)، وابن ماجه فى كتاب: الجنائز، باب: ما جاء فى ثواب من عاد مريضاً ١/٤٦٢ (١٤٤٢)، وأحمد ٢/٣٢٦، ٣٤٤، ٣٥٤، وصححه ابن حبان ٧/٢٢٨ (٢٩٦١)، ويشهد له الحديث قبله.

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب: النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب ٢/١٠٥١ (٩٤/١٤٢٨)، والترمذى فى كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأحزاب ٥/٣٥٧ (٣٢١٨)، والنسائى فى كتاب: النكاح، باب: الهدية لمن عرّس ٦/٣٦.

وكذلك كان يفعل فى مجالس العلم:

١٨٧ ـ **فعن أبى سعيد الخدرى** رضى الله عنه قال: «جلستُ فى عصابة من ضعفاء المهاجرين، وإن بعضهم ليستتر ببعضٍ من العُرْى، وقارىءٌ يقرأ علينا، إذ جاء رسول الله ﷺ، فقام علينا، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارىء، فسلَّم، ثم قال: «ما كنتم تصنعون؟» قلنا: يا رسول الله، إنه كان قارىءٌ يقرأ علينا، فكنا نستمع إلى كتاب الله.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «الحمدُ لله الذى جعل مِنْ أمتى مَنْ أمرتُ أن أصبر نفسى معهم».

قال: فجلس رسول الله ﷺ ليعدل بنفسه فينا، ثم قال بيده هكذا. فتحلّقوا، وبرزتْ وجوههم له. . . الحديث[1].

وفى رواية: «فقال رسول الله ﷺ بيده، وحلَّق بها، يومىء إليهم: أن تحلقوا. فاستدارت الحلقة»[2].

وقد كان التحلُّق سمةً من سمات مجالس الصحابة فى كل مجالسهم، وكان النبىُّ ﷺ يأتيهم وهم على هذه الهيئة، فيقرهم عليها.

١٨٨ ـ **فعن عبد الله بن عمرو بن العاص** رضى الله عنهما قال:

«بينما أنا قاعدٌ فى المسجد، وحلقةٌ من فقراء المهاجرين قعودٌ، إذ دخل النبىُّ ﷺ، فقعد إليهم، فقمتُ إليهم. . .» الحديث فى تبشير الفقراء بدخول الجنة قبل الأغنياء[3].

ولا أغادر هذا المقام قبل أن أشير إلى أن هذا التحلق منهىٌّ عنه قبل الصلاة يوم الجمعة.

١٨٩ ـ **فعن عبد الله بن عمرو بن العاص** رضى الله عنهما، أن النبىَّ ﷺ نهى عن التحلُّق يوم الجمعة قبل الصلاة[4].

قال السندى: «قيل: يكره قبل الصلاة الاجتماعُ للعلم والمذاكرة؛ ليشتغل بالصلاة،

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: العلم، باب: فى القصص ٣/ ٣٢٣ (٣٦٦٦).

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٦٣.

(٣) أخرجه الدارمى فى كتاب: الرقاق، باب: فى دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء ٢/ ٤٣٧ (٢٨٤٤)، وصححه ابن حبان ٢/ ٤٥٢ (٦٧٧).

(٤) جزء من حديث أخرجه أبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة ١/ ٢٨٣ (١٠٧٩)، والترمذى ـ وقال: حديث حسن ـ فى كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فى كراهية البيع والشراء وإنشاد الضالة والشعر فى المسجد ٢/ ١٣٩ (٣٢٢) والنسائى فى كتاب: المساجد، باب: النهى عن البيع والشراء فى المسجد وعن التحلق قبل صلاة الجمعة ٢/ ٤٧، وأحمد ٢/ ١٧٩.

وينصت للخطبة والذكر، فإذا فرغ منها كان الاجتماع والتحلق بعد ذلك.

وقيل: النهى عن التحلق؛ إذا عمَّ المسجد، وعليه فهو مكروه، وغير ذلك لا بأس به.

وقيل: نُهِى عنه؛ لأنه يقطع الصفوف، وهم مأمورون بتراصِّ الصفوف»[1].

(٣) الاجتماع وعدم التفرق فى حِلَقٍ كثيرة:

هذا أمر حرص الإسلام عليه فى مواطن كثيرة، حتى تظهر الأمة بمظهر الوحدة فى كل أحوالها، ثم إن الحلقات المتعددة فى المكان الواحد قد تؤدى إلى كثرة اللغط وارتفاع الأصوات، بما يشوش على الجالسين، ويفتح باب النزاع، ويفضى إلى إفساد ذات البين، وذلك منهيٌّ عنه، لا سيما إن كان ذلك فى المسجد.

ومن ثم حضَّ النبيُّ ﷺ على الاجتماع، ونهى عن التفرق فى حلقٍ متعددة:

١٩٠ ـ **فعن جابر بن سَمُرَةَ** رضى الله عنه قال: «. . . ثم خرج علينا (يعنى النبى ﷺ)، فرآنا حلَقاً، فقال: «مالى أراكم عزين؟»»[2].

قال النووى: «أى متفرقين جماعة جماعة، وهو بتخفيف الزاى، جمع «عزَة»[3] معناه: النهى عن التفرق، والأمر بالاجتماع»[4].

قال الأعمش[5] رحمه الله ـ وقد روى هذا الحديث ـ: «كأنه يحب الجماعة»[6].

---

(١) حاشية السندى على النسائى ٢/ ٤٧.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الصلاة، باب: الأمر بالسكون فى الصلاة ١/ ٣٢٢ (٤٣٠/ ١١٩)، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى التحلق ٤/ ٢٥٨ (٤٨٢٣)، وأحمد ٥/ ١٠١، ١٠٧، والذهبى بسنده فى سير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٨.

(٣) وهى الحلقة المجتمعة من الناس، وأصلها «عِزوة» فحذفت الواو، وجمعت جمع السلامة على غير قياس» (النهاية ٣/ ٢٣٣).

(٤) شرح النووى ٤/ ١٥٣.

(٥) هو الإمام شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش الكاهلى الكوفى الحافظ، من التابعين الثقات الأثبات. ولد سنة إحدى وستين، وحديثه عند الجماعة، ومات سنة سبع وأربعين ومائة، وقيل: سنة ثمان. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٤٢، الجرح والتعديل ٤/ ١٤٦، حلية الأولياء ٥/ ٤٦، تاريخ بغداد ٩/ ٣، الكامل فى التاريخ ٥/ ٥٨٩، وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٠، تهذيب الكمال ١٢/ ٧٦، تاريخ الإسلام ٦/ ٧٥، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦، تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٤، تهذيب التهذيب ٤/ ١٩٥، شذرات الذهب ١/ ٢٢٠.

(٦) أبو داود فى الموضع السابق (٤٨٢٤) بإسناد صحيح.

(٤) التفسُّح والتوسعة وعدم إقامة الرجل من مجلسه:

هذا أدبٌ كريم، ومظهر من مظاهر البرِّ بالإخوان والتقدير لهم، يزرع الحب والألفة فى القلوب زرعاً، ولهذا أدَّبَ الله به عباده المؤمنين، فقال تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [المجادلة، ١١].

قال الحسن البصرى فى تفسير هذه الآية: «كانوا يجيئون فيجلسون ركاماً بعضهم خلف بعض، فأمروا أن يتفسحوا فى المجلس، فانفسح بعضهم لبعض»(١).

ودعا النبى ﷺ إلى توسعة المجالس، والتفسح للإخوان:

١٩١ ـ فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«خيرُ المجالس أوسعُها»(٢).

وروى هذا الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه أيضاً(٣).

١٩٢ ـ وعن شيبة بن عثمان العبدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا انتهى أحدُكم إلى المجلس، فإن وُسِّع له فليجلسْ، وإلا فلينظرْ إلى أوسع مكان يَرى فليجلس»(٤).

ولا شك أن التوسعة فى المجلس مجاملةٌ كريمةٌ تصفى الود بين الإخوان.

١٩٣ ـ عن عثمان بن طلحة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«ثلاثٌ يُصْفين لك وُدَّ أخيك: تسلِّم عليه إذا لقيته، وتُوسِعُ له فى المجلس، وتدعوه

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ١٨٤ لابن المنذر.

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب، باب: فى سعة المجلس ٤/ ٢٥٧ (٤٨٢٠)، وأحمد ٣/ ١٨، ٦٩، والبخارى فى الأدب المفرد، باب: خير المجالس أوسعها صـ٣٣١ (١١٣٦) وصححه الحاكم ٤/ ٢٦٩ على شرط البخارى، ووافقه الذهبى. وصححه النووى فى رياض الصالحين (٨٣١) على شرط البخارى.

(٣) أخرجه البزار، انظر: كشف الأستار ٢/ ٤٢٣ (٢٠١٣) وعزاه الهيثمى فى المجمع ٨/ ٥٩ له وللطبرانى فى الأوسط، وقال: «فيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجال البزار ثقات»، وصححه الحاكم ٤/ ٢٦٩ على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وفيه مصعب بن ثابت، وليس من رجال مسلم.

وقد رواه ابن قتيبة فى أدب المجالسة ص٣١ عن عمر بن الخطاب من قوله.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٧/ ٣٠١ (٧١٩٧)، وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٥٩: «إسناده حسن».

بأحب أسمائه إليه»(١).

وهذه التوسعة أفضل من أن يقيم الرجلُ الرجل من مجلسه، ليجلس فيه؛ لما فى ذلك من مجافاة لأدب التواضع من القادم، وهو أمر منهىٌّ عنه شرعًا.

١٩٤ ـ فعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ:

«أنه نهى أن يُقام الرجلُ من مجلسه، ويجلس فيه آخر، ولكن تفسَّحوا وتوسَّعُوا»

قال نافع: وكان ابن عمر يكره أن يقوم الرجلُ للرجل من مجلسه، ثم يجلس مكانه(٢).

١٩٥ ـ وفى رواية عنه رضى الله عنه قال: «نهى النبىُّ ﷺ أن يقيم الرجل أخاه من مقعده، ويجلس فيه».

قيل لنافع: الجمعة؟ قال: الجمعة وغيرها(٣).

١٩٦ ـ وفى رواية عنه رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«لا يقيمُ الرجلُ الرجل من مجلسه، ثم يجلسُ فيه»(٤).

١٩٧ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يقوم الرجلُ للرجل من مجلسه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم...» الحديث(٥).

---

(١) أخرجه الحاكم ٣/ ٤٢٩، والذهبى بسنده فى سير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٠٤، وقال الحاكم: «أبو المطرف محمد بن أبى الوزير (أحد رجال الإسناد) من ثقات البصريين وقدمائهم، لا أعلم أنى علوت له فى حديث غير هذا» وعلق الذهبى بقوله «لكن موسى (وهو ابن عبد الملك بن عمير، أحد رجال الإسناد) ضعّفه ابن أبى حاتم».

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الاستئذان، باب: إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا ١١/ ٦٢ (٦٢٧٠)، ومسلم فى كتاب: السلام، باب: تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذى سبق إليه ٤/ ١٧١٤ (٢١٧٧/ ٣٠)، والدارمى فى كتاب: الاستئذان، باب: لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦ (٢٦٥٣)، وأحمد ٢/ ١٧، ٢٢، ١٠٢، والحميدى ٢/ ٢٩٢ (٦٦٤)، وابن حبان ٢/ ٣٤٧ (٥٨٦).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الجمعة، باب: لا يقيم الرجل أخاه يوم الجمعة ويقعد فى مكانه ٢/ ٣٩٣ (٩١١)، ومسلم فى السابق (٢١٧٧/ ٢٨ ـ ٢٩).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: الاستئذان، باب: لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ١١/ ٦٢ (٦٢٦٩)، ومسلم فى السابق (٢١٧٧/ ٢٧)، والترمذى فى كتاب: الأدب، باب: كراهية أن يقام الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ٥/ ٨٨ (٢٧٤٩، ٢٧٥٠)، وأحمد ٢/ ٤٥، وابن حبان ٢/ ٣٤٩ (٥٨٧).

(٥) أخرجه أحمد ٢/ ٣٣٨، ٤٨٣، ٥٢٣، وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٦٠: «رجاله ثقات».

قال ابن حجر: «قال ابن أبى جمرة[1]: هذا اللفظ عام فى المجالس، ولكنه مخصوص بالمجالس المباحة، إما على العموم، كالمساجد ومجالس الحكام والعلم، وإما على الخصوص، كمن يدعو قوماً بأعيانهم إلى منزله لوليمة ونحوها.

وأما المجالس التى ليس للشخص فيها ملك، ولا إذن له فيها، فإنه يُقام ويُخرج منها.

ثم هو فى المجالس العامة، وليس عامًّا فى الناس، بل هو خاصٌ بغير المجانين ومن يحصل منه الأذى، كآكل الثوم النيِّء إذا دخل المسجد، والسفيه إذا دخل مجلس العلم أو الحكم.

قال: والحكمة فى هذا النهى منعُ استنقاص حق المسلم المقتضى للضغائن، والحثُّ على التواضع المقتضى للموادة، وأيضاً فالناس فى المباح كلهم سواء، فمن سبق إلى شىء استحقه، ومن استحق شيئًا فأُخذ منه بغير حق فهو غصب، والغصب حرام.

فعلى هذا، قد يكون بعض ذلك على سبيل الكراهة، وبعضه على سبيل التحريم.

قال: فأما قوله «تفسَّحوا وتوسَّعوا» فمعن الأول: أن يتوسعوا فيما بينهم، ومعنى الثانى: أن ينضم بعضهم إلى بعض، حتى يفضل من الجمع مجلسٌ للداخل. انتهى ملخصًا»[2].

ومثلما كان ابن عمر يمتنع من الجلوس إذا قام له أحدٌ؛ كان غيره من الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون.

١٩٨ ـ فعن عبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى رحمه الله قال: أُخبر **أبو سعيد الخدرى** رضى الله عنه بجنازة، فعاد تخلَّف، حتى إذا أخذ الناس مجالسهم، ثم جاء، فلما رآه القوم تشذبوا[3] عنه، فقام بعضهم، ليجلس فى مجلسه، فقال: لا، إنى سمعت النبى ﷺ يقول: «**خيرُ المجالس أوسعُها**».

---

(١) هو الشيخ الإمام المعمرً، مسند المغرب، أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك، المعروف بابن أبى جمرة الأموى الأندلسى. عُنِى بالرأى وحفظه، وتقلّد قضاء «مرسية» و «شاطبة» مرات، وكان بصيراً بمذهب مالك، عاكفاً على نشره، حسن البيان، عدلاً، عريقاً فى النباهة والوجاهة، وألف كتبا عدة، ومات فى المحرم سنة تسع وتسعين وخمسمائة عن نيف وثمانين سنة، انظر فى ترجمته: التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ٢/ ٥٦١، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٩٨، العبر فى خبر من غبر ٤/ ٣٠٩، شذرات الذهب ٤/ ٣٤٢.

(٢) فتح البارى ١١/ ٦٣.

(٣) **تشذبوا**: تفرقوا؛ ليوسعوا له.

ثم تَنَحَّى، وجلس فى مجلسٍ واسع[1].

١٩٩ ـ وعن سعيد بن أبى الحسن رحمه الله قال: جاءنا **أبو بكرة** رضى الله عنه فى شهادة، فقام له رجلٌ من مجلسه، فأبى أن يجلس فيه وقال:

«إن النبىَّ ﷺ نهى عن ذا...» الحديث[2].

ولا أغادر هذا الأدب قبل أن أشير إلى أنه من سوء الأدب: أن يُوَسَّع لرجلٍ فى المجلس، فيقعد متربِّعاً متسعاً مضيِّقًا على الجالس، ممتنعًا من التوسيع للقادم، فعن بعض الحكماء قال:

«رجلان ظالمان يأخذان غير حقهما: رجلٌ وُسِّع له فى مجلسٍ ضيقٍ فتربَّع وتفتَّح، ورجلُ أهديت له نصيحةٌ فجعلها ذنبا»[3].

ويرحم الله الأحنف بن قيس[4] «الذى كان إذا أتاه إنسانٌ وَسَّع له، فإن لم يجد موضعاً تحرَّك؛ ليُريَه أنه يُوَسِّع له»[5].

(٥) مراعاة الوقت المناسب لكل جلسة:

من الآداب المهمة أن يراعى الإنسان الوقت المناسب والظرف المناسب لكل جلسة، بحسب الغرض الباعث على الجلوس.

فجلسةُ العلم غير جلسة الذكر، وكلاهما غير جلسة الترويح، وغير جلسة المسامرة، أو قضاء المصالح، ولابد أن يكون لكل منها الوقتُ المناسبُ الذى لا يعطِّل عن فريضة، ولا يشغل عن مقصودٍ أهم، ولا يفضى إلى حصول ما لا يُحمد، ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٨، والبخارى فى الأدب المفرد صـ٣٣١ (١١٣٦).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى الرجل يقوم للرجل من مجلسه ٤/ ٢٥٨ (٤٨٢٧)، وأحمد ٥/ ٤٤، ٤٨.

(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر ١/ ٤٧.

(٤) هو الأمير الكبير والعالم النبيل أبو بحر الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل، كان سيد تميم، أسلم فى حياة النبى ﷺ، واستغفر له النبى ﷺ، ووفد على عمر، وكان ثقة مأموناً قليل الحديث، وأخرج الجماعة أحاديثه. ومات سنة سبع وستين، وقيل: إحدى وسبعين انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٩٣، التاريخ الكبير ٢/ ٥٠، الجرح والتعديل ٣/ ٣٢٢، أسد الغابة ١/ ٦٨، وفيات الأعيان ٢/ ٤٩٩، تهذيب الكمال ٢/ ٢٨٢، تاريخ الإسلام ٣/ ١٢٩، سير أعلام النبلاء ٤/ ٨٦، الإصابة ١/ ٣٣١، تهذيب التهذيب ١/ ١٦٧، شذرات الذهب ١/ ٧٨.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٣٠٦، وبهجة المجالس ١/ ٤٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٩٤.

فجلسة السمر والترويح مثلاً تُكْرَه بعد صلاة العشاء.

٢٠٠ ـ فعن أبى بَرْزَة الأسلمى رضى الله عنه قال:

«... وكان (يعنى رسول الله ﷺ) يستحب أن يؤخِّر العِشاء. قال: وكان يكره النوم قبلها، والحديث بعدها»(١).

٢٠١ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

«ما نام رسولُ الله ﷺ قبل العشاء، ولا سَمَر بعدها»(٢).

٢٠٢ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال:

«جَدَب لنا رسولُ الله ﷺ السَّمَر بعد العشاء» يعنى زجرنا(٣).

٢٠٣ ـ وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إياكم والسمرَ بعد هدأة الليل؛ فإنكم لا تدرون ما يأتى اللهُ من خلقه»(٤).

قال ابن حجر: «لأن النومَ قبلها قد يؤدى إلى إخراجها عن وقتها مطلقاً، أو عن الوقت المختار، والسمرَ بعدها قد يؤدى إلى النوم عن الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يضربُ الناسَ على ذلك ويقول «أسَمَراً أول الليل، ونوماً آخره؟!».

وإذا تقرر أن علّة النهى ذلك، فقد يُفرق بين الليالى الطِّوال والقِصار.

ويمكن أن تحصل الكراهة على الإطلاق؛ حسماً للمادة؛ لأن الشىء إذا شُرِع لكونه مَظِنَّةً، قد يستمر فيصير مَئِنةً، والله أعلم»(٥).

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: مواقيت الصلاة، باب ما يكره من السحر بعد العشاء ٢/ ٧٣ (٥٩٩)، وأبو داود فى كتاب الأدب: باب: النهى عن السمر بعد العشاء ٤/ ٢٦٣ (٤٨٤٩)، والترمذى فى كتاب: مواقيت الصلاة، باب: ما جاء فى كراهية النوم قبل العشاء والسمر بعدها ١/ ٣١٣ (١٦٨)، وابن ماجه فى كتاب: الصلاة، باب: النهى عن النوم قبل صلاة العشاء وعن الحديث بعدها ١/ ٢٢٩ (٧٠١).

(٢) أخرجه ابن ماجة فى الموضع السابق (٧٠٢) والطيالسى صـ٢٠١ (١٤١٤) وقال البوصيرى فى مصْباح الزجاجة ١/ ٢١٦: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».

(٣) أخرجه ابن ماجه فى الموضع السابق (٧٠٣) وقال البوصيرى ١/ ٢١٧: «هذا إسناد رجاله ثقات، ولا أعلم له علة، إلا أن عطاء بن السائب اختلط بآخرة، ومحمد بن فضيل ممن روى عنه بعد الاختلاط». قلت: يشهد له ما قبله.

(٤) أخرجه الحاكم ٤/ ٢٨٤ وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى.

(٥) فتح البارى ٢/ ٧٣.

لكن إن كان السَّمَر بعد العشاء فى مصلحة أو علم أو فقه أو نحو ذلك من المصالح؛ فهو غير مكروه، وفى ذلك يقول أبو عيسى الترمذى رحمه الله عقب الحديث رقم ٢٧٩:

«وقد اختلف أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ والتابعين ومن بعدهم فى السمر بعد صلاة العشاء الآخرة، فكره قومٌ منهم السمر بعد صلاة العشاء، ورخَّص بعضهم إذا كان فى معنى العلم، وما لابد منه من الحوائج؛ وأكثر الحديث على الرخصة»[1].

وهذا الرأى الأخير اختاره الإمامُ البخاريُّ رحمه الله، فأورد فى صحيحه أبواب: «السمر فى العلم»[2]، و«السمر فى الفقه والخير بعد العشاء»، و «السمر مع الضيف والأهل»[3].

٢٠٤ ـ وفى ذلك روى **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه قال:

«كان رسولُ الله ﷺ يَسْمُرُ مع أبى بكرٍ فى الأمر من أمر المسلمين، وأنا معهما»[4].

أما جلسة العلم: فينبغى أن يتخير لها الوقت الذى تتهيأ فيه الأذهان للتلقى والتعلم، حتى لا يملَّ المتعلم، ويسهلَ عليه الحفظ، ولا يصعَب عليه الفهم.

٢٠٥ ـ فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال:

«كان النبىُّ ﷺ يتخولنا[5] بالموعظة فى الأيام؛ كراهيةَ السآمة علينا»[6].

٢٠٦ ـ وفى رواية عن **أبى وائل شقيق بن سلمة** رحمه الله قال:

«كان عبد الله **(يعنى ابنَ مسعود)** يذكِّر الناسَ فى كلِّ خميس، فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن، لوَدِدْتُ أنك ذكَّرْتنا كلَّ يوم. قال: أَمَا إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أُملَّكم، وإنى أتخولَكم بالموعظة كما كان النبىُّ ﷺ يتخولنا بها؛ مخافة السآمة

---

(١) سنن الترمذى ١/٣١٨.

(٢) الباب رقم (٤١) من كتاب العلم ١/٢١١.

(٣) الباب رقم (٤٠) و(٤١) من كتاب: مواقيت الصلاة ٢/٧٣: ٧٥.

(٤) أخرجه الترمذى ـ وقال: حديث حسن ـ فى كتاب: مواقيت الصلاة، باب: الرخصة فى السمر بعد العشاء ١/٣١٥ (١٦٩)، وأحمد ١/٢٦، ٣٤.

(٥) **يتخولنا**: يتعهدنا. قال ابن حجر: «والمعنى: كان يراعى الأوقات فى تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم؛ لئلا نملّ». (فتح البارى ١/١٦٢).

(٦) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: ما كان النبى ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كى لا ينفروا ١/١٦٢ (٦٨).

علينا»[1].

٢٠٧ ـ وفى رواية **عن أبى وائل** رحمه الله قال:

«كنا ننتظر عبد الله، إذ جاء يزيد بن معاوية[2]، قلتُ: ألا تجلس؟ قال: لا، ولكن أدخل، فأُخرجُ إليكم صاحبكم، وإلا جئتُ أنا.

فجلستُ، فخرج **عبدُ الله** وهو آخذٌ بيده، فقام علينا، فقال: أما إنى أُخْبَرَ بمكانكم، ولكنه يمنعنى من الخروج إليكم أن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة فى الأيام؛ كراهيةَ السآمة علينا»[3].

وجلسة الذكر، وإن كانت فاضلةً فى كل وقت؛ فإن أفضل أوقاتها عقيب الصلوات، وبخاصة عقب صلاتى الفجر حتى تطلع الشمس، والعصر حتى تغرب الشمس.

فالجلوس فى المساجد بعد الصلوات يكفِّر الذنوب، ويستتبع استغفار الملائكة، وهو أفضل من عتق الرقاب، وهو مضاعف الأجر.

٢٠٨ ـ فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه فى حديث قدسى طويل، قال ﷺ: «قال (يعنى الحق سبحانه): فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: فى الكفارات، قال: ما هن؟ قلت: مشى الأقدام إلى الحسنات، والجلوس فى المساجد بعد الصلوات...»[4] الحديث.

٢٠٩ ـوعن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاَّه الذى صلّى فيه، ما لم يُحْدِث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»[5].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ١/ ١٦٣ (٧٠)، ومسلم فى كتاب: صفات المنافقين، باب: الاقتصاد فى الموعظة ٤/ ٢١٧٣ (٢٨٢١/ ٨٣).

(٢) هو يزيد بن معاوية النَّخَعى، كوفى تابعى عابد، من طبقة الربيع بن خثيم، قتل غازياً بفارس. قال ابن حجر: وليس له فى الصحيحين ذكر إلا فى هذا الموضع، ولا أحفظ له رواية.
الثقات للعجلى صـ ٤٨١ (١٨٥٧)، التاريخ الكبير ٨/ ٣٥٥)، فتح البارى ١١/ ٣٢٨.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الدعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة ١١/ ٣٢٨ (٦٤١١)، ومسلم فى كتاب: صفات المنافقين، باب: الاقتصاد فى الموعظة ٤/ ٢١٧٢ (٢٨٢١/ ٨٢).

(٤) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: التفسير، باب: ومن سورة ﴿ص﴾ ٥/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ (٣٢٣٥)، وأحمد ٥/ ٢٤٣، ٣٧٨.

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الصلاة، باب: الحديث فى المسجد ١/ ٥٣٨ (٤٤٥)، وباب: الصلاة فى مسجد السوق ١/ ٥٦٤ (٤٧٧)، وأحمد ٢/ ٤٢٢.

٢١٠ ـ وعن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه «أن النبىَّ ﷺ كان إذا صلى الفجر جلس فى مُصَلاَّه، حتى تطلع الشمس حسناء»[(١)].

٢١١ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لأنْ أقعد مع قوم يذكرون اللهَ تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمسُ أحبُّ إلىَّ من أن أعتق أربعةً من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحبُّ إلىَّ من أن أعتق رقبة»[(٢)].

٢١٢ ـ وعنه رضى الله عنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ صَلَّى الغداةَ فى جماعة، ثم قعد يذكر الله حى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين؛ كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة»[(٣)].

٢١٣ ـ وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ صَلَّى صلاة الغداة فى جماعة، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم قام فركع ركعتين؛ انقلب بأجر حجة وعمرةٍ»[(٤)].

من هذه النصوص يتبين أن مجلس الذكر يكون أفضل عقب صلاة الصبح وعقب صلاة العصر، والله أعلم.

(٦) السلام عند دخول المجلس وعند الخروج منه:

السلام شعارٌ إسلامىٌّ، وأدبٌ كريم، أدّب الله به عباده المؤمنين، وأمر الله ورسوله بإفشائه فيما بين المسلمين؛ ليكون باعثاً على التحابِّ والائتلاف.

وقد أمر به النبىُّ ﷺ فى أحوالٍ كثيرة، منها: عند المرور على مجلسٍ من مجالس المسلمين، وعند إرادة القعود مع الجالسين فيه، وعند الاستئذان والانصراف عنهم.

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: المساجد، باب: فضل الجلوس فى مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ١/ ٤٦٤ (٦٧٠/ ٢٨٧)، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى الرجل يجلس متربعا ٤/ ٢٦٣ (٤٨٥٠) والترمذى فى كتاب: الجمعة، باب: ذكر ما يستحب من الجلوس فى المسجد بعد صلاة الصبح حتي تطلع الشمس ٢/ ٤٨٠ (٥٨٥)، والنسائى فى كتاب السهو، باب: قعود الإمام فى مصلاه بعد التسليم ٣/ ٨٠، وأحمد ٥/ ٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: العلم، باب فى القصص ٣/ ٣٢٤ (٣٦٦٧).

(٣) أخرجه الترمذى وقال: حسن غريب ـ فى كتاب: الجمعة، باب: ما يستحب من الجلوس فى المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ٢/ ٤٨١ (٥٨٦).

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٨/ ٢٠٩ (٧٧٤١)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ١٠٤: «إسناده جيد».

٢١٤ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«إذا انتهى أحدُكم إلى المجلس فلْيُسَلِّمْ، فإذا أراد أن يقوم فلْيسلِّم، فليست الأولى بأحقَّ من الآخرة»(١).

٢١٥ ـ وعنه رضى الله عنه، أن رجلاً مرَّ على رسول الله ﷺ وهو فى مجلس، فقال: السلامُ عليكم. فقال: «عشر حسنات». ثم مرَّ رجلٌ آخر، فقال: سلامٌ عليكم ورحمة الله قال: «عشرون حسنة». فمرّ رجلٌ، فقال: سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال: «ثلاثون حسنة».

فقامٌ رجلٌ من المجلس، ولم يسلِّم فقال النبى ﷺ: **«ما أوشك ما نسى صاحبُكم! إذا جاء أحدُكم إلى المجلس فلْيسلِّم، فإن بَدَا له أن يجلس فلْيجلسْ، فإن قام فلْيُسلِّم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»**(٢).

٢١٦ ـ وعن معاذ بن أنس الجهنى رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«حقٌّ على من قام على مجلسٍ أن يسلِّم عليهم، وحقٌّ على من قام من مجلسٍ أن يسلِّم».

فقام رجل، ورسول الله ﷺ يتكلم، فلم يسلم، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أسرع ما نسى!»**(٣).

وعن معاوية بن قُرَّة بن إياس المزنى، عن أبيه رضى الله عنه قال: «يا بنيَّ إذا كنت فى مجلسٍ ترجو خيره، فعجلت بك حاجة، فقلت: السلام عليكم؛ فإنك شريكُهم فيما يصيبون فى ذلك المجلس»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى السلام إذا قام من المجلس ٤/ ٣٥٣ (٥٢٠٨)، والترمذى ـ وقال: حديث حسن ـ فى كتاب: الاستئذان، باب: ما جاء فى التسليم عند القيام وعند القعود ٥/ ٦٢ ـ ٦٣ (٢٧٠٦) والبخارى فى الأدب المفرد صـ٢٩٧ (١٠٠٧)، وأحمد ٢/ ٢٣٠، ٢٨٧، ٤٣٩، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ١٣٩، وصححه ابن حبان ٢/ ٢٤٧: ٢٤٩ (٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦).

(٢) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد»، باب: فضل السلام صـ٢٩٢ (٩٨٦)، والنسائى فى عمل اليوم والليلة» (٣٦٨) وصححه ابن حبان ٢/ ٢٤٦ (٤٩٣)،- وأخرج آخره: ابن السنى فى عمل اليوم والليلة صـ٢١٤ (٤٥٠)، والبخارى فى الأدب المفرد صـ٢٩٧، ٢٩٨ (١٠٠٨).

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٤٣٨، والطبرانى فى الكبير ٢٠/ ١٨٧ (٤٠٨، ٤٠٩)، وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٣٥: «فيه ابن لهيعة، وزَبَّان بن فائد، وقد ضُعِّفا، وحسن حديثهما».
قلت: يشهد له حديث أبى هريرة السابق.

(٤) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد صـ٢٩٨ (١٠٠٩)، والطبرانى فى الكبير ١٩/ ٢٥ ـ ٢٦ (٥٢)، وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٣٥: «رجاله رجال الصحيح، غير بسطام بن مسلم، وهو ثقة». =

(٧) خلع النعال قبل الجلوس:

من الآداب التى حضَّ عليها النبى ﷺ عند إرادة الجلوس فى المجالس: خلعُ النعال، لما فى ذلك من التواضع، واحترام الجالسين، وتوقير الحاضرين، وراحة القدم، ويتأكد هذا الأدب إذا كان المجلس فى المسجد ونحوه من الأماكن المحترمة.

٢١٧ ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

«من السنة إذا جلس الرجل أن يخلع نعليه، فيضعهما بجنبه»[١].

٢١٨ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إذا جلستم فاخلعوا نعالكم**» أحسبه قال: «تَسْتَرِحْ أقدامكم»[٢].

فإن كان الاجتماع على مجلس طعامٍ فهو أوكد، وأروح للقدم.

٢١٩ ـ فعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إذا قُرِّب إلى أحدكم طعامُه، وفى رجله نعلان، فَلْيَنْزِع نعليه؛ فإنه أروح للقدمين**»[٣].

لكن إن كان المجلس فى مكان عامٍ كقاعات الدروس فى المعاهد والكليات، أو قاعات المطاعم العامة، أو نحوها، وكان الجلوس على مقاعد، لا على الأرض، فلا بأس بعدم خلع النعال، ما لم يكن بها أذى، والله أعلم.

(٨) عدم التفرقة بين الجالسيْن إلا بإذنهما:

إذا أتى المسلمُ مجلساً من المجالس، فأحب الجلوس، فينبغى أن لا يؤذى أهل

= وأخرجه الطبرانى مرفوعا برقم (٦١) وقال الهيثمى ٨/ ٣٥: «فيه من لم أعرفه».

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: اللباس، باب: فى الانتعال ٤/ ٧٠ (٤١٣٨)، والبخارى فى الأدب المفرد صـ٣٤٧ (١١٩٠).

(٢) أخرجه البزار. انظر: كشف الأستار ٣/ ٣٦٧ (٢٩٦٠)، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ١٤٠: «فيه موسى ابن محمد بن إبراهيم التيمى، وهو ضعيف.».

(٣) أخرجه البزار، انظر: كشف الأستار ٣/ ٣٣٠ (٢٨٦٧)، وأبو يعلى ٧/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ (٤١٨٨)، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٢٣: «رواه البزار، وأبو يعلى، والطبرانى فى الأوسط، ولفظه: «إذا أكلتم الطعام فاخلعوا نعالكم؛ فإنه أروح لأقدامكم» ورجال الطبرانى ثقات، إلا أن عقبة بن خالد السكونى لم أجد له من محمد بن الحارث سماعاً».

وأخرجه الدارمى فى كتاب: الأطعمة، باب: فى خلع النعال عند الأكل ٢/ ١٤٨ (٢٠٨٠)، وصححه الحاكم ٤/ ١١٩ وتعقبه الذهبى.

المجلس، بتخطِّى رقابهم، أو التفرقةِ فيما بينهم؛ لما فى ذلك من الكِبْر والإيذاء، وقد نهى النبىُّ ﷺ عن ذلك.

٢٢٠ ـ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«لا يُجْلَسُ بين رجلَيْن إلا بإذنهما»(١).

٢٢١ ـ وفى رواية قال: **«لا يحلُّ لرجلٍ أن يفرِّق بين اثنين إلا بإذنهما»**(٢).

٢٢٢ ـ وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«لا يجلس الرجلُ بين الرجل وابنه فى المجلس»(٣).

٢٢٣ ـ وعن أبان بن عثمان بن عفان رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ:

«من فرّق بين اثنين فى مجلس تكبُّراً فليتبوَّأ مقعده من النار»(٤).

ومن ذلك عدم التفريق بين الجالسين يوم الجمعة، فهو من أسباب المغفرة.

٢٢٤ ـ فعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يغتسلُ رجلٌ يوم الجمعة، ويتطهَّر ما استطاع من طُهْر، ويدَّهنُ من دهنه أو يمسُّ من طيب بيته، ثم يخرجُ فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلى ما كتُب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمامُ؛ إلا غُفِر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»(٥).

فعلى المسلم ألا يفعل ذلك؛ لما فيه من قلة المراعاة لشعور الناس، ولما قد يحدثه من قطع حديث بين اثنين، أو استماع لحديث بينهما يكرهان أن يسمعه غيرهما، ولما فى هذا العمل من ثقلٍ يتنافى مع عقل المسلم وكمال خُلُقه، وربما جرَّ ذلك إلى الكراهية

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى الرجل يجلس بين الرجلين بغير إذنهما ٤/ ٢٦٢ (٤٨٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود فى السابق (٤٨٤٥)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: الأدب، باب: ما جاء فى كراهية الجلوس بين الرجلين بغير إذنهما ٥/ ٨٩ (٢٧٥٢)، وأحمد ٢/ ٢١٣، والبخارى فى الأدب المفرد صـ٣٣٢ (١١٤٢).

(٣) عزاه الهيثمى فى المجمع ٨/ ٦١ للطبرانى فى الأوسط، وقال: «فيه من لم أعرفه».

(٤) هذا مرسل، أخرجه عبد الرزاق فى كتاب الجامع فى آخر المصنف ١١/ ٢٣ (١٩٧٩٤).

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب: الجمعة، باب: الدهن للجمعة ٢/ ٣٧٠ (٨٨٣)، وباب: لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة ٢/ ٣٩٢ (٩١٠)، والدارمى فى كتاب: الصلاة، باب: فى فضل الجمعة والغسل والطيب فيها ١/ ٤٣٥ (١٥٤١)، والطيالسى صـ٩١ (٦٥٩.

والملاحاة والمعاداة لكن إن استأذنهما فأذنا طابت بذلك نفوسهما، ورضيت قلوبهما، وحلَّ له أن يجلس مرغوباً فيه محبًّا.

(٩) الجلوس حيث ينتهى به المجلس:

إذا أتى المسلم المجلسَ، فوجد فرجةً فليجلس، وإلا جلس حيث ينتهى به المجلس، حتى لا يؤذى الجالسين، ولا يشوش عليهم، ولا يلفت أنظارهم إليه.

٢٢٥ ـ عن جابر بن سَمُرَة رضى الله عنهما قال:

«كُنَّا إذا أتينا النبىَّ ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهى به المجلس»[١].

٢٢٦ ـ وعن أبى واقد الحارث بن مالك الليثى رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ بينما هو جالسٌ فى المسجد والناسُ معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد.

قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجةً فى الحلقة، فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا.

فلما فرغ النبىُّ ﷺ قال: : **«ألاَ أخبركم عن النفَر الثلاثةَ؟ أما أحدهم فآوى إلى الله، فآواه، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه»**[٢].

وقد سبق شىء من ذلك فى الأدب الرابع «التفسح والتوسعة».

(١٠) ترك القيام للقادم أو بين يديه على سبيل التعظيم:

حرص النبى ﷺ على تربية الأمة على التواضع والعزة فى كل الأحوال، ولذلك نهى عن التملق بكثرة المدح؛ لما فيه من ذلةٍ للمادح، وفتنةٍ للممدوح، ولما قد يجره من

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى التحلق ٤/ ٢٥٨ (٤٨٢٥)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح غريب ـ فى كتاب: الاستئذان، باب: رقم (٢٩) ٥/ ٧٣ (٢٧٢٥) والبخارى فى الأدب المفرد صـ٣٣٢ (١٤٤١)، وأحمد ٥/ ٩١، ٩٨، ١٠٧، ١٠٨، والطيالسى صـ(٧٨٠) والطبرانى فى الكبير ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ (١٩٥١)، وصححه ابن حبان ١٤/ ٣٤٥ (٦٤٣٣).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب العلم، باب: من قعد حيث ينتهى به المجلس ١/ ١٥٦ (٦٦)، وفى كتاب: الصلاة باب: الحلق والجلوس فى المسجد ١/ ٥٦٢ (٤٧٤)، ومسلم فى كتاب: السلام، باب: من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم ٤/ ١٧١٣ (٢١٧٦/ ٢٦)، والترمذى فى الموضع السابق (٢٧٢٤)، رمالك فى كتاب: السلام، باب: جامع السلام صـ٧٣٢ (٤)، وأحمد ٣/ ٢١٩.

اغترار الممدوح وتكبره.

ومن هذا المنطلق نهى النبى ﷺ عن كل المظاهر المشابهة، فنهى عن قيام الناس بين أيدى كبرائهم القعود، حتى إنه فى الصلاة أمر المأمومين أن يصلوا جلوسًا إذا صلى الإمام جالساً، مع قدرتهم على القيام، وإطاقتهم له.

٢٢٧ ـ فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: اشتكى النبىُّ ﷺ، فصلينا وراءه وهو قاعد، وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره، فالتفت إلينا، فرآنا قياماً، فأشار إلينا، فقعدنا، فصلينا بصلاته قعوداً، فلما سلَّم قال:

«إن كدتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا، ائتموا بأئمتكم...» الحديث[1].

وكان ذلك شأنه ﷺ فى تربية أصحابه رضوان الله عليهم.

٢٢٨ـ فعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصا، فقمنا إليه، فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظِّم بعضهم بعضاً»[2].

وعرف الصحابة ذلك من أخلاقه ﷺ، فلم يكونوا يقومون له.

٢٢٩ ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

«لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا؛ لما يعلمون من كراهيته لذلك».

كما كان ﷺ يتابع ذلك فى سلوك أصحابه رضى الله عنهم، حتى يستقيموا عليه.

٢٣٠ ـ فعن أبى الخصيب زياد بن عبد الرحمن رحمه الله قال: كنتُ قاعداً، فجاء

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الصلاة، باب: ائتمام المأموم بالإمام ١/ ٣٠٩ (٤١٣/ ٨٤)، والنسائى فى كتاب: السهو، باب: الرخصة فى الالتفات فى الصلاة يميناً وشمالا ٣/ ٩، وابن ماجه فى كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء إنما جعل الإمام ليؤتم به ١/ ٣٩٣ (١٢٤٠)، والبخارى فى الأدب المفرد صـ٢٧٩ (٩٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى قيام الرجل للرجل ٤/ ٣٥٨ (٥٢٣٠)، وابن ماجه فى كتاب: الدعاء، باب: دعاء رسول الله ﷺ ٢/ ١٢٦١ (٣٨٣٦) وزاد فيه دعاء النبى ﷺ لهم.

(٣) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح غريب ـ فى كتاب: الأدب، باب: ما جاء فى كراهية قيام الرجل للرجل ٥/ ٩٠ (٢٧٥٤) وفى «الشمائل المحمدية، باب: تواضعه وخلقه وحياؤه، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٣٩، والبخارى فى الأدب المفرد صـ٢٨٧ (٩٤٦).

ابن عمر رضى الله عنهما، فقام رجلٌ من مجلسه، فلم يجلس فيه، وقعد فى مكان آخر، فقال الرجل: ما كان عليك لو قعدتَ؟ فقال: لم أكن أقعد فى مقعدك ولا مقعدَ غيرِك بعد شىء شهدتُه من رسول الله ﷺ: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقام له رجلٌ من مجلسه، فذهب ليجلس، فنهاه رسول الله ﷺ»[1].

وقد استقام ابن عمر رضى الله عنهما على ذلك طيلة حياته، حتى قال سالم بن عبد الله بن عمر: «فكان الرجلُ يقوم لابن عمر من مجلسه، فما يجلس فيه»[2].

وقد سبق الحديث عن النهى عن إقامة الإنسان من مجلسه، والجلوس فى مكانه.

وهذا كله فيما إذا كان القيام على سبيل التعظيم، والتشبه بعادة الأعاجم، وكان المُقَام له يحب ذلك، ويسرُّه فعلُ الناس له، تعظُّماً وتكبُّرا.

٢٣١ ـ فعن أبى مجْلَز لاحق بن حميد رحمه الله قال: خرج معاوية على ابن الزبير، وابن عامرٍ، فقَام ابْن عامرٍ، وجلس ابن الزبير، فقال **معاوية** لابن عامرٍ: اجلس، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ أحبَّ أن يتمثَّل له الرجالُ قياماً فليتبوَّأ مقعده من النار»[3].

قال الإمام أبو جعفر الطحاوى رحمه الله: «فدلّ ذلك على أن المكروه مما ذكرنا هو المحبة من بعض الرجال لذلك من بعض، وقد تكون تلك المحبة مع القيام إليهم، وقد تكون بلا قيام إليهم. فدلَّ ذلك على أن الكراهة فى ذلك إنما هى للمحبة التى ذكرنا؛ لا للقيام الذى يمنع محبة معه»[4].

(١١) استحباب القيام للداخل من أهل الفضل على سبيل الإكرام:

يستحب للمسلم القيام للداخل على سبيل البر والإكرام لأهل العلم والفضل والصلاح وبخاصة إذا كان المقام مقام إظهارٍ لعزِّ الإسلام، أو فرحٍ بحصول خير للقادم، أو تلقِّى غائب، ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى الرجل يقوم للرجل من مجلسه ٤/٢٥٨ (٤٨٢٨)، وأحمد ٢/٨٤ ـ ٨٥.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٨٩.

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى قيام الرجل للرجل ٤/٣٥٨ (٥٢٢٩)، والترمذى وقال: حسن ـ فى كتاب: الأدب، باب: ما جاء فى كراهية قيام الرجل للرجل ٥/ ٩٠ ـ ٩١ (٢٧٥٥)، وأحمد ٤/ ٩٣، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٤٠.

(٤) شرح معانى الآثار ٢/ ٤٠.

وقد أمر النبيُّ ﷺ بذلك، وفعله، وأقرَّ فعله بحضرته.

أما أمره بذلك، فقد أمر بالقيام لسعد بن معاذ يوم بنى قريظة.

٢٣٢ ـ فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد ـ هو ابن معاذ ـ بعث رسول الله ﷺ ـ وكان قريباً منه ـ فجاء على حمارٍ، فلما دنا قال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم**»... الحديث[1].

وأما فعله ذلك فمع فاطمة رضى الله عنها

٢٣٣ ـ فعن عائشة رضى الله عنها، أنها قالت:

«ما رأيتُ أحداً كان أشبه سَمْتاً وهَدْياً ودَلاً برسول الله ﷺ من فاطمة كرّم الله وجهها، كانت إذا دخلت عليه قام إليها، فأخذ بيدها، وقبَّلها وأجلسها فى مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذتْ بيده، وأجلستْه فى مجلسها»[2].

وأما إقراره ﷺ لذلك، ففى قيام بعض الصحابة لتهنئة كعب بن مالك رضى الله عنه بتوبة الله عليه بعد غزوة تبوك.

٢٣٤ ـ فعن كعب بن مالك رضى الله عنه فى حديث توبته حين تخلف عن غزوة تبوك، وفيه:

«... وانطلقتُ إلى رسول الله ﷺ فيتلقانى الناسُ فوجاً فوجاً، يهنونى بالتوبة، يقولون: لِتَهْنكَ توبةُ الله عليك، حتى دخلتُ المسجدَ، فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ حوله الناسُ، فقَامَ إلىَّ طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه يهرول، حتى صافحنى وهنأنى، والله ما قام رجلٌ من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة... الحديث[3].

أما ما ورد فى الأدب السابق فى الحديث (٢٢٥) من كراهيته ﷺ لذلك، فقد قال فيه الطحاوى: «وقد يكون كراهيته لذلك منهم على وجه التواضع منه ﷺ لذلك، لا

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد باب: إذا نزل العدو على حكم رجل ٦/ ١٦٥ (٣٠٤٣) وانظر أرقام (٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢)، ومسلم فى كتاب: الجهاد والسير، باب: جواز قتال من نقض العهد ٣/ ١٣٨١ ـ ١٣٨٣ (١٧٦٨/ ٦٤)، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: ما جاء فى القيام ٤/ ٣٥٥ (٥١٥٢)، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٣٨.

(٢) أخرجه أبو داود فى الموضع السابق (٥٢١٧)، والبخارى فى الأدب المفرد صـ٢٧٨ ـ ٢٧٩ (٩٤٧).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: حديث كعب بن مالك ٨/ ١١٣ ـ ١١٦ (٤٤١٨)، ومسلم فى كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ٤/ ٢١٢٠ ـ ٢١٢٩ (٢٧٦٩/ ٥٣ ـ ٥٤)، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٣٧، والبخارى فى الأدب المفرد صـ٢٧٨ (٩٤٤).

لأنه حرام عليهم أن يفعلوا ذلك له، وكيف يُظَن أنه حرام عليهم، وقد أمرهم بالقيام إلى سعد بن معاذ، وقام بمحضره طلحة بن عبيد الله إلى كعب بن مالك عند نزول توبته، مهنئاً له بذلك، فلم ينهه عنه»[1].

وجمع الطحاوى بين الأحاديث الدالة على القيام والأحاديث الناهية عنه، بحمل الأولى على ما لا محبة فيه لمن يُقَام له، وبحمل الأخرى على المحبة لمن يقام له بذلك القيام[2].

وقال النووى فى التعليق على حديث القيام لسعد بن معاذ: «فيه: إكرامُ أهل الفضل، وتَلَقِّيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا. هكذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام.

قال القاضى: وليس هذا من القيام المنهى عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس، ويمْثُلُون قياماً طول جلوسه.

قلت: القيام للقادم من أهل الفضل مستحب، وقد جاء فيه أحاديث، ولم يصح فى النهى عنه شىء صريح، وقد جمعتُ كل ذلك مع كلام العلماء عليه فى جزء، وأجبت فيه عما توهم النهى عنه»[3].

وقال ابن القيم فى التعليق على قيام المغيرة بن شعبة على رأس رسول الله ﷺ بالسيف حينما جاءه عروة بن مسعود الثقفى يفاوضه يوم الحديبية:

«وفى قيام المغيرة بن شعبة على رأس رسول الله ﷺ بالسيف ـ ولم يكن عادته أن يُقَام على رأسه وهو قاعد ـ سنة يُقتَدى بها عند قدوم رسل العدو، من إظهار العز والفخر، وتعظيم الإمام، وطاعته، ووقايته بالنفوس. وهذه هى العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين، وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين، وليس هذا من النوع الذى ذمه النبى ﷺ بقوله: من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»[4].

---

(١) شرح معانى الآثار ٢/ ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) السابق ٢/ ٣٩.

(٣) شرح النووى ٥/ ٩٣، وقد ذكر مختصر هذا الجزء: السخاوى فى المقاصد الحسنة ص٣٩٣: ٣٩٤ عند الحديث رقم (١٠٤٨)، والعجلونى فى كشف الخفاء ١/ ٢٢٠ ـ ٢٢١ عند الحديث رقم (١٣٥٠)، وذكره مع مناقشة ابن الحاج فى «المدخل» له: المباركفورى فى تحفة الأحوذى ٨/ ٣٠ ـ ٣٢.

(٤) زاد المعاد ٣/ ٣٠٤.

قلت:: ويلتحق بالقيام المستحب: القيامُ لكبار السن والنساء وغيرهم من الضعفاء، حتى يجلسوا إذا لم يكن فى المجلس متَّسعٌ لهم، إكراماً لهم وبِراً بهم.

(١٢) حفظ مكان القائم من المجلس لحاجةٍ حتى يعود:

إذا قام أحد الجالسين من مكانه لحاجة، فينبغى حفظ المكان له، وعدم القعود فيه، ويكون هو أولى بمكانه حين يرجع إلى المجلس.

٢٣٥ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا قام أحدُكم ـ وفى رواية: من قام ـ من مجلسه، ثم رجع إليه فهو أحق به»(١).

٢٣٦ ـ وعن سُهَيل بن أبى صالح قال: «كنتُ عند أبى جالساً، وعنده غلامٌ، فقام الغلام، فقعدتُ فى مقعد الغلام، فقال لى أبى: قم عن مقعده، إن **أبا هريرة** أنبأنا أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا قام الرجل من مجلسٍ ثم رجع إليه فهو أحق به»(٢).

٢٣٧ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال:

« . . . ونهى النبىُّ ﷺ أن يخلف الرجلُ الرجلَ فى مجلسه، وقال: إذا رجع فهو أحق به»(٣).

٢٣٨ ـ وعن وهب بن حذيفة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«الرجل أحقُّ بمجلسه، وإن خرج لحاجته ثم عاد فهو أحق بمجلسه»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: السلام، باب: إذا قام من مجلسه ثم عاد فهو أحق به ٤/١٧١٥ (٣١/٢١٧٩)، وابن ماجه فى كتاب: الأدب، باب: من قام من مجلس فرجع فهو أحق به ٢/١٢٢٤ (٣٧١٧)، والدارمى فى كتاب الاستئذان، باب: إذا قام من مجلسه ثم رجع فهو أحق به ٢/٣٦٦ (٢٦٥٤)، وعبد الرزاق ١١/٢٣ (١٩٧٩٢)، وأحمد ٢/٢٦٣، ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٤٢، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٨٣، ٥٢٧، ٥٣٧، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ١١٠، وابن حبان ٢/٣٤٩ (٥٨٨)، والبخارى فى الأدب المفرد صـ٣٣١ (١١٣٨).

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٤٢، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: إذا قام من مجلسه ثم رجع ٤/٢٦٤ (٤٨٥٣).

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٣٢، والبزار، انظر: كشف الأستار ٢/٤٢٤ (٢٠١٦، ٢٠١٧) وقال الهيثمى فى المجمع ٨/٦١: «رجاله ثقات، إلا أن ابن إسحاق مدلس».

(٤) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح غريب ـ فى كتاب: الأدب، باب: ما جاء إذا قام الرجل من مجلسه ثم رجع فهو أحق به ٥/٨٩ (٢٧٥١)، وأحمد ٣/٤٢١، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ١١٠.

٢٣٩ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«الرجلُ أحق بصدر دابته، وبمجلسه إذا رجع»(١).

يرى الإمام الطحاوى «أن المقصود بهذا ليس المراد به العود بعد يوم أو أكثر إلى المجالس العامة غير المملوكة، كالمساجد والصحارى التى ينزلها الناس، والمواضع من الأمصار المأذون للناس فيها.

ولكن المقصود: العودُ إلى المجلس الذى قام عنه صاحبه القيام الذى لم يُرِدْ به تركه، إنما قام لأمر عَرَض له، على أن يعود إليه، فرجع إلى الجلوس فيه، كما كان قبل قيامه عنه.

فإذا كان كذلك كان أحقَّ بمجلسه ذلك، وإذا كان بخلافه لم يكن كذلك، وكان هو وسائر الناس فيه سواء، من سبق منهم إليه كان أحقَّ به من غيره منهم»(٢).

وقال الإمام النووى رحمه الله: «قال أصحابنا: هذا الحديث فيمن جلس فى موضع من المسجد أو غيره لصلاة مثلاً، ثم فارقه ليعود، بأن فارقه ليتوضأ، أو يقضى شغلاً يسيراً، ثم يعود، لم يبطلْ اختصاصه، بل إذا رجع فهو أحق به فى تلك الصلاة، فإن كان قعد فيه غيره فله أن يقيمه، وعلى القاعد أن يفارقه، لهذا الحديث.

هذا هو الصحيح عند أصحابنا، وأنه يجب على من قعد فيه مفارقته إذا رجع الأول.

قال بعض العلماء: هذا مستحبٌّ، ولا يجب، وهو مذهب مالك، والصواب: ما قاله أصحابنا، ولا فرق بين أن يقوم منه ويترك فيه سجادةً ونحوها أم لا، فهذا أحق به فى الحالين.

قال أصحابنا: وإنما يكون أحق به فى تلك الصلاة وحدها دون غيرها، والله أعلم»(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «قال عياض: اختلف العلماء فيمن اعتاد بموضع من المسجد للتدريس والفتوىٰ. فحكى عن مالك أنه أحق به إذا عُرِف به. قال: والذى عليه الجمهور: أن هذا استحسان، وليس بحقٍ واجب، ولعله مراد مالك.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٣٢، وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٦١: «فيه إسماعيل بن رافع، قال البخارى: ثقة مقارب الحديث. وضعفه جمهور الأئمة، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) مشكل الآثار ٢/ ١١٠ ـ ١١١.

(٣) شرح النووى ١٤/ ١٦١ ـ ١٦٢.

وكذا قالوا فى مقاعد الباعة من الأفنية والطرق التى هى غير متملكة، قالوا: من اعتاد الجلوس فى شىء منها فهو أحق به حتى يتم غرضه.

قال: وحكاه الماوردى عن مالك؛ قطعاً للتنازع.

وقال القرطبى: الذى عليه الجمهور أنه ليس بواجب»[1].

قلت: ومع ذلك فينبغى للقائم إذا كان يريد الرجوع أن يظهر ما يدل على ذلك، كأن يضع بعض أمتعته، أو كتابه، أو نعله، أو نحو ذلك، حتى يُعْرَف رجوعه، فيُحفَظ مكانه.

٢٤٠ ـ فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال:

«كان رسول الله ﷺ إذا جلس وجلسنا حوله، فقام، فأراد الرجوع نزع نعليه، أو بعض ما يكون عليه، فيعرف ذلك أصحاب، فيثبتون»[2].

(١٣) عدم الجلوس فى وسط الحلقة:

الجلوس وسط الحلقة قد يكون تكبُّراً على الجلوس، وقد يكون فيه تخطٍّ للرقاب، وقد يكون استهزاءً بالآخرين، ثم هو ـ فى أحسن أحواله ـ مشغلةٌ لأهل المجلس، وقاطعٌ لنظر بعضهم إلى بعض، ومن ثَمَّ كان أمراً منهيًا عنه بأبلغ عبارات النهى.

٢٤١ ـ فعن حذيفة رضى الله عنه «أن رسول الله ﷺ لَعَن مَنْ جلس وسط الحلقة»[3].

٢٤٢ ـ وفى رواية عن أبى مجْلَز لاحق بن حميد قال: إن رجلاً جلس وسط الحلقة، فقال **حذيفة**: «ملعونٌ على لسان محمد ـ أو لعن الله على لسان محمد ﷺ ـ من قعد وسط الحلقة»[4].

قال المباركفورى: «قال الخطّابى: هذا يتأول فيمن يأتى حلقة قومٍ، فيتخطى رقابهم، ويقعد وسطها، ولا يقعد حيث ينتهى به المجلس، فلُعن للأذى.

---

(١) فتح البارى ١١/ ٦٤.

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: إذا قام من مجلسه ثم رجع ٤/ ٢٦٤ (٤٨٥٤).

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: الجلوس وسط الحلقة ٤/ ٢٥٨ (٤٨٢٦) وحسن النووى إسناده فى رياض الصالحين (٨٣٠).

(٤) أخرجه الترمذى، وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: الأدب، باب: ما جاء فى كراهية القعود وسط الحلقة ٥/ ٩٠ (٢٧٥٣)، وأحمد ٥/ ٤٠١، وصححه الحاكم ٤/ ٢٨١ على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى.

وقد يكون فى ذلك: أنه إذا قعد وسط الحلقة حال بين الوجوه، فحجب بعضهم عن بعض، فيتضررون بمكانه وبمقعده هناك. انتهى.

وقال التُّورِبَشتى: المراد به الماجنُ الذى يُقيم نفسَه مقام السخرية؛ ليكون ضُحْكَةً بين الناس، ومن يجرى مجراه من المتآكلين بالشعوذة. انتهى»[1].

(١٤) حسن الجلوس والاعتدال فى الجلسة:

المجالس لها احترامها وحقوقها التى لا ينبغى أن يغفل العاقل عنها، ومنها: أن يجلس على هيئة حسنة فيها وقارٌ واحترام، لا على هيئة المستهتر الذى لا يبالى بالآخرين، فعليه أن يجلس مستقبلاً جلساءه بوجهه، وألا يضع رجله فى مواجهتهم، والايضطجع وهم جلوس، إلا لعذر، وبخاصة إذا كان فى مجلس علم، فالواجب احترام العلماء والكبراء، والتزام الأدب فى مجالسهم، وليحذر من قعدة المغضوب عليهم.

٢٤٣ ـ فعن الشريد بن سُوَيْد الثقفى رضى الله عنه قال:

مرَّ بى رسولُ الله ﷺ وأنا جالس هكذا، وقد وضعت يدى اليسرى خلف ظهرى، واتكأتُ على ألية يدى، فقال:

«أتقعد قِعْدَةَ المغضوب عليهم؟!»[2].

ومن الهيئات المشروعة: التربع، إذا كان فى المجلس متسع لذلك، ففى بعض روايات حديث جابر بن سمرة السابق برقم (٢٠٦): «كان النبى ﷺ إذا صلى الفجر تربَّع فى مجلسه، حتى تطلع الشمس حسناء».

ومنها الجلوس على هيئة المتعلم، كما فى حديث جبريل الطويل فى السؤال عن الإسلام والإيمان والإحسان.

٢٤٤ ـ فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم؛ إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرَى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه،

---

(١) تحفة الأحوذى ٨/ ٢٤.

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى الجلسة المكروهة ٤/ ٢٦٣ (٤٨٤٨) وأحمد ٤/ ٣٨٨، والطبرانى فى الكبير ٧/ ٣١٦ (٧٢٤٢)، وصححه الحاكم ٤/ ٢٦٩، ووافقه الذهبى، وصححه النووى فى رياض الصالحين (٨٢٤).

ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. . .» الحديث[١].

(١٥) التواضع فى الجلسة وعدم إرادة التصدر فى المجالس:

التواضع معنى نفسىٌّ، وخُلُق شرعى، يحفظ صاحبه من عبادة الذات، وإعطاء النفس منزلةً أعلى من الغير، ويحميه من احتقار الآخرين والبطر عليهم، والاستهانة بهم، وله مظاهر شتى فى سلوك المسلم وهيئته وكل أحواله.

ومن مظاهره التخشُّع فى الجلسة، والرضا بالدون من المجالس، وعدم استشراف التصدر فى المجالس، ونحو ذلك، مما يزرع للمسلم الألفة فى قلوب الناس، وينمى المودة والمحبة بين الجلساء.

وقد كان ذلك من هديه ﷺ:

٢٤٥ ـ فعن قَيْلَة بنت مَخْرَمة رضى الله عنها قالت:

«رأيت النبىَّ ﷺ فى المسجد وهو قاعد القُرْفُصاء، فلما رأيت رسولَ الله ﷺ المتخشِّعَ فى الجلسة أُرعدتُ من الفَرَق»[٢].

٢٤٦ ـ وعن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن من التواضع لله: الرضا: بالدون من شرف المجالس»[٣].

٢٤٧ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال:

«اتقوا هذه المذابح» يعنى المحاريب[٤].

---

(١) جزء من الحديث رقم (١٧٤) السابق تخريجه.

(٢) **الفَرَق**: الخوف، والحديث أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى جلوس الرجل ٤/ ٢٦٢ (٤٨٤٧)، والبخارى فى الأدب المفرد باب: القرفصاء صـ٣٤٣ (١١٧٨)، والبغوى فى شرح السنة (٣٣٥٦) والترمذى فى الشمائل المحمدية، باب: ما جاء فى جلسة رسول الله ﷺ صـ٦١ ـ ٦٢ (١١٩) وهو جزء من حديث طويل أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٥/ ٧: ١٠ (١)، وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٢: «رجاله ثقات»، وقال ابن حجر فى الفتح ١١/ ٦٣: «بسند لا بأس به».

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١/ ١١٤ (٢٠٥) وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٦٠ «فيه أيوب بن سليمان بن عبد الله بن حَذْلَم، ولم أعرفه، ولا والده، وبقية رجاله ثقات».
وذكره ابن عبد البر فى بهجة المجالس ١/ ٥٠ عن عبد الله بن مسعود من قوله.
وذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٧/ ١٨٥ عن عبد العزيز بن أبى رواد قال: «كان يقال. . .» فذكره.
وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٥٦ (٦٩٢٨) من قول عبدة بن أبى لبابة.

(٤) عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٦٠ للطبرانى، وقال: «فيه عبد الله بن مَغْرَاء، وثقه ابن حبان وغيره، وضعّفه ابن المدينى فى روايته عن الأعمش، وليس هذا منها».

فشبه النبىُّ ﷺ صدور المجالس بالمذابح، لما قد تجلبه من فتنة على صاحبها، أو لما تحدثه من كبْرٍ وإعجابٍ بالنفس لدى الجالسين فيها، المستشرفين لها.

قال ابن الأثير: «حديث أنس: أنه كان يكره المحاريب: أى لم يكن يحب أن يجلس فى صدر المجلس، ويترفع عن الناس»[1].

وهذا الأدب يكون ألزم فى حضرة الكبراء، فإنه ربما تقدم عليهم فى المجلس، فيتعرض للانتقاص والازدراء، وربما أقيم من مجلسه إذا حضر مَنْ أُعِدَّ له هذا المكان، فيسىء إلى نفسه.

روى ابن عبد البر بسنده قال:

«تباعد كعب الأحبار[2] يوماً فى مجلس عمر بن الخطاب، فأنكر ذلك عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن فى حكمة لقمان ووصيته لابنه: إذا جلستَ إلى ذى سلطان فليكن بينك وبينه مقعدُ رجلٍ، فلعله يأتيه مَن هو آثر عنده منك، فيُنَحِّيك، فيكون ذلك نقصًا عليك»[3].

وروى كذلك عن الأحنف بن قيسٍ، قال: «لأنْ أُدْعَى من بُعْد أحبُّ إلىَّ من أن أُقْصَى من قرب» وقال: «ما جلستُ مجلساً قط أخاف أن أقام منه لغيرى»[4].

(١٦) البشر وطلاقة الوجه مع الجلساء:

الواجب على المسلم إذا لقى أخاه أو جالسه أن يلقاه مبتسماً طلق الوجه؛ فإن ذلك مما يجلب المحبة، ويقوى الألفة، وقد قيل:

أخو البِشْرِ محبوبٌ على حسن بشره ... ولن يعدم البغضاءَ من كان عابسا

وقال عروة ابن الزبير رحمه الله[5]: أُخبرتُ أنه مكتوبٌ فى الحكمة: يا بُنَىَّ، لِيكنْ

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ١/ ٣٥٩.

(٢) هو كعب الأحبار بن ماتع الحميرى اليمانى العلامة الحبر، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبى ﷺ وقدم المدينة فى أيام عمر، وجالس الصحابة، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويأخذ عنهم السنن، وكان حسن الإسلام، متين الديانة، من نبلاء العلماء، وأخرج له أبو داود والترمذى والنسائى، وسكن الشام، وتوفى بحمص وهو ذاهب للغزو فى آخر خلافة عثمان رضى الله عنه. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٤٤٥، التاريخ الكبير ٧/ ٢٢٣، الجرح والتعديل ٧/ ١٦١، أسد الغابة ٤/ ٤٨٧، تهذيب الكمال ٢٤/ ١٧٩، سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٩، الإصابة ٥/ ٤٨١، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٩٣.

(٣) بهجة المجالس ١/ ٤٨، ولباب الآداب صـ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٤) السابق ١/ ٤٧.

(٥) هو الإمام البحر عالم المدينة عروة بن الزبير بن العوام، أبوه حوارىُّ رسول الله ﷺ وابن عمته، وأمه =

وجهك بسطاً، ولتكن كلمتُك طيبة، تكن أحبَّ إلى الناس من أن تعطيهم العطاء»[1].

وقد ارتفع الإسلام بقيمة البسمة فى وجوه الإخوان، حتى عدها النبى ﷺ صدقة.

٢٤٨ ـ عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«تبسُّمُك فى وجه أخيك صدقة»[2].

٢٤٩ ـ وعن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال:

«ما حجبنى رسولُ الله ﷺ منذ أسلمتُ، ولا رآنى إلا تبسَّم»[3].

٢٥٠ ـ وعن عبد الله بن الحارث بن جَزْء رضى الله عنه قال:

«ما رأيتُ أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله ﷺ»[4].

٢٥١ ـ **وعن سماك بن حرب** قال: قلت **لجابر بن سَمُرة**: أكنتَ تجالس رسولَ الله ﷺ؟ قال: نعم، كثيراً، كان لا يقوم من مصلاه الذى يصلى فيه الصبح ـ أو الغداة ـ حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس قام، وكانوا يتحدثون، فيأخذون فى أمر الجاهلية، فيضحكون، ويبتسم»[5].

= أسماء بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة، لازم خالته عائشة أم المؤمنين وتفقه بها، وأخذ عنها علماً كثيراً، ولد سنة ثلاث وعشرين، وقيل: بعد ذلك، وأخرج حديثه الجماعة، وتوفى سنة ثلاث وتسعين، وقيل: سنة أربع وتسعين. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ١٧٨، التاريخ الكبير ٧/ ٣١، الجرح والتعديل ٥/ ٣٩٥، حلية الأولياء ٢/ ١٧٦، وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٥، تهذيب الكمال ٢٠/ ١١، تاريخ الإسلام ٤/ ٣١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢١، تذكرة الحفاظ ١/ ٥٨، تهذيب التهذيب ٧/ ١٦٣، طبقات الحفاظ صـ٢٣، شذرات الذهب ١/ ١٠٣.

(١) روضة العقلاء صـ٧٥.

(٢) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد، باب: من هدَّى زقاقاً أو طريقا صـ٢٦٢ (٨٩١)، والترمذى ـ وقال: حسن غريب ـ فى كتاب: البر، باب: ما جاء فى صنائع المعروف ٤/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ (١٩٥٦)، وصححه ابن حبان ٢/ ٢٢١ (٤٧٤)، و ٢٨٧ (٥٢٩)، وأخرجه أحمد ٥/ ١٦٨ بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: ذكر جرير بن عبد الله البَجلى رضى الله عنه ٧/ ١٣١ (٣٨٢٢)، ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل جرير بن عبد الله رضى الله عنه ٤/ ١٩٢٥ (٢٤٧٥/ ١٣٤) والترمذى فى كتاب: المناقب، باب: مناقب جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه ٥/ ٦٧٨ ـ ٦٧٩ (٣٨٢٠، ٣٨٢١) والبغوى فى شرح السنة (٣٣٤٩).

(٤) أخرجه أحمد ٤/ ١٩٠، ١٩١، والترمذى ـ وقال: حسن غريب ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى بشاشة النبى ﷺ ٥/ ٦٠١ (٣٦٤١)، والبغوى فى شرح السنة (٣٣٥٠).

(٥) أخرجه مسلم فى كتاب: المساجد، باب: فضل الجلوس فى مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ١/ ٤٦٤ (٦٧٠/ ٢٨٦)، وأبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: فى صلاة الضحى ٢/ ٢٩ (١٢٩٤)، والنسائى فى كتاب: السهو، باب: قعود الإمام فى مصلاه بعد التسليم ٣/ ٨٠، وأحمد ٥/ ٩١، والبغوى فى شرح السنة (٣٣٥١، ٣٣٥٢).

٢٥٢ ـ وعن أبى ذرٍّ الغفارى رضى الله عنه قال: قال لى رسولُ الله ﷺ:

«لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»[(١)].

٢٥٣ ـ وعن أبى جُرَىٍّ الهُجَيمى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسطا... الحديث»[(٢)].

وقال حبيب بن أبى ثابت رحمه الله: «من حسن خلق الرجل: أن يحدث صاحبه وهو يبتسم»[(٣)].

وسُئِل عبد الله بن المبارك رحمه الله عن حسن الخُلُق، فقال: «هو بَسْطُ الوجه، وبَذْلُ المعروف»[(٤)].

ومع قلة المؤنة فى طلاقة الوجه، فإنه يذهبُ الضغينة، ويجلب المحبة والإيناس، ويضع صاحبه فى مصافّ المؤمنين المألوفين، فاستمسك ـ أيها الأخ الحبيب ـ بهذا، ولا تجعل مجلسك كئيباً، ولا وجهك عابساً، واجتهد أن تكون ممن قيل فيه:

فتى مثلُ صفْو الماء، أما لقاؤه ... فبِشــرٌ وأمــا وعــده فجميلُ

يسرُّك مفترًا، ويشرق وجهــه ... إذا اعتلّ مذموم الفعال بخيلُ

(١٧) انتقاء أطايب الكلام وحسن محادثة الجلساء:

لا شك أن الكلمة لها فعل السحر فى القلب، بها يستميل الإنسان القلوب إليه، ويعلق العيون به، ويربط النفوس بمجلسه، وبها كذلك يستجلب عداوة القريب والبعيد، فإن طابت عند خروجها من فم صاحبها زانته ورفعت قدره وجمعت القلوب من حوله، وإن ساءت كانت وبالاً عليه وخساراً، ولذلك سمى النبى بعض البيان سحرًا.

٢٥٤ ـ فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: البر والصلة، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ٤/٢٠٢٦ (٢٦٢٦/١٤٤) والترمذى فى كتاب: الأطعمة، باب: ما جاء فى إكثار ماء المرقة ٤/٢٧٤ (١٨٣٣)، وأحمد ٥/١٧٣، وابن حبان ٢/٢٨٢ (٥٢٣).

(٢) صححه ابن حبان ٢/٢٨١ (٥٢٢) و٢٧٩ (٥٢١)، وأخرجه أحمد ٥/٦٣، ٦٤ وأبو داود فى كتاب: اللباس، باب: ما جاء فى إسبال الإزار ٤/٥٦ (٤٠٨٤).

(٣) روضة العقلاء صـ٧٧.

(٤) أخرجه ابن حبان فى روضة العقلاء صـ٦٩. وانظر «رياض الصالحين» بعد الحديث (٦٣١).

«إن من البيان لسحراً»[١].

ولذلك ندب الإسلامُ المسلمين إلى الكلمة الطيبة فى كل حال، وبيَّن الحق سبحانه عظيم شأنها ونفعها فى قوله عز وجل **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** [إبراهيم ٢٤ ـ ٢٥].

وأمر نبيه بذلك فقال: **﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٥]، وقال: **﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [الحجر: ٨٨].

وذكر أثر ذلك فى اجتماع القلوب عليه ﷺ فقال: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾** [آل عمران: ١٥٩].

وأكَّد النبيُّ ﷺ عظيم أجر الكلمة الطيبة، وأنها معدودة فى أصناف الصدقة.

٢٥٥ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ فى حديث طويل: **«والكلمة الطيبة صدقة»**[٢].

بل وجعل الكلمة الطيبة من أسباب الوقاية من النار.

٢٥٦ ـ فعن عَدِىّ بن حاتم رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«اتقوا النار، ولو بشقِّ تمرةٍ، فمن لَم يجد فبكلمةٍ طيبة»**[٣].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: النكاح، باب: الخطبة ٩/ ٢٠١ (٥١٤٦)، وفى كتاب: الطب، باب: إن من البيان سحراً ١٠/ ٢٣٧ (٥٧٦٧)، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: ما جاء فى المتشدق فى الكلام ٤/ ٣٠٢ (٥٠٠٧)، والترمذى فى كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى إن من البيان لسحراً ٤/ ٣٧٦ (٢٠٢٨)، وأحمد ٢/ ١٦، ٥٩، ٦٢، ٩٤ وابن حبان فى روضة العقلاء صـ٢١٩ وفى الباب عن عمار عند مسلم (٨٦٩/ ٤٧) والدارمى (١٥٥٦) وعن غيره من الصحابة.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: فضل من حمل متاع صاحبه فى السفر ٦/ ٨٥ (٢٨٩١) وباب: من أخذ بالركاب ونحوه ١٣٢ (٢٩٨٩) ومسلم فى كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٩/ ٥٦).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الزكاة، باب: الصدقة قبل الرد ٣/ ٢٨١ (١٤١٣) وباب: اتقوا النار ولو بشق تمرة ٣/ ٢٨٣ (١٤١٧)، وانظر أرقام (٣٥٩٥، ٦٠٢٣، ٦٥٣٩، ٦٥٤٠، ٦٥٦٣، ٧٤٤٣، ٧٥١٧) ومسلم فى كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ٢/ ٧٠٣ ـ ٧٠٤ (١٠١٦/ ٦٦: ٦٨)، والنسائى فى كتاب: الزكاة، باب: القليل من الصدقة ٥/ ٧٥، وأحمد ٤/ ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، والطبرانى فى الكبير ١٧/ ٩٣ ـ ٩٥ (٢٢٠: ٢٢٥)، وابن حبان ٢/ ٢٢٠ (٤٧٣).

وفسَّر ابن عمر رضى الله عنهما البرَّ بقوله: «البرَّ شىءٌ هيِّن: وجهٌ طليق، وكلامٌ ليِّن»[1].

والأحاديث والآثار فى ذلك كثيرة.

وأحق الناس بلين الكلام وحسن الخطاب: جليسُك الذى أتى مجلسك من دون سائر المجالس، فينبغى أن تحدثه بالكلام الطيب من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسيرة وأخبار السلف الصالح، وغير ذلك مما ينفعه فى دينه ودنياه، بأسلوب لائق وعبارة طيبة، كما كان الحبيب المصطفى ﷺ يفعل.

قال ابن القيم رحمه الله: «كان ﷺ يتخير فى خطابه، ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأجملها وألطفها، وأبعدها من ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش»[2].

وكان أصحابه ﷺ يحرصون فى مجالسهم على انتقاء أطايب الكلام، كما قال أبو الدرداء رضى الله عنه: «لولا ثلاثٌ ما أحببتُ البقاء: ساعةُ ظمأ الهواجر، والسجودُ فى الليل، ومجالسةُ أقوامٍ ينتقون جيد الكلام، كما يُنتقَى أطايبُ الثمر»[3].

(١٨) الإصغاء وحسن الاستماع للمتحدث:

لا شك أن الإصغاء إلى المتكلم وحسن الاستماع لحديثه فيه توقيرٌ للمتكلم، واحترام لمشاعره، وفيه كذلك صفاء لذهن السامع حتى يفهم ما يقال، ويسهل عليه حفظه إن كان مما يحفظ، ثم العمل بما فيه من خير إن شاء الله.

قال سفيان الثورى وغيره: «أول العلم: الاستماعُ، ثم الإنصاتُ، ثم الحفظُ، ثم العمل، ثم النشر»[4].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يلتزمون هذا الأدب فى مجلسه ﷺ، وكان ﷺ يستنصتهم إذا كثر العدد.

٢٥٧ ـ فعن أسامة بن شريك رضى الله عنه قال:

«أتيتُ النبىَّ ﷺ، وإذا أصحابه كأنما على رءوسهم الطير»... الحديث[5].

---

(١) أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق صـ٢٣ ـ ٢٤، وأورده ابن رجب فى جامع العلوم والحكم ٢/٩٨.

(٢) زاد المعاد ٢/٣٥٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/٣٤٩.

(٤) فتح البارى ١/٢١٧.

(٥) أخرجه أحمد ٤/٢٧٨، وأبو داود فى كتاب: الطب، باب: فى الرجل يتداوى ٤/٣ (٣٨٥٥).

وقوله: «كأنما على رءوسهم الطير» كناية عن السكوت والسكون التام.

٢٥٨ ـ وعن الحسين بن على رضى الله عنهما قال: سألت أبى عن سيرة رسول الله ﷺ فى جلسائه، فقال: «كان رسول الله ﷺ دائم البشر...» الحديث إلى قوله: «وإذا تكلَّم أطرق جلساؤه، كأنما على رءوسهم الطير، فإذا سكت تكلّموا...» الحديث(١).

٢٥٩ ـ وعن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ فى حجة الوداع: «استنصِتْ الناس» فقال: «لا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»(٢).

(١٩) الإقبال على جميع جلسائه دون تخصيص:

كان من هديه ﷺ أن يعطى كل جليس من جلسائه حقَّه من الالتفات إليه والعناية به، حتى ليظن كل جليسٍ أنه أحب الجلساء إليه ﷺ.

٢٦٠ ـ فعن الحسين بن علىٍّ رضى الله عنهما فى حديث طويل عن أبيه فى صفة رسول الله ﷺ، قال: فسألته عن مجلسه، فقال: «كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس، ويأمر بذلك، يعطى كل جلسائه بنصيبه، لا يحسبُ جليسه أن أحدًا أكرمُ عليه منه...» الحديث(٣).

وحذَّر النبىُّ ﷺ من تسليم الخاصة، أى التسليم على أحد الجالسين دون بقية الناس، وعده من علامات الساعة؛ لما يحدثه من إيغار الصدور، وإيقاع البغضاء فى النفوس.

٢٦١ ـ فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الترمذى فى الشمائل المحمدية باب: ما جاء فى خلق رسول الله ﷺ صـ٢٢١ ـ ٢٢٤ (٣٣٥)، وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٤٢٢ ـ ٤٢٥، والطبرانى فى الكبير ٢٢/ ٤١٤، وفى الأحاديث الطوال فى آخر الكبير ٢٥/ ٢٤٥ ـ ٢٥٠، والبيهقى فى الدلائل ١/ ١٦١ ـ ١٦٢، وأبو نعيم فى الدلائل صـ٥٥١ ـ ٥٥٦. وابن الأثير فى «أسد الغابة» ١/ ٣٣.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: الإنصات للعلماء ١/ ٣١٧ (١٢١)، وكتاب: المغازى، باب: حجة الوداع ٨/ ١٠٧ (٤٤٠٥)، وفى كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى ﴿ومن أحياها﴾ ١٢/ ١٩١ (٦٨٦٩) وفى كتاب: الفتن، باب: قول النبى ﷺ «لا ترجعوا بعدى كفاراً...» ١٣/ ٢٦ (٨٠٨٠)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: بيان معنى قول النبى ﷺ «لا ترجعوا بعد كفاراً...» ١/ ٨١ (٦٥/ ١١٨)، وابن ماجه فى كتاب: الفتن، باب: لا ترجعوا بعدى كفاراً ٢/ ١٣٠٠ (٣٩٤٢).

(٣) أخرجه الترمذى فى الشمائل، باب: ما جاء فى تواضع رسول الله ﷺ صـ٢١٢.

«إن بين يدى الساعة: تسليمُ الخاصة.. . الحديث[١]**.**

وسلَّم رجل على أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وهو فى مجلس، فقال: السلام عليك يا خليفة رسول الله. فقال أبو بكر (مستنكراً): «أمن بين هؤلاء أجمعين».

وعن حبيب بن أبى ثابت رحمه الله قال: «كانوا يحبون إذا حدَّث الرجلُ أن لا يُقبلِ على الرجل الواحد، ولكن ليَعُمَّهم»[٢].

(٢٠) ترك التنازع وعدم مقاطعة المتحدث حتى يفرغ:

ينبغى للمتجالسين، وبخاصة فى مجلس العلم أن يتركوا التنازع والخصومة فيما بينهم؛ احتراماً من بعضهم لبعض، وألا يتلكم أحدٌ منهم إذا تكلم غيره، بل يسكت حتى يفرغ المتحدث من كلامه، ثم من شاء أن يتكلم فليتكلم، فهكذا كان هدى النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم.

ففى الحديث رقم (٢٥٤) السابق عن على فى سيرة النبى ﷺ فى جلسائه قال: «وإذا تكلَّم أطرق جلساؤه، كأنما على رءوسهم الطير، فإذا سكت تكلَّموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلّم عنده أنصتوا له حتى يفرغ. حديثهم عنده حديث أولهم».

وكان ذلك هديُه ﷺ حتى مع المعارضين له كما فى قصة عتبة بن ربيعة معه ﷺ فى مكة، حين راح يعرض عليه المال والجاه والنساء ليتخلى عن دعوته.

٢٦٢ ـ فعن محمد بن كعب القرظى قال: حُدِّثْتُ أن عتبة بن ربيعة، وكان سيدًا حليماً قال ذات يومٍ ـ وهو جالسٌ فى نادى قريش، ورسول الله ﷺ جالسٌ وحده فى المسجد ـ: يا معشرَ قريش، ألا أقوم إلى هذا فأعرِض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها ويكف عنا... فذكر الحديث وفيه: فقال له رسول الله ﷺ «قل يا أبا الوليد أسمع» فذكر قول عتبة، إلى أن قال: حتى إذا فرغ عتبة قال له النبى ﷺ: «أفَرَغْتَ يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «اسمع منى»... الحديث[٣].

وهذا من تمام أدبه ﷺ، ولا شك أن ذلك يؤدى إلى ارتياح الجلساء بعضهم إلى

---

(١) أخرجه أحمد ١/٤٠٧، ٤١٩، والبزار: انظر: كشف الأستار ٤/١٤٧ (٣٤٠٧) وقال الهيثمى فى المجمع ٧/٣٢٩: «رجاله رجال الصحيح»، وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد صـ٣٠٨ (١٠٤٩)، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/٤ ـ ٥، و ٤/٣٨٥، والحاكم ٤/٤٤٥ ـ ٤٤٦ وسكت عنه هو والذهبى.

(٢) الأدب المفرد للبخارى صـ٣٧٧ (١٣٠٤).

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/٢٠٤ ـ ٢٠٥ مرسلا وأخرج نحوه من حديث جابر: عبد بن حميد فى مسنده والبيهقى فى الدلائل ٣/٢٠٢ ـ ٢٠٤ وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٣/٦١، ٦٢.

بعض، ويشجع الجليس على معاملة جليسه بالمثل حين يتحدث إليه.

وعلى هذا الأدب كان السلف الصالح، وبه أوصى بعضهم بعضاً.

فعن عبد الله بن عباس[1] رضي الله عنهما قال: «لجليسى عليَّ ثلاثٌ: أن أرميه بطرْفي إذا أقبل، وأن أوسِّع له في المجلس إذا جلس، وأن أصغي إليه إذا تحدث»[2].

وقال الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه لابنه: «يا بنيَّ، إذا جالستَ العلماءَ فكنْ على أن تسمع أحرصَ منك على أن تقول، وتعلَّم حسنَ السماع كما تتعلَّمُ حسنَ الصمت، ولا تقطع على أحدٍ حديثاً، وإن طال حتى يمسك»[3].

وعن سعيد بن العاص[4] رضي الله عنه قال: «لجليسى عليَّ ثلاثُ خصال: إذا دنا رحَّبْتُ به، وإذا جلس وسَّعتُ له، وإذا حدث أقبلتُ عليه»[5].

ويلحق بمقاطعة المتحدث ـ بل أشد منها ـ التشاغل عن المتحدث، والاستخفاف بحديثه، والمبادرة إلى إتمام حديثه، يُريه أنه أعلم منه، فذلك من سوء الأدب، وقلة الاحترام لمشاعر الآخرين، والكبر، فيلزم تجنب ذلك كله.

---

(١) هو حبر الأمة وترجمان القرآن وفقيه عصره، أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد بشعب أبى طالب قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان وسيماً، جميلاً، مديد القامة، كامل العقل، ذكى النفس، ودعا له النبى ﷺ بعلم التاويل والفقه فى الدين، ورأى جبريل عليه السلام، وروى ألفاً وستمائة وستين حديثا، منها خمسة وسبعون فى الصحيحين، وتوفى رضى الله عنه عام سبع أو ثمان وستين انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٢/٣٦٥، التاريخ الكبير ٥/٣، المعرفة والتاريخ ١/٢٤١، ٢٧٠، ٤٩٣، الجرح والتعديل ٥/١١٦، حلية الأولياء ١/٣١٤، تاريخ بغداد ١/١٧٣، أسد الغابة ٣/٢٩٠، وفيات الأعيان ٣/٦٢، تاريخ الإسلام ٣/٣٠، سير أعلام النبلاء ٣/٣٣١، تذكرة الحفاظ ١/٣٧، العبر ١/٧٦، البداية والنهاية ٨/٢٩٥، الإصابة ٤/١٢١، تهذيب التهذيب ٥/٢٤٢.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١/٣٠٦.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/٥٢١ (٨٤٦) وابن ماجه ٢/١٢٤١ (٣٧٧٦).

(٤) هو سعيد بن العاص بن أمية، القرشى الأموى الأمير، والد يحيى بن سعيد الأموى، قتل أبوه يوم بدر مشركاً، وتوفى النبى وهو صغير، ولم يرو عنه، وروى عن عمر وعائشة، وهو مقل فى الرواية، وكان ممن اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع معاوية، وكان شجاعاً، جواداً، حليماً وقوراً ذاحزم، وكان أحد من ندبهم عثمان لكتابة المصحف، لفصاحته، وشبه لهجته بلهجة رسول الله ﷺ، وتوفى سنة سبع، وقيل: ثمان، وقيل: تسع وخمسين انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/٣٠، التاريخ الكبير ٣/٥٠٢، المعرفة والتاريخ ١/٢٩٢، الجرح والتعديب ٤/٤٨، أسد الغابة ٢/٣٩١، تهذيب الكمال ١٥/١٥٤، تاريخ الإسلام ٢/٢٨٦، العبر ١/٦٤، البداية والنهاية ٨/٨٣، الإصابة ٣/٩٢، تهذيب التهذيب ٤/٤٣، شذرات الذهب ١/٦٥.

(٥) بهجة المجالس ١/٤٣.

عن عطاء بن أبى رباح رحمه الله قال: «إن الرجل ليحدِّثنى بالحديث، فأنصت له، كأنى لم أسمعه، وقد سمعتُه قبل أن يُولَد»[1].

وحدَّث رجلٌ فى مجلسه بحديث فعرَّض رجلٌ من القوم فى حديثه، فغضب عطاءٌ وقال: «ما هذه الأخلاق؟ ما هذه الطِّبائع؟، إنى لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به، فأريه أنى لا أحسن شيئاً منه»[2].

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله[3]: «ومن سوء الأدب فى المجالسة: أن تقطع على جليسك حديثه، أو تبدره إلى تمام ما ابتدأ به منه، خبرًا كان أو شعراً، تتم له البيت الذى بدأ به، تريه أنك أحفظ له منه. فهذا غاية فى سوء المجالسة، بل يجب أن تصغى إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه»[4].

(٢١) تجنُّب النجوى بين اثنين دون الثالث:

إذا ضم المجلس ثلاثة فتهامس اثنان فيما بينهما من غير أن يسمع الثالث، فإن الشر ربما سبق إلى قلبه، وإن سوء الظن ربما تسلَّل إلى نفسه، فظن بصاحبيه ظن السوء، فضلاً عن أن ذلك يحزنه، ويجرح شعوره، ويملؤه إحساس بالوحشة، إلى غير ذلك من المعانى المترتبة على مثل هذا التناجى. ومثل ذلك: إذا كانوا أكثر من ثلاثة، فتناجوا فيما بينهم إلا واحداً منهم.

ويلحق بذلك: ما إذا تحدثا بلغة لا يفهمها الثالث، كما قال النووى «باب النهى عن تناجى اثنين دون الثالث بغير إذنه، إلا لحاجة، وهو أن يتحدثا سرًا بحيث لا يسمعهما، وفى معناه: ما إذا تحدثا بلسان لا يفهمه»[5].

قال الله تعالى **﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾** [المجادلة ١٠]

٢٦٣ ـ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/٨٦. (٢) حلية الأولياء ٣/٣١١، وروضة العقلاء صـ٧٢.

(٣) هو الإمام العلاَّمة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام أبو عُمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النَّمَرِىّ الأندلسىّ القرطبى المالكى، ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وطلب العلم بعد التسعين وثلاثمائة، وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، وسارت بتصانيفه الركبان، ومات سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة رحمه الله. انظر فى ترجمته: ترتيب المدارك ٤/٨٠٨، الصلة ٢/٦٧٧، وفيات الأعيان ٧/٦٦، العبر ٣/٢٥٥، سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٣، تذكرة الحفاظ ٣/١١٢٨، البداية والنهاية ١٢/١٠٤، طبقات الحفاظ صـ٤٣٢، شذرات الذهب ٣/٣١٤.

(٤) بهجة المجالس ١/٤٩. (٥) الباب رقم (٢٨١) من كتاب «رياض الصالحين».

«إذا كانوا ثلاثةً فلا يتناجى اثنان دون الثالث»[1].

وبين النبى ﷺ علة ذلك بأن هذا التصرف يحزن الثالث.

٢٦٤ـ فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه»[2].

قال ابن حجر: «قال الخطابى: وإنما قال «يحزنه»؛ لأنه قد يَتَوهَّم أن نجواهما إنما هى لسوء رأيهما فيه، أو لدسيسة غائلة له».

وقال ـ يعنى ابن حجر ـ: «وقد نقل ابن بطال عن أشهب عن مالك، قال: لا يتناجى ثلاثة دون واحد، ولا عشرة؛ لأنه قد نُهى أن يترك واحدًا.

قال ابن بطال: وهذا مستنبط من حديث الباب؛ لأن المعنى فى ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين للواحد.

قال: وهذا من حسن الأدب؛ لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا»[3].

فإن استأذنا من الثالث، فلا بأس، والأولى: أن يدعى آخر ليجلس مع الواحد المنفرد، كما فعل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، راوى الحديث.

٢٦٥ ـ **فعن عبد الله بن دينار قال: كنتُ أنا وابن عمر** عند دار خالد بن عُقْبة التى فى السوق، فجاء رجلٌ يريد أن ينّاجيه، وليس مع ابن عمر أحدٌ غيرى، فدعا ابن عمر رجلاً آخر، حتى كنا أربعة، فقال لى وللرجل الثالث الذى دعا: استأخرا شيئاً، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا يتناجى اثنان دون واحد»[4].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الاستئذان، باب: لا يتناجى اثنان دون الثالث ١١/ ٨١ (٦٢٨٨) وفى الأدب المفرد صـ٣٤١ (١١٦٨)، ومسلم فى كتاب السلام، باب: تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه ٤/ ١٧١٧ (٢١٨٣/ ٣٦)، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى التناجى ٤/ ٢٦٣ (٤٨٥٢) وابن ماجه فى كتاب: الأدب، باب: لا يتناجى اثنان دون الثالث ٢/ ١٢٤١(٣٧٧٦) ومالك فى كتاب الكلام ٢/ ٧٥٥ (١٤)، وابن حبان ٢/ ٣٤٢ (٥٨٠)، وأحمد ٢/ ٤٥، ١٢١، ١٢٣، ١٢٦، ١٤١، ١٤٦.

(٢) أخرجه البخارى فى الموضع السابق ١١/ ٦٢٩٠ وفى الأدب المفرد (١١٦٩، ١١٧١) ومسلم فى الموضع السابق (٢١٨٤/ ٣٧ ـ ٣٨) وأبو داود فى الموضع السابق (٤٨٥١)، والترمذى فى كتاب: الأدب، باب: ما جاء لا يتناجى اثنان دون الثالث ٥/ ١٢٨ (٢٨٢٥)، وابن ماجه فى السابق (٣٧٧٥)، وابن أبى شيبة ٨/ ٥٨١، والحميدى ١/ ٦١ (١٠٩)، وأحمد ١/ ٣٧٥، ٤٢٥، ٤٣١، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٤.

(٣) فتح البارى ١١/ ٨٣.

(١) أخرجه مالك فى الموطأ فى كتاب: الكلام، باب: ما جاء فى مناجاة الاثنين دون واحد ٢/ ٧٥٤ (١٣)، وأحمد ٢/ ٧٩، والبغوى فى شرح السنة (٣٥٠٩)، وصححه ابن حبان ٢/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ (٥٨١ ـ=

(٢٢) مداراة الجلساء وتجنب مداهنتهم:

ليس الجلساء على خُلُقٍ واحد، بل طباعهم متفاوتة، وكذلك علومهم ومعارفهم، والعاقلُ هو مَن يستوعب جُلساءَه، ويترفق بهم، حتى يصلح ما فسد من طباعهم، ويقوِّم ما اعوجَّ من سلوكهم، ويصبر على ذلك من غير مَلَلٍ ولا إملال، وقد عدَّ النبى ﷺ ذلك من الصدقات:

٢٦٦ ـ فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مداراة الناس صدقة»(١).

لكن ذلك لا يعنى مشاركتهم فى منكراتهم، أو تزيين قبيح فعلهم، أو الرضا أو إظهار الرضا بما قد يأتون من ألوان الباطل، فتلك هى المداهنة المذمومة، ومنها أُتى بنو إسرائيل، حتى لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم، كما سبق فى الحديث رقم (١٤٦).

قال أبو حاتم بن حبان: «الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من دُفِع إليه فى العِشْرة، من غير مقارفة المداهنة؛ إذ المداراة من المدارى صدقة له، والمداهنة من المداهن تكون خطيئة عليه.

والفصل بين المداراة والمداهنة: هو أن يجعل المرء وقته فى الرياضة لإصلاح الوقت الذى هو له مقيم بلزوم المداراة، من غير ثَلْم فى الدين من جهة من الجهات، فمتى ما تخلَّق المرءُ بخُلُق شَابَهُ بعضُ ما كَرِه اللهُ منه فى تخلُّقه فهذا هو المداهنة، لأن عاقبتها تصير إلى قُلٍّ.

ويلازم المداراة؛ لأنها تدعو إلى صلاح أحواله، ومن لم يدار الناس مَلُّوه، كما أنشدنى على بن محمد البَسَّامى:

دَارِ مـن النـاس مَلالاتهـم   من لم يُدَارِ الناسَ مَلُّوه
ومُكرِمُ الناس حبيب لهم   مـن أكرم الناس أحبـوه

ثم روى بسنده عن محمد بن الحنفية رحمه الله قال: «ليس بحكيم من لم يعاشر

= (٥٨٢).

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل ١/ ٤٠٦ و ٣/ ٣٣ وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٣٢٥)، وأبو نعيم فى الحلية ٨/ ٢٤٦، والقضاعى فى مسند الشهاب (٩١، ٩٢)، والخطيب فى تاريخ بغداد ٨/ ٥٨، وصححه ابن حبان ٢/ ٢١٦ (٤٧١)، وأخرجه فى روضة العقلاء صـ٧٠، وضعفه ابن حجر فى الفتح ١٠/ ٥٢٨، وعزاه الهيثمى فى المجمع ٨/ ١٧ للطبرانى فى الأوسط وقال: «وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر وهو متروك، وقال ابن عدى: أرجو أنه لا بأس به».

بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدًّا، حتى يأتيه الله منه بالفرج أو المخرج» انتهى[1].

فالمداراة المطلوبة المحمودة للجلساء، إنما تكون فى التلطُّف معهم، والرفق بهم، بنيَّة الإصلاح وتغيير المنكر، مع تجنب ما يؤدى إلى غضبهم وملالتهم، حتى تنشرحَ صدورُهم للخير، وتلينَ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكر الله.

فإذا رأى الأخ من هؤلاء الجلساء إعراضاً عن الحق، وصدوداً عن قبوله، وتمادياً فى الباطل، ولُجوجاً فى الغواية، وعناداً وتعنُّتاً عند النصيحة، فالأولى به أن ينجو بنفسه، وأن يترك مجالستهم، وبخاصة إذا خشى على نفسه التأثر بهم، أو أحس ببوادر ميلٍ إلى منكراتهم، والله أعلم.

(٢٣) ذكر الله فى المجلس:

ذكر الله تعالى هو الحصن الحصين من نزغات الشياطين، ولذلك كان النبى ﷺ لا يَدَعُه فى كل أحواله، وعلى كل أحيانه، وجعل لكل وقت ولكل ظرفٍ ولكل مناسبةٍ ذكراً مناسباً، يدلّ على انفعال القلب وتفاعله مع الأحوال كلّها.

وقد كان شأنه ﷺ ألا يخلو مجلسه من ذكر الله تبارك وتعالى، وأدَّب أمته بذلك، وبيَّن فضيلة الذكر ومجالس الذاكرين، كما سبق بيانه.

كما حذَّر ﷺ بأبلغ صيغ التحذير من الاجتماع فى المجالس ـ أيًا كان غرضها ـ ثم الانصراف منها، من غير حصول ذكر الله تبارك وتعالى.

٢٦٧ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من قوم يقومون من مجلسٍ لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمارٍ، وكان لهم حسرةً»[2].

٢٦٨ ـ وعنه أيضاً رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله تِرَةٌ[3]، ومن اضطجع مضجعاً

(١) روضة العقلاء صـ٧٠، وانظر تعليقه على الحديث فى صحيحه ٢/٢١٨.

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله ٤/٢٦٤ (٤٨٥٥)، وأحمد ٢/٣٨٩، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥١٥، ٥٢٧ وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٤٤٥) وصححه الحاكم ١/٤٩٢ على شرط مسلم ووافقه الذهبى، وصححه النووى فى رياض الصالحين (٨٣٥).

(٣) قال الترمذى: «معنى قوله «**ترة**»: يعنى حسرة وندامة، وقال بعض أهل المعرفة بالعربية: الترة هو الثأر (سنن الترمذى ٥/٤٦١) وقال النووى: **التِّرَة** ـ بكسر التاء المثناة من فوق ـ وهى النقص، وقيل: التَّبِعة (ياص الصالحين صـ٢٢٦).

لا يذكر الله فيه كانت عليه من اللهِ ترَة»[1].

٢٦٩- وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول لله ﷺ:

«المجالس ثلاثة: سالم، وغانم، وشاجب»[2].

٢٧٠ - وهو مفسر بما رواه **أبو هريرة** مرفوعاً قال: قال رسول **الله** ﷺ:

«المجالس ثلاثة: غانم، وسالم، وشاجب. فالغانم: الذى يكثر ذكر الله فى مجلسه، والسالم: الذى يسكت لا عليه ولا له، والشاجب: الذى يكون كلامه وعمله فى معصية الله عز وجل».

وروى موقوفاً من كلام أبى هريرة رضى **الله** عنه قال: «المجالس ثلاثة: فمنهم الغانم، ومنهم السالم، ومنهم الشاجب، فالغانم: عبدٌ ذكر **الله** تعالى، والسالم: عبدٌ لم يُمْلِ على كاتبه خيرًا ولا شرّا، والشاجب: الذى أخذ فى الباطل، فهو يشجب على نفسه»[3].

(٢٤) الصلاة على النبى ﷺ فى المجلس:

فلا ينبغى أن يخلو المجلس من التشرُّف بالصلاة على رسول **الله** ﷺ، حتى لا يكون يوم القيامة حسرة على أصحابه.

٢٧١- فعن أبى هريرة رضى **الله** عنه، عن النبى ﷺ قال:

«ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيِّهم إلا كان عليهم تِرَة،

---

(١) أخرجه أبو داود فى الموضع السابق (٤٨٥٦)، وفى باب: ما يقال عند النوم ٤/ ٣١٤ (٥٩٥٩)، وأحمد ٢/ ٤٣٢، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٧٤٧)، وصححه ابن حبان ٣/ ١٣٣ (٨٥٣)، والحاكم ١/ ٥٥٠ ووافقه الذهبى، وقال النووى فى رياض الصالحين (٨١٩): «بإسناد حسن».

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٧٥، وأبو يعلى ٢/ ٣٢٥ (١٠٦٢) و ٥٢٨ (١٣٩٤)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٢٩: «فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف».

قلت: كثيرًا ما حسَّن الهيثمى أحاديث ابن لهيعة، على أنه قد تابعه عمرو بن الحارث، عن درَّاج أبى السَّمْح، عن أبى الهيثم، عن أبى سعيد، أخرجه ابن عدى فى الكامل ٣/ ١١٣، ١٥٣ وضعَّفه، لأن درَّاجاً ضعيف فى روايته عن أبى الهيثم، وصححه ابن حبان ٢/ ٣٤٦ (٥٨٥).

(٣) عزاهما ابن حجر فى المطالب العالية ٣/ ٢٤٣ - ٢٤٤ (٣٣٨٨، ٣٣٨٩) لمسدد، ونقل محقق المطالب عن البوصيرى تضعيفهما؛ لأن فى سنديهما يحيى بن عبد الله بن موهب. وقال ابن الأثير: «**شاجب**: أى هالك، يقال: شجب يشجب فهو شاجب، شجب بشجب فهو شجب أى إما سالم ن الإثم، وإما غانم للأجر، وإما هالك آثم» (النهاية ٢/ ٤٤٥).

فإن شاء عذَّبهم، وإن شاء غفر لهم»[1].

٢٧٢ـ وعنه رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«ما قعد قومٌ مقعداً لا يذكرون الله عز وجل ويصلُّون على النبى ﷺ إلا كان عليهم حسرةً يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة للثواب»[2].

وروى نفس المعنى من حديث أبى أمامة الباهلى، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن مُغَفَّل، رضى الله عنهم[3].

(٢٥) كثرة الاستغفار فى المجلس:

كان من هديه ﷺ أن يكثر من الاستغفار فى مجلسه، لدرجة لفتت نظر الصحابة، حتى دعتهم لأن يعدوا مرات الاستغفار فى المجلس الواحد، فكانت تبلغ مائة مرة.

٢٧٣ ـ فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال:

«كان يُعَدُّ لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: رب اغفر لى، وتُبْ علىَّ، إنك أنت التواب الغفور»[4].

وعن عمْرو بن دينار[5] رحمه الله قال: «الأوَّاب الحفيظ: الذى لا يقوم منْ مجلس

---

(١) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: الدعوات، باب: فى القوم يجلسون ولا يذكرون الله ٥/ ٤٦١ (٣٣٨٠)، وأحمد ٢/ ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٨١، ٤٨٤، وصححه ابن حبان ٢/ ٣٥١ (٥٩٠).

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٤٦٣، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٧٩: «رجاله رجال الصحيح»، وصححه ابن حبان ٢/ ٣٥٢ (٥٩١، ٥٩٢).

(٣) ذكرها جميعاً الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٨٠ وقال عن الأول: «رواه الطبرانى، ورجاله وثقوا»، وقال عن الثانى: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح»، وقال عن الأخير: «رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير، ورجالهما رجال الصحيح.

(٤) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح غريب ـ فى كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا قام من المجلس ٥/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥ (٣٤٣٤)، وأبو داود فى كتاب: الوتر، باب: فى الاستغفار ٢/ ٨٥ (١٥١٦)، وابن ماجه فى كتاب: الأدب، باب: الاستغفار ٢/ ١٢٥٣ (٣٨١٤). وأحمد ٢/ ٨٤، والبخارى فى الأدب المفرد، باب: سيد الاستغفار صـ١٨٧ (٦١٨)، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٣٧٠، ٤٤٨)، وصححه ابن حبان ٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ (٩٢٧).

(٥) هو التابعى الجليل والإمام الحافظ الكبير أبو محمد عمرو بن دينار الجُمحى المكى، أحد الأعلام، وشيخ الحرم فى زمانه، ولد سنة خمس أو ست وأربعين، وسمع من الصحابة ومن كبار التابعين، وكان من أوعية العلم وأئمة الاجتهاد، وحديثه عند الجماعة، وكان من الحفاظ المقدمين، أفتى بمكة ثلاثين سنة، وتوفى سنة خمس أو ست وعشرين ومائة. انظر فى ترجمته: الطبقات الكبرى ٥/ ٤٧٩، التاريخ الكبير ٦/ ٣٢٨، الجرح والتعديل ٦/ ٢٣١، حلية الأولياء ٣/ ٣٤٧، تهذيب الكمال ٢٢/ ٥، تاريخ الإسلام ٥/ ١١٤، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٠٠، تهذيب التهذيب ٨/ ٢٦، شذرات الذهب ١/ ١٧١.

له إلا استغفر الله عز وجل، يقول: اللهم اغفر لنا ما أصبنا فى مجلسنا، سبحان الله وبحمده»[1].

(٢٦) حفظ أمانة المجلس وعدم إفشاء أسراره:

قد يأنس الإنسان إلى جليسه، فيفشى له بعض أسراره، أو يفضى أمامه بذات صدره، أو يتحدث إليه ببعض أخباره الخاصة، أو يبثه بعض خواطره، أو يُسِرُّ إليه ببعض الأمور، ونحو ذلك مما لا يحب المتحدِّث أن يُفْشَى عنه، أو يُعْرَف لغير صديقه وجليسه.

ولعل المتحدث بذلك أراد إراحة نفسه، وتخفيف الثقل على صدره، وهو ما يسمى «الفضفضة»، فائتمن جليسه على ذلك، وصارحه به، وأسرَّه إليه.

ولعل هذه الأحاديث والخواطر إذا انتقلت إلى غيره أفسدت العلاقات، وقطَّعت الأرحام، وأثارت الفتن، وأوقدت نيران العداوة والبغضاء، أو على الأقل عرَّضتْ صاحبها للحرج والتضييق.

وما أكثر الأرحام التى قُطِعت، والعلائق التى أُفْسِدَت، بسبب نقل الجليس حديثْ جليسه، ولو على غير وجه الفتنة، ومن غير قصد السوء.

ومن ثَمَّ كان من الآداب الشريفة التى علَّمنا إياها النبى ﷺ: أن نحفظ أمانة المجلس، وألا ننشر ما كان فيه، ما لم يكن خيراً أو علماً أو شيئاً مأذوناً به من المتحدث، وبخاصة إذا صدر من المتحدث ما يفيد عدم حبه نشر ذلك عنه.

٢٧٤ ـ فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا حدَّث الرجلُ بحديثٍ ثم التفت فهى أمانة»[2].

٢٧٥ ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٣٤٩.

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى نقل الحديث ٤/ ٢٦٧ (٤٨٦٨)، والترمذى ـ وقال: حديث حسن ـ فى كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء أن المجالس بالأمانة ٤/ ٣٤١ (١٩٥٩)، وأحمد ٣/ ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٧٩ ـ ٣٨٠، ٣٩٤، والطيالسى صـ٢٤٣ (١٧٦١)، وأبو يعلى ٤/ ١٤٨ (٢٢١٢).

وله شاهد بلفظه عن أنس بن مالك، أخرجه أبو يعلى ٧/ ١٧٩ (٤١٥٨) وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٩٨: «رواه أبو يعلى عن شيخه جبارة بن مُغَلِّس، وهو ضعيف جداً، وقال ابن نمير: صدوق، وبقية رجاله ثقات».

«مَنْ سمع من رجلٍ حديثًا لا يشتهى أن يُذكَر عنه فهو أمانة، وإن لم يستكتمه»(١).

يعنى: وإن لم يطلب منه كتمانه، ما دام المستمع قد أدرك أن المتكلم لا يريد نقل هذا الحديث عنه.

٢٧٦ ـ وعن أبى بكر بن محمد بن حزم رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنما يجلس المتجالسون بأمانة الله، فلا يحل لأحدهما أن يفشى عن صاحبه ما يكره»(٢).

ولقد أحسن من قال:

لا يكتم السرَّ إلا من له شرفٌ ... والسِّرُّ عند كرام الناس مكتومُ

السِّرُّ عندى فى بيتٍ لــه غَلَقٌ ... ضَلَّتْ مفاتيحُه والباب مختومُ

لكن إذا كان فى الحديث إضرارٌ بالآخرين فليس بأمانة، بل هو منكر تجب محاربته بكشفه، وتحذير الناس منه، وإلا فالمستمع الساكت شريكٌ فى الإثم.

٢٧٧ ـ فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«المجالسُ بالأمانة إلا ثلاثةَ مجالس: مجلس يُسْفَكُ فيه دمٌ حرامٌ، ومجلس يُسْتَحَلُّ فيه فرجٌ حرام، ومجلس يُسْتَحَلُّ فيه مال من غير حق»(٣).

فسفكُ الدماء، واستحلال الفروج والأموال، ليس من الأمانة، بل هو عين الخيانة والإثم، التى لا يشارك فيها مسلم، ولو بمجرد السماع والسكوت، بل يلزمه تحذير المسلمين من ذلك.

وقد حكى لنا القرآن قصة الرجل الذى سمع بالمؤامرة على قتل نبى الله موسى، فجاء إلى موسى مسرعاً يحذره وينصحه بالخروج، فقال تبارك وتعالى **﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾** [القصص ٢٠].

(٢٧) كفارة المجلس والدعاء فى ختامه:

المجلس ـ سواء أكان فرديًّا أم جماعيًّا ـ إمّا أن يكون خيراً كله، وإما أن يكون

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٣/ ٣٥٩ وقال: «غريب من حديث عبد الله (يعنى ابن عبيد بن عمير، الراوى عن أبى الدرداء)لم يروه عنه إلا عبيد الله (يعنى ابن عمر بن الوليد الرصافى)» ويشهر له ما قبله.

(٢) مرسل، أخرجه عبد الرزاق فى الجامع من المصنف ١١/ ٢٢ (١٩٧٩١).

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى نقل الحديث ٤/ ٢٦٨ (٤٨٦٩).

بعضه خيرًا، وخالطه شىء من اللغو أو اللغط، أو نحو ذلك.

وفى كلا الحالين فإنه ينبغى أن يختم المجلسُ بالخير، فالأمور بخواتيمها، فإن كان المجلس خيراً كان ختامه كالطابع يطبع عليه، حتى يلقى صاحبُه ربه فيكافئه عليه، وإن كان غير ذلك كان الختام استغفارًا وكفّارةً لما حدث من اللغو واللغط والخطايا.

ولهذا كان الأدبُ النبوىُّ الكريم فى ختام المجلس توجيهًا نحو هذا الغرض النبيل، وتدريبًا على سمو ورقى الذوق الإيمانى الرفيع، فكان النبىُّ ﷺ يدعو لجلسائه، ويعلمهم كفارة المجلس.

٢٧٨ ـ فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قلّما كان رسولُ الله ﷺ يقوم من مجلسٍ حتى يدعو بهؤلاء الدعوات:

«اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلّغنا به جنّتَك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم متِّعْنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحييتَنا، واجعله الوارثَ منا، واجعلْ ثأرَنا على مَنْ ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتَنا فى ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغَ علمنا، ولا تُسَلِّط علينا مَنْ لا يرحمنا»[١].

وفى رواية عن نافع: «**كان ابن عمر** رضى الله عنهما إذا جلس مجلسًا لم يقم حتى يدعو لجلسائه بهذه الكلمات، وزعم أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهن لجلسائه: . . .» فذكر الحديث[٢].

وفى رواية: أن ابن عمر رضى الله عنهما لم يكن يجلس مجلساً، كان عنده أحدٌ، أو لم يكن، إلا قال: «اللهم اغفر لى ما قدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسررْتُ، وما أعلنتُ، وما أنت أعلم به منى. اللهم ارزقنى من طاعتك. . .» الحديث إلى أن قال: فسئل عنهم ابن عمر، فقال: «كان رسول الله ﷺ يختم بهن مجلسه»[٣].

٢٧٩ ـ وعن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول بآخره ـ وفى رواية: إذا طال المجلس ـ إذا أراد أن يقوم من المجلس:

«سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

فقال رجلٌ: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنتَ تقوله فيما مضى.

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب: الدعوات، باب رقم (٨٠) ٥/ ٥٢٨ (٣٥٠٣).

(٢) أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٤٤٦).

(٣) صححه الحاكم ١/ ٥٢٨ على شرط البخارى، ووافقه الذهبى.

قال: «كفَّارة لما يكون فى المجلس»[١].

٢٨٠ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ جلس فى مجلس، فكثُر فيه لَغَطُه[٢]، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغرك وأتوب إليك؛ إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك»[٣].

٢٨١ ـ وعن جبير بن مُطْعِم رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قال: سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فقالها فى مجلس ذكرٍ كانت كالطابع يطبع عليه، ومن قالها فى مجلس لغوٍ كانت كفارةً له»[٤].

٢٨٢ ـ وعن رافع بن خَديج رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا اجتمع عليه أصحابه، فأراد أن ينهض قال:

«سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، عملتُ سوءاً، وظلمتُ نفسى، فاغفرْ لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت». .

فقلنا: يا رسول الله، هذه كلماتٌ أَحْدَثْتَهُنَّ.

قال: «أجل، جاءنى جبرئيل فقال: يا محمد، هن كفارة المجلس»[٥].

٢٨٣ ـ وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كان النبىُّ ﷺ قبل أن يموت يكثر أن

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى كفارة المجلس ٤/ ٢٦٥ (٤٨٥٩)، والدارمى فى كتاب: الاستئذان، باب: فى كفارة المجلس ٢/ ٣٦٧ (٢٦٥٨)، .وأحمد ٤/ ٤٢٠، ٤٢٥، والحاكم ١/ ٥٣٧.

(٢) **اللَّغط**: صوتٌ وضجة لا يفهم معناها (النهاية ٤/ ٢٥٧) والمقصود هنا: الكلام الذى لا خير منه ولا فائدة فيه، والله أعلم.

(٣) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن غريب صحيح ـ فى كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا قام من المجلس ٥/ ٤٩٤ (٣٤٣٣)، وأحمد ٢/ ٤٩٤، وصححه ابن حبان ٢/ ٣٥٤ (٥٩٤)، والحاكم ١/ ٥٣٧ على شرط مسلم، ووافقه الذهبى.

وروى مثلَه: السائب بن يزيد رضى الله عنه، عزاه الهيثمى فى المجمع لأحمد والطبرانى، وقال: «رجالهما رجال الصحيح».

(٤) صححه الحاكم ١/ ٥٣٧ على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وعزاه الهيثمى فى المجمع ١٠/ ١٤٢ للطبرانى وقال: «رجاله رجال الصحيح».

(٥) الحاكم فى الموضع السابق، وعزاه الهيثمى فى المجمع ١٠/ ١٤١ للطبرانى فى الثلاثة، وقال: «رجاله ثقات»، وعزاه ابن حجر فى المطالب العالية ٣/ ٢٣٩ (٣٣٧٦) لأبى بكر، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، مبهماً، وصحَّح إسناده.

يقول:

«سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك». قال: «أنى أُمِرْتُ» فقرأ **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾**(١) (النصر ١).

٢٨٤ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، أنه قال:

«كلماتٌ لا يتكلم بهن أحدٌ فى مجلسه عند قيامه ثلاث مرات، إلاَّ كُفِّر بهنَّ عنه، ولا يقولهن فى مجلس خير ومجلس ذكر إلا خُتِم له بهنَّ عليه، كما يُختمَ بالخاتم على الصحيفة: سبحانك اللهم وبِحمدك، لا إلهَ إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

وروى ذلك عن أبى هريرة مرفوعًا(٢).

٢٨٥ ـ وروى الشعبى ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من سَرَّه أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل فى آخر مجلسه، حين يريد أن يقوم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين».

ويروى ذلك عن علىٍّ موقوفًا(٣).

تلك كانت أهم الآداب النبوية التى ينبغى مراعاتها فى المجالس، والله المسئول أن يعيننا على تحقيقها، وأن يوفقنا للتمسك بها، إنه جواد كريم.

---

(١) عزاه الهيثمى فى المجمع ١٠/١٤٢ للطبرانى فى الأوسط، وقال: «رجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرج الموقوف والمرفوع: أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى كفارة المجلس ٤/٢٦٤ ـ ٢٦٥ (٤٨٥٧ ـ ٤٨٥٨)، وابن حبان ٢/٣٥٣ ـ ٣٥٤ (٥٩٣).

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢٩٥ لابن أبى حاتم ورواه عن علىٍّ موقوفا من طريق الاصبغ بن نباته، ٥/٢٩٥.

خاتمة

أختم هذا الباب فى أدب المجالس والمجالسة بما ختم به الإمام الغزالى كتاب "آداب الألفة"، إذا قال رحمه الله: "خاتمة لهذا الباب:

نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق، ملتقطة من كلام بعض الحكماء.

إن أردتَ حسنَ العِشْرَة، فالْقَ صديقَك وعدوَّك بوجه الرضا من غير ذلة لهم، ولا هيبة منهم، وتوقيرٍ من غير كبر، وتواضع فى غير مذلة. وكُنْ فى جميع أمورك فى أوسطها. فكلاَ طرفَى قصد الأمور ذميم.

ولا تنظر فى عِطْفيك، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات.

وإذا جلستَ فلا تَسْتَوْفِزْ، وتحفَّظْ من تشبيك أصابعك، والعبثِ بلحيتك وخاتمك، وتخليلِ أسنانك، وإدخال أصبعك فى أنفك، وكثرةِ بصاقك، وتنخُّمك، وطردِ الذباب من وجهك، وكثرةِ التمطّى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وغيرها.

وليكن مجلسك هادياً، وحديثك منظوماً مرتباً. وأَصْغِ إلى الكلام الحسن ممَّن حدَّثك، من غير إظهار تَعَجُّبٍ مُفْرِطٍ، ولا تسأله إعادته، واسكت عن المضاحك والحكايات.

ولا تَحَدَّثْ عن إعجابك بولدك ولا جاريتك، ولا شِعْرك ولا تصنيفك وسائر ما يخصك.

ولا تتصنَّع تَصَنُّع المرأة فى التزيُّن، ولا تتبذَّل تبذُّل العبد، وتوقَّ كثرةَ الكُحْل والإسراف فى الدُّهن، ولا تُلِحَّ فى الحاجاتِ، ولا تشجِّعْ أحداً على الظلم.

ولا تُعْلِم أهلك وولدك ـ فضلا عن غيرهم ـ مقدارَ مالك، فإنهم إن رأوه قليلاً هُنْتَ عندهم، وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم، وخوّفهم من غير عنف، ولِنْ لهم من غير ضعف. ولا تُهَازِلْ أَمَتَك ولا عبدَك، فيسقطَ وقارُك.

وإذا خاصمتَ فتوقرْ وتحفَّظْ من جهلك، وتجنَّبْ عجلتك، وتفكَّرْ فى حجتك، ولا تكثر الإشارة بيديك، ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك، ولا تَجْثُ على ركبتيك، وإذا هدأ غيظُك فتكلَّم.

وإن قرَّبَك سلطانٌ فكنْ منه على مثل حد السنان، فإن استرسل إليك فلا تأمنْ

انقلابه عليك، وارفقْ به رفقك بالصبى، وكلِّمه بما يشتهيه ما لم يكن معصية، ولا يحملنَّك لُطفُه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه، وإن كنتَ لذلك مستحقاً عنده، فإن سقطة الداخل بين الملك وبين أهله سقطة لا تُنْعَش، وزلة لا تقال.

وإياكَ وصديقَ العافية، فإنه أعدى الأعداء.

ولا تجعلْ مالَك أكرم من عِرضك وإذا دخلتَ مجلسًا فالأدب فيه البداية بالتسليم، وتركُ التخطِّى لمن سبق، والجلوس حيث اتسع، وحيث يكون أقرب إلى التواضع. وأن تحيى بالسلام من قَرُب منك عند الجلوس.

ولا تجلس على الطريق، فإن جلست فأدبُه غضُّ البصر، ونصرةُ المظلوم، وإغاثةُ الملهوف، وعونُ الضعيف، وإرشادُ الضال، وردُّ السلام، وإعطاءُ السائل، والأمرُ بالمعروف والنهىُ عن المنكر، والارتيادُ لموضع البصاق. ولا تبصق فى جهة القبلة، ولا عن يمينك ولكن عن يسارك، وتحت قدمك اليسرى.

ولا تجالس الملوك، فإن فعلتَ فأدبُه تركُ الغيبة، ومجانبةُ الكذب، وصيانةُ السر، وقلةُ الحوائج، وتهذيبُ الألفاظ، والإعرابُ فى الخطاب، والمذاكرةُ بأخلاق الملوك، وقلةُ المداعبة، وكثرةُ الحذر منهم وإن ظهرت لك المودة، وأن لا تتجشَّأ بحضرتهم، ولا تتخلَّلْ بعد الأكل عنده. وعلى الملك أن يحتمل كل شىء إلا إفشاء السر، والقدح فى الملك والتعرض للحرم.

ولا تجالس العامة فإن فعلتَ فأدبُه: تركُ الخوض فى حديثهم، وقلةُ الإصغاء إلى أراجيفهم، والتغافُل عما يجرى من سوء ألفاظهم، وقلةُ اللقاء لهم مع الحاجة إليهم.

وإياك أن تمازح لبيباً أو غير لبيب، فإن اللبيبَ يحقد عليك، والسفيهَ يجترىءُ عليك لأن المزاح يخرق الهيبة، ويُسقط ماء الوجه، ويُعْقب الحقد، ويذهب بحلاوة الود، ويَشين فقه الفقيه، ويُجَرِّىء السفيه، ويُسقط المنزلة عند الحكيم، ويَمْقُتُه المتقون، وهو يميت القلب، ويباعُد عن الرب تعالى، ويُكْسبُ الغفلة، ويُورث الذلة، وبه تُظْلِمُ السرائرُ، وتموتُ الخواطر، وبه تكثرُ العيوبُ، وتَبِينَ الذنوب، وقد قيل: لا يكون المزاح إلا من سَخَف أو بطر.

ومَنْ بُلِىَ فى مجلس بمزاح أو لغط، فليذكر الله عند قيامه. قال النبى ﷺ **«من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك»**.

والآن ـ أيها الأخ الحبيب ـ تعالَ يسألْ كلٌّ منا نفسه عن مدى تحققه بهذه الآداب فى المجالسة.

هل نختار الأماكن اللائقة لنعقد فيها مجالسنا؟

وإذا اضطررنا لدخول الأسواق فهل نلتزم بالذكر والآداب الخاصة بذلك سواء عند دخولها، أو عند الجلوس فيها لحاجة؟

وإذا جلسنا على الطرقات والأفنية وما فى معناها، فهل نذكر حقوق الطريق، ونلتزم بها؟

وهل نفر من مجالس السفه والفساد والاستهزاء والإلحاد فى آيات الله فرار السليم من الأجرب؟

وهل نتخير أصحابنا وجلساءنا، ونزنهم بميزان الشرع، فلا نصحب إلا من ينفعنا فى الدين والدنيا؟

وهل نفر بعلمنا وديننا من مصاحبة الجهال والحمقى والمبتدعين والفسقة؟

وهل نلتزم أدب النبوة الكريم عند إرادة الجلوس فى أحد المجالس، سواء فى هيئة الجلوس، أو فى مادة الحديث؟

وهل نحرص على الوحدة والتجمع، ونبتعد عن التفرق فى حلقات متعددة؟

وهل تنشرح صدورنا للتفسح للإخوان والتوسعة للقادمين؟

وهل نراعى الوقت المناسب إذا أردنا الجلوس بحسب الغرض الحامل على ذلك والداعى إليه؟

وهل نجلس فى المجالس على هيئة الوقار والاعتدال والتواضع، ونتجنب الكبر والاعتداء والتعالى على جلسائنا؟

وهل نتذكر أدب السلام على الجالسين عند الدخول فى مجلسهم؟

وهل نجلس حيث انتهى بنا المجلس، أدباً وتواضعاً؟

وإذا تحدث أحد جلسائنا، فهل نصغى لحديثه، ونقبل عليه، ونَدَع الانشغال عنه، والاستخفاف به وبحديثه؟

وهل نحترم كبراءنا وكبارنا وذوى الفضل فينا، فننزلهم منازلهم اللائقة من التوقير

والاحترام، ونوسِّع لهم فى المجالس؟

وإذا سمعنا من أحد جلسائنا شيئاً يكره أن يعرف به غيرنا، فهل نحافظ على هذه الأمانة، ونكتم هذا السر؟

وهل نذكر الله فى مجالسنا، حتى لا تمر وقد كتبت فى موازين السيئات؟

وهل نستغفر الله فى مجالسنا، ويدعو بعضنا لبعض؟

وما مدى التزامنا بقراءة كفارة المجلس؟

كل هذه الأسئلة نتوجه بها إلى نفوسنا، ونقبل بها على قلوبنا، فنجتهد فى تحقيق ما لم نحقق، واستدراك ما قد فات، عسى الله أن يهدينا سواء السبيل، إنه على كل شيء قدير.

الفهارس

١ ـ فهرست الأحاديث المرفوعة

٢ ـ فهرست الأعلام المترجم لهم فى الكتاب

٣ ـ فهرست المصادر والمراجع

٤ ـ فهرست الموضوعات

١ ـ فهرست أطراف الأحاديث المرفوعة

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
اتقوا اللَّعَّانَيْن	أبو هريرة	٢	١٢٢
اتقوا المَلاعن الثلاث	معاذ بن جبل	٢	١٢٣
اتقوا المَلاعن الثلاث	عبد الله بن عباس	٢	١٢٤
اتقوا النار ولو بشق تَمْرة	عدى بن حاتم	٢	٢٥٦
اتقوا هذه المذابح	عبد الله بن عمرو بن العاص	٢	٢٤٧
أتيت رسولَ الله ﷺ فقال: «جئت تسأل عن البر والإثم»	وابصة بن معبد	١	٩٩
أتيتُ المدينة فسألت الله أن ييسِّرلى جليساً صالحاً	خيثمة بن عبد الرحمن	٢	١٧٠
أتيتُ النبىَّ ﷺ وإذا أصحابه كأنما على رءوسهم الطير	أسامة بن شريك	٢	٢٥٧
أحَبُّ البلاد إلى الله تعالى مساجدها	أبو هريرة	٢	٢١١
أُخبر أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه بجنازة فعاد تخلّف	عبد الرحمن بن أبى عمرة	٢	١٩٨
أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سبَّ النبى ﷺ	محمد بن عمار بن ياسر	١	٥٥
إذا أحب اللهُ عبداً نادى جبريلَ: إن الله يحب فلانا	أبو هريرة	١	٩٣
إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار	أبو بكرة	١	٣٧
إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فإن وُسِّع له فليجلس	شيبة بن عثمان العبدرى	٢	١٩٢
إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلِّم	أبو هريرة	٢	٢٩٤
إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة	أبو مسعود الأنصارى	١	٥٠
إذا جلستم فاخلعوا نعالكم	أنس بن مالك	٢	٢١٨

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه	أبو سعد بن أبى فضالة	١	٦٧
إذا حدّث الرجل بحديثٍ ثم التفت فهى أمانة	جابر بن عبد الله	٢	٢٧٤
إذا شربوا الخمر فاجلدوهم	جماعة من الصحابة	م	٣٠
إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به	أبو هريرة	٢	٢٣٥
إذا قام الرجل من مجلس ثم رجع إليه فهو أحق به	أبو هريرة	٢	٢٣٦
إذا قرِّب إلى أحدكم طعامه وفى رجله نعلان فلينزع	أنس بن مالك	٢	٢٩٩
إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث	عبد الله بن عمر	٢	٢٦٣
إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر	عبد الله بن مسعود	٢	٢٦٤
إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا	أبو هريرة	٢	١٦٢
إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا	أنس بن مالك	٢	١٦٣
اركبوا هذه الدواب سالمة	معاذ بن أنس	٢	١٤٧، ١٤٨
أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم	أنس بن مالك	م	٣
ألا أدلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا	أبو هريرة	١	٨٢
ألا مشَمِّرٌ للجنة فإن الجنة لا خطر لها	أسامة بن زيد	١	٦١
إنَّ أبواب الجنة تحت ظلال السيوف	أبو موسى الأشعرى	١	٦٦
إن أبيتم إلا أن تجلسوا فاهدوا السبيل	البراء بن عازب	٢	١٣٧
إن أصدق الحديث كتاب الله	جابر بن عبد الله	م	٢٠
إنَّ أكثر شهداء أمتى أصحاب الفُرُش	عبد الله بن مسعود	١	٤٤
إنَّ أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل	عبد الله بن مسعود	٢	١٤٦

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
إنَّ أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجلٌ استشهد	أبو هريرة	١	٨٨
إنَّ بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيرًا	أنس بن مالك	١	٣٦
إنّ الله تبارك وتعالى يقول: أنا خير شريك	الضحاك بن قيس	١	٦٩
إنّ الله طيِّبٌ لا يقبل إلا طيباً	أبو هريرة	١	٧٧
إنَّ الله عز وجل ضمن لمن كانت المساجد بيته الأمن	أبو الدرداء	١	٨٠
إنَّ الله عز وجل يعطى عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف	أبو هريرة	١	٤٠
إنَّ الله قد أوقع أجره على قدر نيته	جابر بن عتيك	١	٤٧
إنَّ الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك	عبد الله بن عباس	١	٣٩
أنّ رجلاً أتى النبىَّ ﷺ فقال: أى البلاد شر؟	جبير بن مطعِم	٢	١١٥
أنّ رجلاً زارَ أخاً له فى قرية أخرى	أبو هريرة	٢	١٨٤
أنّ رجلاً سأل النبىَّ ﷺ أى البقاع خير؟	عبد الله بن عمر	٢	١١٢
أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، إنى أقف الموقف أريد به وجه الله	عبد الله بن عباس	١	٣٢
أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، أى البلدان أحب إلى الله؟	جبير بن مطعم	٢	١١٤
أنَّ رجلاً مرَّ على رسول الله ﷺ وهو فى مجلس فقال: سلام عليكم	أبو هريرة	٢	٢١٥
أنّ رجلاً من الأعراب جاء إلى النبى ﷺ فآمن به واتبعه	شداد بن الهاد	١	٦٥
أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا	سهل بن سعد	١	٧٤

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس فى المسجد والناس معه	أبو واقد الليثى	١	٢٢٦
أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور	أبو هريرة	١	٢٦
أنّ رسول الله ﷺ لعن من جلس وسط الحلقة	حذيفة بن اليمان	٢	٢٤١
أنَّ رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر أراد خيثمة وأبوه.	سليمان بن أبان بن حدير	١	٦٣
أنَّ رسول الله ﷺ مر بناس من الأنصار وهم جلوس	البراء بن عازب	٢	١٣٦
أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بمجلسين فى مسجده.	عبد الله بن عمرو بن العاص	٢	١٥٩
إنَّ شجرةً كانت تؤذى المسلمين فجاء رجل فقطعها.	أبو هريرة	٢	١٣١
أنَّ عبد الله بن رواحة كان إذا لقى الرجل من أصحابه	أنس بن مالك	م	٧٦
إنَّ الغزاة إذا غنموا غنيمةً تعجَّلوا ثلثى أجرهم	عبد الله بن عمرو بن العاص	٢	٨٥
إن كان الشؤم فى شيء ففى الدار والمرأة والفرس	جماعة من الصحابة	٢	١١
إنْ كدتُم آنفًا لتفعلون فعل فارس والروم	جابر بن عبد الله	٢	٢٢٧
إنَّ لقمان قال لابنه: عليك بمجالس العلماء	أبو أمامة الباهلى	٢	١٧٣
إنَّ لله ملائكةً يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر	أبو هريرة	٢	١٦٤
إنَّ من التواضع لله الرضا بالدون من شرف المجالس	طلحة بن عبيد الله	٢ ٢	٢٤٦
إن أصدق الحديث كتاب الله	جابر بن عبد الله	م	٧
إن من شرب الخمر فاجلدوه	جابر بن عبد الله	م	١٨

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
إن من شقاء المرءفى الدنيا ثلاثة	أسماء بنت عميس	م	١٤
إنَّ من البيان لسِحْرًا	عبد الله بن عمر	٢	٢٥٤
إن من التواضع لله الرضا بالدون من شرف المجالس	طلحة بن عبيد الله	٢	٢٤٦
إن ناسًا من أصحاب النبى ﷺ قالوا للنبى ﷺ: ذهب أهل الدثور	أبو ذر الغفارى	١	٤٨
إنَّ ناسًا من أصحاب النبى ﷺ قالوا يارسول الله إنا نعمل أعمالاً فى السر	حبيب بن أبى ثابت	١	٩٧
إنَّ النبى ﷺ كان إذا صلى الفجر جلس فى مصلاه	جابر بن سَمُره	١	٢١٠
إنَّ النَّبىَّ ﷺ كان فى غزاة فقال: إن أقوامًا بالمدينة	أنس بن مالك	٢	٣٥
إن النَّبىَّ لم يمت حتى صلى قاعدًا	جابر بن سمرة	م	٢١
إنَّ النَّبىَّ ﷺ نهى عن التحلُّق يوم الجمعة	عبد الله بن عمر	٢	١٨٩
إن النَّبىَّ ﷺ نهى عن ذا.	أبو بكرة	١	١٩٩
أنتم شهداء الله فى الأرض	أنس بن مالك	١	٩٥
انطلق ثلاثة نفرٍ ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت	عبد الله بن عمر	١	٤١
إنك لن تنفق نفقةً تبتغى بها وجه الله إلا أُجِرْت عليها	سعد بن أبى وقاص		٤٩
إنما الأعمال بالنيات	عمر بن الخطاب	١	٣١
إنما الدنيا لأربعة نفر	أبو كبشة الأنمارى	١	٣٨
إنما الطيرة فى المرأة والدابة والدار	أبو هريرة	م	١٥
إنما يجلس المتجالسون بأمانة الله	أبو بكر بن محمدبن حزم	٢	١٦٦
أنه أتى النبى ﷺ فوجده يصلى جالسًا	عبد الله بن عمرو بن العاص	م	٢٥

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
أنه سأل النبى ﷺ: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟	أبو هريرة	٥	٨
إنه لَيُغَان على قلبى وإنى لأستغفر الله	الأغر المزنى	١	٨٧
أنه ﷺ مرَّ على قومٍ وهم وقوفٌ على دواب لهم ورواحل	معاذ بن أنس	٢	١٥٠
أنه نهى أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر	عبد الله بن عمر	٢	١٩٤
أوصانى رسول الله ﷺ بعشر كلمات	معاذ بن جبل	م	١
إياكم والتعريسَ على جَوَادِّ الطريق	جابر بن عبد الله	٢	١٢٧
إياكم والجلوس على الطرقات	أبو سعيد الخدرى	٢	١٣٤
إياكم والجلوس فى الصعدات	عمر بن الخطاب	٢	١٤٠
إياكم والسمر بعد هدأة الليل	جابر بن عبد الله	٢	١٧٣
الإيمان بضع وستون ـ أو بضع وسبعون ـ شعبة	أبو هريرة	٢	١٠٣
أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل	أبو موسى الأشعرى	١	٥٦
البِرُّ حسن الخُلق والإثم ما حاك فى صدرك	النواس بن سمعان	١	٦٨
البِرُّ ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب	أبو ثعلبة الخشنى	١	١٠٠
بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم	عبد الله بن حوالة	١	٨٤
بين يدى الساعة تسليم الخاصة	عبد الله بن مسعود	٢	٢٦١
بينما أنا قاعد فى المسجد وحلقة من فقراء المهاجرين قعود	عبد الله بن عمرو بن العاص	٢	١٨٨
بينما رجل يمشى بطريقٍ وجد غصن شوك	أبو هريرة	٢	١٢٨

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل	عمر بن الخطاب	٢	٢٤٤
تبسُّمك فى وجه أخيك صدقة	أبو ذر الغفارى	٢	٢٤٨
توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار	أبو زهير الثقفى	١	٩١
ثلاث من السعادة، وثلاث من الشقاوة	سعد بن أبى وقاص	م	١٣
ثلاثٌ يُصْفِين لك وُدَّ أخيك	عثمان بن طلحة	٢	١٩٣
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقام له رجل من مجلسه	عبد الله بن عمر	٢	٢٣٠
جاء رجل إلى النبىِّ ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر	أبو أمامة الباهلى	١	٧٢
جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى أعمل العمل فأُسِرُّه	أبو مسعود الأنصارى	١	٩٦
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: ما القتال فى سبيل الله؟	أبو موسى الأشعرى	١	٧١
جاءنا أبو بكرة رضى الله عنه فى شهادة فقام له رجل من مجلسه	سعيد بن أبى الحسن	٢	١٩٩
جالس العلماء وسائل الكبراء	أبو جحيفة وهب بن عبد الله	٢	١٧٤
جدب لنا رسول الله ﷺ السمر بعد العشاء	عبد الله بن مسعود	٢	٢٠٢
جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين	أبو سعيد الخدرى	٢	١٨٧
جليس المسجد على إحدى ثلاث خصال	أبو هريرة	٢	١٥٤
حُدِّثت أن عتبة بن ربيعة وهو جالس فى نادى قريش	محمد بن كعب القرظى	٢	٢٦٢
حدثنى رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة	أبو هريرة	١	٨٩
حقٌّ على من قام على مجلسٍ أن يسلِّم عليهم	معاذ بن أنس	٢	٢١٦

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئًا على عصا فقمنا إليه	أبو أمامة الباهلى	٢	٢٢٨
خرج معاوية على حلقة فى المسجد	أبو سعيد الخدرى	٢	١٥٧
خير البقاع المساجد وشرها الأسواق	عبد الله بن عمر	٢	١١٣
خير المجالس أوسعها	أبو سعيد الخدرى	٢	١٩١، ١٩٨
رأيت النبى ﷺ فى المسجد وهو قاعد القُرفُصاء	قيلة بنت مَخرَمة	٢	٢٤٥
الرجل أحق بصدر دابته وبمجلسه إذا رجع	أبو سعيد الخدرى	٢	٢٣٩
الرجل أحق بمجلسه وإن خرج لحاجته ثم عاد	وهب بن حذيفة	٢	٢٣٨
الرجل يعمل العمل لله فيحبه الناس عليه	أبو ذر الغفارى	١	٩٢
سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله	أبو هريرة	٢	١٥١
سبق درهمٌ مائة ألف درهم	أبو هريرة	١	٣٣
سئل رسول الله عن هذه الآية ﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾	عبد الله بن مسعود	١	١٠١
شهدنا مع رسول الله ﷺ فقال لرجل ممن يدَّعى الإسلام	أبو هريرة	١	٧٥
الشؤم فى ثلاث: فى الدار، والمرأة، والفرس	أبو هريرة	م	١٦
صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم	السائب بن عبد الله	م	٢٠
طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله	أبو هريرة	١	٥١
عَبِثَ رسولُ الله فى منامه	عائشة	١	٥٧
غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر	أنس بن مالك	١	٧٤
الغزو غزوان فأما من ابتغى وجه الله	معاذ بن جبل	١	٧٣
فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر	عبد الله بن عمر	م	١٠
فزوروا القبور فإنها تذكر الموت	أبو هريرة	م	٢٧

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
قاتل الله اليهود، يقولون: إن الشؤم فى ثلاث	عائشة	م	١٦
قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك	أبو هريرة	١	٦٨
قال الله تبارك وتعالى: وجبتْ محبتى للمتحابين فىّ	معاذ بن جبل	م	١٧٢
قال أهل العالية: يا رسول الله، لابد لنا من مجالس	سهل بن حنيف	م	١٤٢
قال رجل: لأتصدَّقن بصدقة	أبو هريرة	١	٤٣
قال رجل: ما الإثم يا رسول الله؟	أبو أمامة الباهلى		١٠٥
قال رجل: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل فيُسِرَّه	أبو هريرة	٢	٩٤
قال لى رسول الله ﷺ فى حجة الوداع: استنصت الناس	جرير بن عبد الله البجلى	٢ ١	٢٥٩
قدم النبى ﷺ المدينة وهى مُحِمَّة	أنس بن مالك	١	٢٣
قدمت الشام فصليت ركعتين ثم قلت: اللهم يَسِّرْ لى جليسًا	علقمة بن قيس	١	١٦٩
قدمت المدينة، قلت: اللهم يَسِّرْ لى جليسًا صالحًا	حريث بن قبيصة	٢	١٧١
قدمنا المدينة فنالنا وباء من وعك المدينة	عبد الله بن عمر	م	٢٤
قلت لجابر بن سَمُرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟	سماك بن حرب	م	٢٥١
قلت: يا رسول الله، ما غنيمة مجالس الذكر؟	عبد الله بن عمر بن العاص	٢	١٦١
قلت: يانبى الله علمنى شيئًا أنتفع به	أبو برزة الأسلمى	م	١٣٢
قلَّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو	عبد الله بن عمر	٢	٢٧٨

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
قولى: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات	عائشة	٢ ٢	٢٩
قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض	أنس بن مالك	٢	٦٢
قيل: يا رسول الله، أىُّ جلسائنا خير؟	عبد الله بن عباس	م	١٧٥
قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير	أبو ذر الغفارى	١	٩٢
كان أبى يزيد أخرج دنانير يتصدق بها	معن بن يزيد	٢	٤٢
كان أول من قال فى القدرة بالبصرة معبد الجهنى	يحيى بن يعمر	١	١٧٨
كان رسول الله ﷺ إذا اجتمع عليه أصحابه فأراد أن ينهض	رافع بن خديج	١	٢٨٢
كان رسول الله ﷺ إذا جلس وجلسنا حوله فقام	أبو الدرداء	٢	٢٤٠
كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال: بسم الله	بريدة بن الحصيب	٢	١١٨
كان رسول الله ﷺ دائم البشر	على بن أبى طالب	٢	٢٥٨
كان رسول الله ﷺ يستحب أن يؤخر العشاء	أبو برزة الأسلمى	٢	٢٠٠
كان رسول الله ﷺ يسمُر مع أبى بكر	عمر بن الخطاب	٢	٢٠٤
كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلى على ذكر	على بن أبى طالب	٢	٢٦٠
كان رسول الله ﷺ يقول بآخره: سبحانك اللهم وبحمدك	أبو برزة الأسلمى	٢	٢٧٩
كان عبد الله يذكر الناس فى كل خميس	أبو وائل شقيق بن سلمة	٢ ٢	٢٠٦
كان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته	عبد الله بن عباس	٢	٢٧٦

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
كان النبى ﷺ قبل أن يموت يكثر أن يقول: سبحانك	أم سلمة	٢	٢٨٣
كان النبى ﷺ يتخولنا بالموعظة فى الأيام	عبد الله بن مسعود	٢	٢٠٥ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧
كان يعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة	عبد الله بن عمر	٢	٢٧٣
الكلمة الطيبة صدقة	أبو هريرة		٢٥٥
كلمات لا يتكلم بهنّ أحد فى مجلسه عند قيامة ثلاث مرات	عبد الله بن عمرو بن العاص	٢	٢٨٤
كنا إذا أتينا النبى ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهى	جابر بن سَمُرة	٢	٢٢٥
كنا قعودا بالأفنية نتحدث فجاء رسول الله ﷺ	أبو طلحة	٢	١٣٥
كنا مع النبى ﷺ فى غزاة فقال: إن بالمدينة لرجالا	جابر بن عبد الله	٢	٣٤
كنا نسلم فى الصلاة ونأمر بحاجتنا	عبد الله بن مسعود		
كنا ننتظر عبد الله إذ جاء يزيد بن معاوية	أبو وائل شقيق بن سلمة	١	٢٠٧
لا تتخذوا الدواب كراسىّ	معاذ بن أنس	م	١٤٩
لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم الحديث	عمر بن الخطاب	٢	١٧٩
		٢	
لا تجلسوا فى المجالس فإن كنتم فاعلين فردوا السلام	عبد الله بن عباس	٢	١٤١
لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تفرغ من دلوك	أبو جرى الهجيمى	٢	٢٥٣
لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق	أبو ذر الغفارى	٢	٢٥٢

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقىّ	أبو سعيد الخدرى	٢	١٦٨
لاتعلّموا العلم لتباهوا به العلماء	جابر بن عبد الله	٢	١٨٣
لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها	سلمان الفارسى	٢	١١٦
لا يتناجى اثنان دون الثالث	عبد الله بن عمر		٢٦٥
لا يجْلس الرجل بين الرجل وابنه فى المجلس	سهل بن سعد	٢	٢٢٢
لا يُجْلَس بين رجلين إلا بإذنهما	عبد الله بن عمرو بن العاص	٢	٢٢٠
لا يحل لرجلٍ أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما	عبد الله بن عمرو بن العاص	٢	٢٢١
لا يزال أحدكم فى صلاة ما دامت الصلاة تحبسه	أبو هريرة	٢	٨١
لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر	سلمان الفارسى	١	٢٢٤
لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة	أبو سعيد الخدرى	٢	١٥٦
لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه	أبو هريرة		١٩٧
لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه	عبد الله بن عمر	٢	١٩٦
لأن أقعد مع قومٍ يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة	أنس بن مالك	٢	٢١١
لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع	جابر بن سمرة	٢	
لعلكم ستفتحون بعدى مدائن عظاما	وحشى بن حرب		١٢٠
لعن الله على لسان محمد ﷺ من جلس وسط الحلقة	حذيفة بن اليمان	م ٢	٢٤٢

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى شجرةٍ قطعها	أبو هريرة	٢	١٣٠
لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ	أنس بن مالك	٢	٢٢٩
لما بدَّن رسول الله وثقل كان أكثر صلاته جالسًا	عائشة	٢	٢٢
لما نزلت قريظة على حكم سعد ـ هو ابن معاذ ـ	أبو سعيد الخدرى	م	٢٣٢
لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب	أبو سعيد الخدرى	٢	٩٠
لِيتحلَّقْ عشرة عشرة	أنس بن مالك		١٨٦
ليس على المسلم فى فرسه وغلامه صدقة	أبو هريرة	١ ٢	٩
ما اجتمع قومٌ فى بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله	أبو هريرة	م	١٥٥
ما توطَّن رجل المساجد للصلاة والذكر	أبو هريرة	٢	١٥٢
ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه	أبو هريرة	٢	٢٧١
ما حجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت	جرير بن عبد الله	٢	٢٤٩
ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ	عبد الله بن الحارث ابن جزء	٢	٢٥٠
ما رأيت أحدا كان أشبه سمتًا وهديًا ودلا برسول الله ﷺ	عائشة	٢	٢٣٣
ما قعُد قومٌ مقعدًا لا يذكرون الله عز وجل	أبو هريرة	٢	٢٧٢
ما لى أراكم عزين	جابر بن عبد الله	٢	١٩٠
ما من امرئ تكون له صلاة بليل يغلبه عليها نوم	عائشة	١	١١٠

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
ما من رجل كان توطن المساجد فشغله أمر أو علة	أبو هريرة	٢	١٥٣
ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله	أنس بن مالك	٢	١٥٨
ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه	أبو هريرة	٢	٢٦٧
ما نام رسول الله ﷺ قبل العشاء	عائشة	٢	٢٠١
ما نحل والدٌ ولدًا من نحل أفضل من أدب حسن	عمر بن سعيد بن العاص	٢	٤
مثل الجليس الصالح كحامل المسك	أنس بن مالك	م	١٦٧
مثل الجليس الصالح والجليس السوء	أبو موسى الأشعرى	٢	١٦٦
مثل المؤمن كخامة الزرع	كعب بن مالك الأنصارى	٢	٥٣
مثل المؤمن خامة الزرع	أبو هريرة	١	٥٤
مثل المؤمن مثل السنبلة تميل أحيانًا	الحسن البصرى	١	٥٢
المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس	جابر بن عبد الله	١	٢٧٧
المجالس ثلاثة: سالم وغانم وشاجب	أبو سعيد الخدرى	٢	٢٦٩
المجالس ثلاثة: غانم وسالم وشاجب	أبو هريرة	٢	٢٧٠
مداراة الناس صدقة	جابر بن عبد الله	٢	٢٦٦
مرَّ بى رسول الله ﷺ وأنا جالس هكذا	الشريد بن سويد	٢	٢٤٣
مرَّ النبى ﷺ بامرأة وهى تبكى عند قبر	أنس بن مالك	٢	٣٠
المرء على دين خليله	أبو هريرة	م	١٦٥
الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاه	أبو هريرة	٢	٢٠٩
ملعون على لسان محمد ﷺ من جلس وسط الحلقة	حذيفة بن اليمان	٢	٢٤٢

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
من آذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليه لعنتهم	حذيفة بن اليمان	٢	٢٢٥
من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل	أبو الدرداء	١	١٠٩
من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا	معاوية	٢	٢٣١
من اكتسب مالاً من مأثم	القاسم بن مخيمرة	١	٧٨
من تعلم علمًا ممن يبتغى به وجه الله	أبو هريرة	٢	١٨١
من توضأ فى بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد	سلمان الفارسى	١	٧٩
من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه	أبو هريرة	٢	٢٨٠
من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له	عمر بن الخطاب	٢	١١٧
من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء	سهل بن حنيف	٢	٤٥
من سأل الله القتل فى سبيله صادقًا من قلبه	معاذ بن جبل	١	٤٦
من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن	عمر بن الخطاب	١	١٠٤
من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى	الشعبى	٢	٢٨٥
من سعادة ابن آدم ثلاثة	سعد بن أبى وقاص		١٢
من سلَّ سخيمته على طريق من طرق المسلمين	أبو هريرة	٢	١٢٦
من سمَّع سمَّع الله به ومن يراء الله به	جندب بن عبد الله	٢	١٠٢
من سمَّع الناس بعمله سمَّع الله به سامع خلقه	عبد الله بن عمرو بن العاص	م	١٠٣
من السنة إذا جلس الرجل أن يخلع نعليه	عبد الله بن عباس	٢	٢١٧

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
من صلى الغداة فى جماعة ثم جلس يذكر الله	أبو أمامة الباهلى	١	٢١٣
من صلى الغداة فى جماعة ثم قعد يذكر الله	أنس بن مالك	١	٢١٢
من طلب العلم ليمارى به السفهاء	كعب بن مالك	٢	١٨٢
من عاد مريضًا أو زار أخًا له فى الله	أبو هريرة	٢	١٨٥
من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا	أبو أمامة الباهلى	٢	٨٣
من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده	أنس بن مالك	٢	٦٠
من فرق بين اثنين فى مجلسٍ تكبُّرا فليتبوأ مقعده من النار	أبان بن عثمان بن عفان	٢	٢٢٣
من قال: سبحان الله وبحمده سبحانك اللهم وبحمدك	جبير بن مطعم	٢	٢٨١
من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به	أبو هريرة	١	٢٣٥
من قعد مقعدًا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة	أبو هريرة	١	٢٦٨
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر	عبد الله بن عباس	٢	١٤٥
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يدار عليها الخمر	عمر بن الخطاب	٢	١٤٤
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يشرب عليها الخمر	جابر بن عبد الله	٢	١٤٣
من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه	أنس بن مالك	١	١٠٦

طرف الحديث	الراوى	الباب	رقم الحديث
من كانت الدنيا همه فرّق الله عليه	زيد بن ثابت	٢	١٠٧
شمله	أبو هريرة	١	١٠٨
من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه			
نهى رسول الله ﷺ عن أن تجلسوا	أبو هريرة	٢	١٣٨
بأفنية الصعدات			
نهى النبى ﷺ أن يخلف الرجل	عبد الله بن عمر	٢	٢٣٧
الرجل فى مجلسه			
نهى النبى ﷺ أن يقيم الرجل أخاه من	عبد الله بن عمر	٢	١٩٥
مقعده	بريدة بن الحصيب	١	٢٨
نهيتكم عن زيارة القور فزوروها			
والذى أنزل القرآن على أبى القاسم ما	عائشة	م	
هكذا كان يقول			
وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فيتلقانى	كعب بن مالك	٢	٢٣٤
الناس فوجًا فوجًا	عبد الله بن مسعود	٢	١٢١
وإيكام وهيشات الأسواق	عمر بن الخطاب	٢	١٣٩
وتغيثوا الملهوف وتعهدوا الضال	أبو ذر الغفارى	٢	١٧٧
الوحدة خير من جليس السوء	عمر بن الخطاب	م	
وكنا معشر قريش نغلب النساء	على بن أبى طالب	٢	١٨٠
يا على أسبغ الوضوء وإن شق عليك	أنس بن مالك	١	٧٠
يؤتى يوم القيامة بصحف مختَّمة	صفية بنت حيى	١	٥٩
يبعثهم الله على ما فى أنفسهم	أم سلمة	١	٥٨
يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث			
يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من	عائشة	١	٥٦
الأرض			
يقول الرب عز وجل يوم القيامة:	أبو سعيد الخدرى	٢	١٦٠
سيعلم أهل الجمع			

٢ ـ فهرست الأعلام المترجم لهم فى الكتاب

الاســـم	الصفحة	الاســـم	الصفحة
إبراهيم بن أدهم	٩٤	حبيب بن أبى ثابت	٥٩
إبراهيم بن يزيد التيمى	٥٨	حريث بن قبيصة	١٤٠
إبراهيم بن يزيد النخعى	١٥٤	الحسن بن أبى الحسن البصرى	٣٩
أحمد عبد الرحمن البنا	٤٣	الحسن بن على بن أبى طالب	٧٩
أحمد بن محمد بن حنبل	٦٨	الحسين بن الحسن بن محمد بن	
الأحنف بن قيس بن معاوية	١٦١	حليم الحليمى	١٠٤
إسماعيل بن عُلَيَّة	٤٣	خالد بن صبيح (أبو الهيثم)	٧٤
أوس بن عبد الله (أبو الجوزاء)	١٤٨	خيثمة بن عبد الرحمن	١٤٠
الأسود بن هلال	١٣٥	أبو الدرداء = عويمر بن ثعلبة	٩٣
أيوب بن أبى تيمية السَّخْتيانى	٨٦	داود بن نصير الطائى	٥١
بريدة بن الحصيب	٧٣	رفيع بن مهران (أبو العالية)	٦٧
بكر بن عبد الله المزنى	٤٣	زُبَيْد بن الحارث اليامى	٨٠
بلال بن سعد	٦٦	زيد بن أسلم	١٣٩
البيضاوى = عبد الله بن محمد	٥٦	زين العابدين= على بن الحسين	١٣٩
جبير بن نفير	٩٣	سالم بن عبد الله بن عمر	٤٤
أبو جحيفة = وهب بن عبد الله	١٤٣	السَّرى بن المغلس	٨٦
جعفر بن حيان	٤٨	سعيد بن عمرو بن العاص	١٨٦
جعفر الصادق بن محمد بن على	١٤٦	سفيان بن سعيد الثورى	٣٧
ابن الحاج = محمد بن أحمد بن		سفيان بن عيينة	١٤٣
خلف	١١٥	سلمان الفارسى ابن الإسلام	١١٣
الحارث بن قيس	٨٨	سليمان بن داود الهاشمى	٨٧
ابن حبان = محمد حبان	١٤١	سليمان بن مهران الأعمش	١٥٧

الاســـــم	الصفحة	الاســـــم	الصفحة
سهل بن عبد الله التسترى	٨٧	أبو عثمان النهدى= عبد الرحمن بن مل	١١٤
الشافعى = محمد بن إدريس	٨٢	عروة بن الزبير	١٧٩
شعبة بن الحجاج	١٥٢	علقمة بن قيس النخعى	١٣٩
الشعبى = عامر بن شراحيل	١٤٤	على بن الحسين بن على (زين العابدين)	١٣٩
طاوس بن كيسان اليمانى	٥٩	عمرو بن دينار	١٩٢
طلق بن حبيب العنزى	٩٢	عويمر بن ثعلبة (أبو الدرداء)	٩٣
عامر بن شراحيل الشعبى	١٤٤	الفضيل بن عياض	٧١
أبو العالية الرِّيحانى = رفيع بن مهران	٦٧	قتادة بن دعامة السدوسى	١٣٠
ابن عبد البر = يوسف بن عبد الله	١٨٧	كعب الأحبار بن مانع الحميرى	١٧٩
عبد الرحمن بن على بن محمد(ابن الجوزى)	٩٨	الليث بن سعد	٥٩
عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى	٩٠	مالك بن أنس	٤٤
عبد الرحمن بن مل (أبو عثمان النهدى)	١١٤	مجاهد بن جبير	٧٤
عبد الله بن زيد الجَرْمى (أبو قلابة)	١٤٩	محمد بن أحمد بن أبى جمرة	١٦٠
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب	١٨٦	محمد بن أحمد بن خلف (ابن الحاج)	١١٥
عبد الله بن عمرو بن العاص	٩٠	محمد بن إدريس الشافعى	٨٢
عبد الله بن المبارك	٤٠	محمد بن حبان (أبو حاتم بن حبان)	١٤١
عبد الله بن محمد (القاضى البيضاوى)	٥٦	محمد بن الحنيفية = محمد بن على بن أبى طالب	١٤٨
عبد الله بن مسعود	١٣١	محمد بن سابق المصرى	٩٣
عبد الله بن مسلمة القعنبى	٤٤	محمد بن سيرين	١٤٨
عبد الله بن مُطَرِّف	٨٧	محمد بن عجلان	٧٦
عبد الله بن وهب	٨٣		
عبد الواحد بن زيد	١٣٧		

الاســـم	الصفحة	الاســـم	الصفحة
محمد بن محمد الغزالى	٥٦	وهب بن مُنَبِّه	٨٨
مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير	٣٩	يحيى بن أبى كثير	٥٨
معاذ بن جبل	١٣٥	يحيى بن معاذ الرازى	٥٧
معاوية بن قرَّة	١٥١	يزيد بن معاوية النخعى	١٦٤
معبد بن عبد الله الجهنى	١٤٧	يوسف بن أسباط	٨٦
معمر بن راشد	٨٤	يوسف بن الحسين الرازى	٨٩
مكى بن إبراهيم	٥٨	يوسف بن عبد الله (أبو عمر بن عبد البر)	١٨٧
نافع بن جبير	٦٠		
هشام بن أبى عبد الله الدستوائى	٨٦	أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضى	٧٤
وهب بن عبد الله السوائى (أبو جحيفة)	١٤٣		

٣ـ فهرست المصادر والمراجع

١ ـ القرآن القكريم

٢ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: للأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسى (ت٧٣٩هـ) = **صحيح ابن حبان.**

٣ـ إحياء علوم الدين: لأبى حامد محمد بن محمد الغزالى (ت٥٠٥هـ) طبعة الشعب - القاهرة .

٤ـ الأدب المفرد: لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (ت٢٥٦هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا. الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٠هـ

٥ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة: لعز الدين على بن محمد، بن الأثير (ت٦٣٠هـ) تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرون طبعة دار الشعب القاهرة .

٦ـ الإصابة فى تمييز أسماء الصحابة: للحافظ أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) تحقيق. عادل أحمد عبد الموجود ـ وعلى محمد معوض ـ الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١٥هـ

٧ـ الأنساب: لعبد الكريم بن محمد السمعانى (ت٥٦٢ هـ) تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ـ الطبعة الأولى دار الجنان ـ بيروت ١٤٠٨هـ .

٨ـ البداية والنهاية: لأبى الفداء إسماعيل بن كثير(ت٧٧٤هـ) طبعة القاهرة ١٣٥١ - ١٣٥٨هـ.

٩ـ بهجة المجالس وأنس المجالس: لأبى يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبى (ت ٤٦٣هـ) تحقيق: محمد مرسى الخولى. طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠ـ تاج العروس من جواهر القاموس: لأبى الفيض السيد محمد نرتضى الزبيدى (ت) الطبعة الأولى المطبعة الخيرية بمنشأة الجمالية ـ القاهرة ١٣٠٦ هـ .

١١ـ تاريخ الإسلام: لشمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبى (ت ٧٤٨هـ)

تحقيق: د/ بشار عواد معروف الطبعة الأولى ـ مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ.

١٢ـ تاريخ بغداد: لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغداى (ت٤٦٣هـ) طبعة دار الكتاب العربى ـ بيروت.

١٣ـ التاريخ الكبير: لأبى عبد الله البخارى. تحقيق: عبد الرحمن المعلمى اليمانى. طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٨٠هـ.

١٤ـ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى: لأبى العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى. الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٠هـ

١٥ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: لأبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن الزكى المزى (ت٧٤٢هـ) تحقيق: عبد الصمد شرف الدين الطبعة الثانية ـ الدار القيمة ـ بومباى، والمكتب الإسلامى ـ دمشق.

١٦ ـ تذكرة الحفاظ: لشمس الدين الذهبى. تحقيق: عبد الرحمن المعلمى اليمانى طبعة حيدر آباد ١٣٧٧هـ .

١٧ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: للقاضى عياض بن موسى اليحصبى (ت٥٤٤هـ) تحقيق: د/ أحمد بكير محمود. طبعة ١٣٨٧هـ ـ منشورات دار مكتبة مكتبة الحياة ـ بيروت.

١٨ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشرف: لعبد العظيم بن عبد القوى المنذرى (ت٦٥٦هـ) تحقيق: مصطفى.

١٩ـ تفسير القرآن العظيم: لأبى الفداء ابن كثير. الطبعة الثانية ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤١٠هـ.

٢٠ـ التكملة لوفيات النقلة: للمنذرى . تحقيق: د/ بشار عواد معروف ـ طبعة بيروت ١٩٨١م.

٢١ـ تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلانى ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٥هـ.

٢٢ـ تهذيب الكمال فى أسماء الرجال: لأبى الحجاج المزى. تحقيق د. بشار عواد معروف ـ الطبعة الخامسة مؤسسة الرسالة: بيروت ١٤١٣هـ.

٢٣ـ الترغيب والترهيب. تحقيق د. مصطفى محمد عمارة ـ طبعة دار الحديث ـ القاهرة ١٤٠٧هـ .

٢٤ـ جامع البيان عن تأويل آى القرآن: لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى(ت ٣١٠هـ) الطبعة الثالثة ـ دار المعرفة ـ بيروت . ١٣٩٨هـ .

٢٥ـ جامع بيان العلم وفضله: لأبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى (ت٤٦٨هـ تحقيق: أبى الأشبال الزهيرى ـ الطبعة الأولى، دار ابن الجوزى ـ الدمام ـ ١٤١٤هـ).

٢٦ـ الجامع الصحيح = سنن الترمذى.

٢٧ـ جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم: لأبى الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين المعروف بابن رجب الحنبلى (ت٧٩٥هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس. الطبعة السادسة ـ مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ

٢٨ـ الجرح والتعديل: لأبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى (ت٣٢٧هـ) تحقيق: عبد الرحمن المعلمى اليمانى. طبعة حيدر آباد ١٣٧٣هـ

٢٩ـ جواب كتاب من الرى: أبى عبد الله محمد بن على بن الحسن، المعروف بالحكيم الترمذى (ت) طبعة المطبعة الكاثوليكية.

٣٠ـ جواهر الأدب فى أدبيات إنشاء لغة العرب: للسيد أحمد الهاشمى. منشورات دار المعارف ـ بيروت.

٣١ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى (ت٤٣١هـ) الطبعة الثانية ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت.

٣٢ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور: لجلال الدين أبى بكر بن عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت٩١١هـ) طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

٣٣ـ الرعاية لحقوق الله: لأبى عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى (ت) تحقيق: د/ عبد الرحمن عبد الحميد البر. الطبعة الأولى ـ دار اليقين ـ المنصورة ١٤١٨هـ

٣٤ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: لأبى حاتم محمد بن حبان البستى (ت٣٥٤هـ) تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، وآخرين. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٧هـ.

٣٥ـ **رياض الصالحين**: لأبى زكريا يحيى بن شرف النووى (ت٦٧٦هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط . الطبعة الأولى ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٧هـ.

٣٦ـ **زاد المعاد فى هدى خير العباد**: لشمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية (١٧٥١هـ) تحقيق: شعيب وعبد القادر الأوناؤوط ـ الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩٩هـ.

٣٧ـ **الزهد**: للإمام عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٨ـ **الزهد الكبير**: لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى (ت ٤٥٨هـ) تحقيق: د/ تقى الدين الندوى. الطبعة الثانية ـ دار القلم ـ الكويت ١٤٠٣هـ.

٣٩ـ **سنن ابن ماجه**: لأبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى (ت٢٧٥هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى طبعة المكتبة العلمية ـ بيروت.

٤٠ـ **سنن أبى داود**: أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى (ت٢٧٥هـ) تحقيق: محم محيى الدين عبد الحميد طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة.

٤١ـ **سنن الترمذى**: أبى عيسى محمد بن سورة الترمذى (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، واخرين طبعة المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

٤٢ـ **سنن الدارمى**: لأبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى (ت٢٥٥هـ) تحقيق: فؤاد أحمد زمرلى ـ وخالد السبع العلمى ـ الطبعة الأولى دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ ١٤٠٧هـ .

٤٣ـ **سنن سعيد بن منصور**: لسعيد بن منصور الخرسانى (ت٢٢٧هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى الطبعة الأولى دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥هـ.

٤٤ـ سنن النسائى: لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى (ت٣٠٣هـ) بحاشية السندى وشرح زهر الربى للسيوطى. طبعة دار إحياء التراث العربى-بيروت.

٤٥ـ **السنن الكبرى**: لأبى بكر البيهقى. طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

٤٦ـ **سير أعلام النبلاء**: لشمس الدين الذهبى. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرين. الطبعة

العاشرة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٤هـ.

٤٧ـ **شذرات الذهب فى أخبار من ذهب** : لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت١٠٨٩) طبعة دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

٤٨ ـ **شرح السنة**: للحسين بن مسعود البغوى (ت: ٥١٠هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

٤٩ـ **شرح معانى الآثار**: لأبى جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى (ت٣٢١هـ) تحقيق: محمد زهرى النجار. الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٩هـ.

٥٠ـ **شرح النووى على صحيح مسلم**: لأبى زكريا النووى الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٣٤٩هـ .

٥١ـ **شعب الإيمان**: لأبى بكر البيهقى. تحقيق: أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول. الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٠هـ.

٥٢ـ الشمائل المحمدية: لأبى عيسى الترمذى (ت٢٧٩هـ).

٥٣ـ **الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهرى . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٢هـ**

٥٤ـ **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**: لأبى حاتم محمد بن حبان البستى (ت٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط. الطبعة الثانية ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٤هـ.

٥٥ـ **صحيح ابن خزيمة**: لأبى محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ) تحقيق: د/محمد مصطفى الأعظمى. طبعة المكتب الإسلامى ـ بيروت.

٥٦ـ **صحيح البخارى**: لأبى عبد الله بن إسماعيل البخارى = **فتح البارى**.

٥٧ـ **صحيح مسلم**: لأبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى. طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.

٥٨ـ **الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس**: لخلف بن عبد المملك المعروف بابن بشكوال (ت٥٧٨هـ) طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م .

٥٩ـ **صيد الخاطر**: لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (ت٥٩٧هـ) تحقيق: د/عبد الرحمن عبد الحميد البر ـ الطبعة الأولى ـ دار اليقين ـ المنصورة ١٤١٣هـ.

٦٠ـ طبقات الحفاظ: لجلال الدين السيوطى. الطبعة الأولى ـ دار الكتب ـ العلمية ـ بيروت.

٦١ـ طبقات الشافعية الكبرى: لعبد الوهاب بن على السبكى (ت٧٧١هـ) تحقيق: د/ عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحى. القاهرة ١٩٦٤هـ ـ ١٩٧٦م.

٦٢ـ الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد (ت٢٣٦هـ) طبعة دار صادر ـ بيروت.

٦٣ـ العبر فى خبر من غبر: لشمس الدين الذهبى تحقيق: محمد السعيد زغلول ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ .

٦٤ـ عمل اليوم والليلة: لأبى بكر أحمد بن محمد الدينورى المعروف بابن السنى (ت٣٦٤هـ) تحقيق: بشير محمد عيون. الطبعة الثانية ـ مكتبة دار البيان ـ دمشق ١٤١٠هـ.

٦٥ـ غاية النهاية فى طبقات القراء: لمحمد بن محمد، ابن الجزرى (ت٨٣٣هـ)عنى بنشره: ج برجستراسر ـ الطبعة الثالثة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت: ١٤٠٢هـ.

٦٦ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى: لأبى الفضل بن حجر العسقلانى. قام بإخراجه: محب الدين الخطيب طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

٦٧ـ الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى: للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا (ت١٩٥٦م) طبعة دار الشهاب ـ القاهرة .

٦٨ـ فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير: لمحمد بن على بن محمد الشوكانى (ت١٢٥٠هـ) الطبعة الثالثة ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٦٩ـ فى أصول الأدب: للأستاذ أحمد حسن الزيات. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٥٣هـ.

٧٠ـ الكامل فى التاريخ: لعز الدين بن الأثير طبعة دار صادر ـ بيروت ١٣٨٥هـ .

٧١ـ الكامل فى ضعفاء الرجال: لأبى أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى (ت٣٦٥هـ) تحقيق: د/ سهيل زكّار. الطبعة الثالثة ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ.

٧٢ـ كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة: لنور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (ت٨٠٧هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى. الطبعة الثانية ـ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٤هـ.

٧٣ـ **كشف الخفاء ومزيل الإلباس لما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ) تصحيح أحمد القلاش ـ طبعة مؤسسة الرسالة بيروت.**

٧٤ـ **لباب الآداب:** للأمير أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر. مكتبة لويس سركيس ـ الفجالة ـ القاهرة ١٣٥٤هـ.

٧٥ـ **لسان العرب:** لأبى الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى (ت) طبعة دار صادر ـ بيروت.

٧٦ـ **المجروحين:** لأبى حاتم بن حبان. تحقيق: محمود إبراهيم زايد. الطبعة الأولى ـ دار الوعى ـ حلب ١٣٩٦هـ.

٧٧ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** لنور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (ت٨٠٧هـ) الطبعة الثانية ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت ١٩٦٧م.

٧٨ـ **المحدث الفاصل بين الراوى والواعى:** للقاضى الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزى (ت٣٦٠هـ) تحقيق: د/محمد عجاج الخطيب. الطبعة الأولى ـ دار الفكر ـ القاهرة ١٣٩١هـ.

٧٩ـ **مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة:** لأبى الفضل بن حجر العسقلانى. تحقيق: صبرى بن عبد الخالق. الطبعة الأولى ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ١٤١٢هـ.

٨٠ـ **مدارج السالكين:** لشمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق الشيخ: محمد الفقى. الطبعة الثانية دار الكتاب العربى ـ بيروت ١٣٩٣هـ.

٨١ـ **المدخل:** لمحمد بن أحمد بن خلف، المعروف بابن الحاج (ت) طبعة دار الفكر ١٤٠١هـ.

٨٢ ـ **المراسيل:** لأبى داود السجستانى تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ .

٨٣ـ **المستدرك على الصحيحين:** لأبى عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى الحاكم (ت٤٠٥هـ) طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

٨٤ـ **مسند أبى يعلى الموصلى:** لأبى يعلى أحمد بن على بن المثنى (ت٣٠٧هـ) تحقيق: حسين

سليم أسد الطبعة الأولى ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق، بيروت ١٤٠٩هـ.

٨٥ ـ **مسند أحمد**: للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) طبعة المطبعة الميمنية.

٨٦ـ **مسند الحميدى**: لأبى بكر عبد الله بن الزبير الحميدى (ت٢١٩هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٨٧ـ **مسند الشهاب**: لأبى عبد الله محمد بن سلامة القضاعى (ت٤٥٤هـ) تحقيق: حمدى عبد المجيد السلفى الطبعة الأولى ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٥هـ.

٨٨ـ **مسند الطيالسى**: لأبى داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسى (ت٢٠٤هـ) طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

٨٩ـ **مشكل الآثار**: لأبى جعفر الطحاوى. الطبعة الأولى ـ مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد ١٣٣٣هـ.

٩٠ ـ **مصباح الزجاجة فى زوائد سنن ابن ماجه**: للشهاب أحمد بن أبى بكر البوصيرى (ت٨٤٠هـ) تحقيق: موسى محمد على ود/ عزت على عطية. طبعة دار الكتب الإسلامية ـ القاهرة.

٩١ ـ **المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى**: لأحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى (ت٧٧٠هـ) تصحيح: مصطفى السقا. طبعة مصطفى البابى الحلبى ـ مصر.

٩٢ـ المصنف: للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى. الطبعة الأولى ـ المجلس العلمى ١٣٩٢هـ.

٩٣ـ **المصنف فى الأحاديث والآثار**: لأبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة (ت ٢٣٥هـ) نشر الدار السلفية ـ بومباى الهند ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

٩٤ـ **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**: لأبى الفضل بن حجر العسقلانى تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى ـ طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

٩٥ـ **المعجم الكبير**: لأبى القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى (ت٣٦٠هـ) تحقيق: حمدى عبد المجيد السلفى. الطبعة الثانية ـ وزارة الأوقاف العراقية.

٩٦ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى**: لجماعة من المستشرقين بإشراف أ.ى. فنسنك.

طبعة مكتب بريل ـ ليدن ـ هولندا.

٩٧ـ **معجم مقاييس اللغة**: لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام هارون طبعة دار الكتب العلمية ـ إيران.

٩٨ـ **المعرفة والتاريخ**: ليعقوب بن سفيان الفسوى (ت٢٧٧هـ) تحقيق: د/ أكرم ضياء العمرى ـ طبعة.

٩٩ـ **المقاصد الحسنة فى الأحاديث المشتهرة على الألسنة**: لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى (ت٩٠٢هـ) تصحيح: عبد الله محمد الصديق. طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٩هـ.

١٠٠ ـ **المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم**: لأبى الفرج بن الجوزى. طبعة حيدر آباد ١٣٥٧هـ.

١٠١ ـ **الموطأ**: للإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) تحقيق: فؤاد عبد الباقى الطبعة الثانية ـ دار الحديث ـ القاهرة ١٤١٣هـ .

١٠٢ـ **ميزان الاعتدال فى نقد الرجال**: لشمس الدين الذهبى. تحقيق: على محمد البجاوى. طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

١٠٣ـ **النهاية فى غريب الحديث والأثر**: لأبى السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير (ت٦٠٦هـ) تحقيق: محمود الطناحى، وآخرين. طبعة المكتبة الإسلامية.

١٠٤ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: لأحمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١هـ) طبعة بيروت ١٩٨٧م.



٤- فهرست موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة
- مقدمة	٥
- المدخل:	٩
أولا: تعريفة الأدب والمقصود بالأدب النبوى..	٩
ثانياً: معنى الحديث الموضوعى وفوائد دراسته..	٢٠
- الباب الأول: آداب النية والإخلاص.	٣٧
الفصل الأول: أهمية النية والإخلاص وثمراتهما..	٣٩
الفصل الثانى: حقيقة النية وتصحيحها..	٥٧
- استحضار الغاية..	٦٣
- استحضار عواقب العمل.	٦٣
- استحضار هيبة وعظمة من تؤدى إليه العمل..	٦٨
- كثرة اللقاء والمجالسة لأهل الخير والصلاح..	٧٣
- النظر فى سير وأخبار السلف الصالح..	٧٥
الفصل الثالث: الأعمال المتعلقة بالنية..	٧٨
١- المعاصى..	٧٨
٢- الطاعات..	٧٩
٣- المباحات...	٨٢
الفصل الرابع: تساؤلات..	٨٦
- ماذا لو قعدت النفس عن تحصيل هذه الأسباب؟	٨٦
- ماذا لو صحح نيته ثم شغله الشيطان وحوّل غرضه؟	٨٧
- ما حكم العمل إذا خالطه شىء من الرياء؟	٩١
- ما هى علامات صحة النية وإخلاصها؟	٩٦
الخاتمة:..	١٠٨
وبعد أيها الأخ الحبيب:..	١١٢
- الباب الثانى: آداب المجالسة..	١١٣
الفصل الأول: آداب اختيار المجلس	١١٤

الموضوع	الصفحة

أولاً: من الأماكن التى نُهى عن الجلوس فيها ١١٤
١ـ الأسواق ١١٤
٢ـ الطرقات والأفنية وما فى معناها ١١٩
٣ـ أماكن اللهو والخوض فى آيات الله ١٢٨
٤ـ ظهور الدواب ١٣٠
ثانياً: من الأماكن التى يستحب الجلوس فيها ١٣١
١ـ المساجد ١٣١
٢ـ أماكن الذكر ودراسة العلم والحكمة ١٣٣
الفصل الثانى: آداب اختيار الجليس ١٣٨
أولاً: من تنبغى صحبته ومجالسته ١٣٨
١ـ أهل الخير والصلاح ١٣٨
٢ـ أهل العلم والعقل والحِجى ١٤٣
ثانياً: من تكره مجالسته وينبغى اجتنابه: ١٤٧
١ـ الفاسقون المستهزئون بآيات الله ١٤٧
٢ـ المبتدعة وأصحاب الأهواء ١٤٩
٣ـ الحمْقَى والجُهَّال ١٥٢
الفصل الثالث: آداب الجلسة ١٥٥
١ـ إخلاص النية لله ١٥٥
٢ـ التحلق ١٥٧
٣ـ الاجتماع وعدم التفرق فى حلق كثيرة ١٥٩
٤ـ التفسح والتوسعة وعدم إقامة الرجل من مجلسه ١٦٠
٥ـ مراعاة الوقت المناسب لكل جلسة ١٦٣
٦ـ السلام عند دخول المجلس وعند الخروج منه ١٦٧
٧ـ خلع النعال قبل الجلوس ١٦٩
٨ـ عدم التفرقة بين الجالسين إلا بإذنهما ١٦٩
٩ـ الجلوس حيث ينتهى به المجلس ....

الموضوع	الصفحة

١٠ـ ترك القيام للقادم أو بين يديه على سبيل التعظيم. ١٧١
١١ـ استحباب القيام للداخل من أهل الفضل على سبيل الإكرام ١٧٣
١٢ـ حفظ مكان القائم من المجلس لحاجة حتى يعود. ١٧٦
١٣ـ عدم الجلوس وسط الحلقة ١٧٨
١٤ـ حسن الجلوس والاعتدال فى الجلسة. ١٧٩
١٥ـ التواضع فى الجلسة وعدم إرادة التصدر فى المجالس. ١٨٠
١٦ـ البشر وطلاقة الوجه مع الجلساء. ١٨١
١٧ـ انتقاء أطاليب الكلام وحسن محادثة الجلساء. ١٨٣
١٨ـ الإصغاء وحسن الاستماع للمتحدث. ١٨٥
١٩ـ الإقبال على جميع جلسائه دون تخصيص. ١٨٦
٢٠ـ ترك التنازع وعدم مقاطعة المتحدث حتى يفرغ. ١٨٧
٢١ـ تجنب النجوى بين اثنين دون الثالث. ١٨٩
٢٢ـ مداراة الجلساء وتجنب مداهنتهم. ١٩١
٢٣ـ ذكر الله فى المجلس. ١٩٢
٢٤ـ الصلاة على النبى ﷺ فى المجلس. ١٩٣
٢٥ـ كثرة الاستغفار فى المجلس. ١٩٤
٢٦ـ حفظ أمانة المجلس وعدم إفشاء أسراره. ١٩٥
٢٧ـ كفارة المجلس والدعاء فى ختامه. ١٩٦
الفهارس: ٢٠٥
١ـ فهرست أطراف الأحاديث المرفوعة. ٢٠٧
٢ـ فهرست الأعلام المترجم لهم فى الكتاب. ٢٢٤
٣ـ فهرست المصادر والمراجع. ٢٢٧
٤ـ فهرست موضوعات الكتاب. ٢٣٧

رقم الإيداع : ١٣٨٨٥ / ٩٧
الترقيم الدولى : 977-5826-59-3